

القصة والحكاية في الشعر العربي

في صدر الاسلام والعصر الاموي

د. بشرى محمد علي الخطيب

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العـامة

الطبعة الاولى لسنة ١٩٩٠ ـ بغـداد



طباعة ونشر

دار الشؤون الثقافية العامة « آفاق عربية »

رئيس مجلس الادارة :

الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات

باسم السيد رئيس مجلس الادارة

العنوان :

العراق ـ بغداد/اعظمية ص ـ ب ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣

هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

القصة والحكاية فى الشعر العربي

في صدر الاسلام والعصر الاموي

الدكتورة
بشرى محمد علي الخطيب

الطبعة الاولى لسنة ١٩٩٠ ـ بغداد

المقـــدمـة

القصة هي الحياة الانسانية المتكاملة ، وحياة الانسان والبشر جميعـــا قصص متتابعة تختلف في الاسماء والظروف الزمانية والمكانية ، ولكنها تلتقي على الاغلب في النهاية التي لا تخرج عن دائرة واحدة تجتمع فيها الفـــاظ السعادة والشقاء ، الحياة والموت .. الخ .

فالقصة والحكاية وسواهما من المصطلحات التي تدخل في اطار المعنى العام لها ليست مصطلحات حديثة في الاستعمال الادبي ، لانها كما يبدو نشأت مع الانسان منذ سنيّه الاولى في عقله وخياله وعاطفته ، ورافقتـه في كـل اطوارها لتحقق له المتعة والسعادة اللتين تخففان عنه مرارة الـواقع الـذي يعيش فيه .

ولكون القصة تعبيراً عن الحياة الانسانية وصـورة واضحـة للنفس البشرية بكل اشكالها ، فقد واكبت مسيرتها وعكست تقدمها وتطورها منذ اقدم العصور وفي مختلف الامكنة وشتى انواع المجتمعات البشرية .

وعلى هذا فهي ليست وليدة العصور المتأخرة ، وانما قديمة ، قـدم الحياة الانسانية وجدت مع وجودها ، ونمت وتقدمت مع نموها ، وتقدمها وتطورها فتنوعت اشكالها واساليبها واهدافها بتنوع البيئة وزمانها ومكانها ، وعندما يتصدى أي كاتب او باحث لكشف مظاهرها واشكالها في اي عصر

من العصور فانما يدرسها ضمن وجودها في ذلك العصر ، وبما احاطها من عوامل مؤثرة في بيئتها وزمانها اجتماعيا واقتصاديا وادبيا ونفسيا • وهذه الدراسة يجب ان تتلاءم وروح العصر الذي وجدت فيه تلك القصة في اطارها الزمني المحدد وظروفها التي خلقتها ، لانها ما وجدت الا لتلائم تلك الظروف او لترسم صورة فتحقق غاية في نفس صانعها مهما كانت بسيطة او معقدة مما يمكن ربطه بحاجة المجتمع ومدى تطوره •

وعلى هذا يجب ان لا تخضع نظرتنا الى المعطيات الادبية ومن ضمنها القصة في عصورها الاولى للمقاييس والقواعد الحديثة لانه من الطبيعي ان تتخذ في بداياتها اشكالا بسيطة لا يمكن أن تقارن بما بلغته القصة الحديثة من صور التقدم والحضارة ، وهذا لا يعني قصورها وتأخرها في مراحلها الاولى ، كما انه لا يشكل عائقا في دراستها وفهمها بوصفها تمثل حياة أناس في فترة من الزمن كما رسمتها قرائحهم شعرا ونثرا •

والقصة الحديثة خضعت لدراسات معقدة ودخلت في تيارات ومدارس فكرية وادبية مختلفة ، وضعت لها القواعد والاصول والضوابط التي تحدد نجاحها او فشلها ، وأسس القصة الحديثة معروفة لدى كل دارس[1] ، ولا تخرج عن وجود الحدث ، والعقدة والصراع ، ثم الوصول الى الحل باطار من الحبكة القصصية المتكاملة مع الاهتمام بالشخصيات الملائمة لتلك

---

(١) يراجع في ذلك كتب النقد الادبي ، ثم الدراسات والبحوث الحديثة في الادب والقصة مثل :-
بناء الرواية ، ادوين موير ، ص١١ •
نظرية الدراما من ارسطو الى الآن ، رشاد رشدي ، ص١٥ •
القصة العربية في العصر الجاهلي ، علي عبدالحليم محمود ، ص٧٥ •
نظرية الادب ، رينيه وبليك،اوستن وارين ، ترجمة : محيي الدين صبحي، حسام الخطيب ، ص٢٧٥ •
في الادب وفنونه ، علي ابو ملحم ، ص٢٣ •
فن كتابة القصة ، حسين القباني •

الاحداث ، وتوفر عنصريّ الزمان والمكان المناسبين لهـا ... الـخ ، مـن العناصر الاساسية لنجاح اي قصة في عصرنا الحديث ، ولكن هذه القواعد وتلك الاسس التي حددتها مدارس حديثة العهد لا يمكننا ان نقوّم بموجبها القصص التي صنعتها فطرة الانسان الاولى ، ولا يعد نقص احد تلك الاسس فشل تلك القصص وقصورها ، وانما تلك مقاييس حديثة تلائم كل ما هو حديث من الاعمال الادبية بشكل عام ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى ، فان القصص بحد ذاتها تختلف باختلاف الامم في عصرنا الحديث شرقا او غربا من حيث البداوة والحضارة والتقدم الاجتماعي والعلمي والادبي ، وهـذه الفروق في الزمان والمكان والمجتمع تولّد فروقا ثقافية تظهر آثارها واضحة في النتاجات الادبية بشكل عام ، والقصة بشكل خاص ، ولهذا فان الاسس القصصية الحديثة قد تصطدم بتلك الفروق وتتعارض معها ، وبهذا فهي لا تعدّ شاملة ومنطبقة على كل الشعوب لان ما يعد مثلا اعلى في القصة في روسيا قـد يـلائم العراق او امـريـكا او الهنـد .. الـخ فلـكل امـة تراثها وأدبها الذي تفتخر به اذا كان اصيلا فيها غير مكتسب .

ودراسة القصة الشعرية بهذا المنطلق تجعلنا نبحث عن تراثنا من اصوله القديمة الحقيقية ، ونجده في شعر الشعراء في تلك الحقبة التي لا تخضع لقواعد وأسس حديثة وجديدة لا تلائم الظروف والاوضاع السابقة التي كانوا عليها .

وقد وجدت دراسات علمية لهذا التراث الرائع في ادبنا العربي ، اثبت فيها مؤلفوها أصالة القصة العربية منذ عصر ما قبل الاسلام ، مثل كتـاب (القصة في العصر الجاهلي ، للدكتور علي عبدالحليم محمود) ، ويبحث فيه مؤلفه القصة العربية النثرية بكل انواعها ، محاولا اثبات وجودها في الادب العربي ، مع مناقشة لآراء المستشرقين بهذا الصدد ، ثم ينتهي الى تأكيـد أصالتها في العصر الجاهلي بالادلة القاطعة المستوحاة من النصوص التـي

يذكرها للبرهنة على ذلك(٢) • أما عن علاقة قصص ما قبل الاسلام بشعر العصر نفسه فيقول : « ان كثيرا من الشعر قد اشتمل على قصص انبثت في سياق الشعر ، وشكّل أجزاء مهمة من موضوعاته » ، ويضيف بعد ان يعدد بعض تلك النماذج القصصية الشعرية الجاهلية : (ولا يشك احد في أن العرب قد اقبلوا على شعرهم واهتموا به يكتبونه ويقيدونه ويدونونه ويروونه جيلا عن جيل ،ومن هنا رويت القصص التي تضمنها هذا الشعر كلها،ووصلت الينا عن طريق هذه الاشعار كاملة غير منقوصة كما لو كانت مقصودة لذاتها ، ولم يكتف الشعر الجاهلي بأن يحمل الينا عبر السنين صورة واضحة عن القصة العربية الجاهلية وحدها وانما نستطيع ان نتلمس في هذا الشعر الجاهلي كل الوان الحياة العربية الجاهلية ، فهو بحق سجل لهذه الحياة وديوان لها) [٣] •

وقد دفعني هذا البحث عن القصة في عصر ما قبل الاسلام الى دراسة القصة الشعرية بعد الاسلام والى نهاية العصر الاموي ، وقد ركزت البحث على القصة الشعرية بوصف القصص النثرية كقصص القرآن والحديث قد تناولها الباحثون بالدراسة والتحليل(٤) •

أما في مجال القصة الشعرية فقد كتب السيد علي النجدي ناصف بحثا بعنوان (القصة في الشعر العربي الى اوائل القرن الثاني الهجري) وقد قسّم القصص على انواع حسب مادتها القصصية مثل قصص القرى – اي الكرم –، قصص الغزل ، قصص القتال ، القصص الاخبارية ، قصص الاستطراد ،

(٢) القصة العربية في العصر الجاهلي ، ص٧٥ ، يذكر نماذج قصصية شعرية • وفي ص١٢٢ نماذج قصصية نثرية •
(٣) القصة العربية في العصر الجاهلي ، ص٩٧ •
(٤) الفن القصصي في القرآن الكريم ، محمد خلف الله ، القصة في الحديث الشريف ، محمد مصطفى عبداللطيف جياووك • قصص الانبياء ، عبدالوهاب النجار • قصص القرآن في ادب الرواية والمسرح ، احمد موسى سالم •

قصص الهجاء .. الخ . ثم أورد قصة او اكثر لكل غرض دون ذكر العصر الذي قيلت فيه .

ورغم الايجاز والسرعة اللذين اتسم بهما هذا البحث ، الا انني استطعت من خلاله أن اتفهم بعض ملامح القصة الشعرية فضلا عن تناوله لبعض النماذج القصصية الشعرية بالدراسة والتحليل التي اكدت لي أصالة القصة العربية الشعرية رغم عفويتها وبساطتها (٥) .

ومن البحوث الاخرى ايضا كتاب (قصص العشاق النثرية في العصر الاموي) ، للدكتور عبدالحميد ابراهيم ، وقد تناول فيه بالدرس والتحليل قصص الغزل البارزة في هذا العصر بنوعيه العذري والماجن ، ورغم انه عدّها قصصا نثرية الا انه اعتمد في تأكيد أصولها القصصية العاطفية وتسلسل احداثها على القصائد التي قالها شعراء الغزل أنفسهم في هذا المجال ضمن المناسبة او الحدث اللذين تشير اليهما القصيدة ذاتها ، وهذا يبرهن على أهمية الشعر في تأكيد الظاهرة القصصية في الشعر العاطفي في هذا العصر(٦) .

---

(٥) هناك بحوث اخرى عن القصة ، مثل : (الادب القصصي عند العرب) ، موسى سليمان ، (لمحات من الشعر القصصي في الادب العربي) ، د . نوري حمودي القيسي (سلسلة الموسوعة الصغيرة ، ٧١) فضلا عن مواضيع ثانوية ضمن بعض البحوث ، مثل (القصصية في الشعر الهذلي ، ص٢٥٦) في كتاب شعر الهذليين في العصر الجاهلي والاسلامي تأليف : د . احمد كمال زكي ، ومثله موضوع : (القصصية في شعر الطبيعة) ، ص٣١٦ ، في كتاب الطبيعة في الشعر الجاهلي ، تأليف د . نوري حمودي القيسي . ومثله موضوع : (التنسيق الفني للقصة الشعرية في فكر الشاعر العربي) ص٩٧ ، في كتاب (وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، تأليف : د . نوري حمودي القيسي .

(٦) كما اوضح الدكتور شكري فيصل ايضا اهمية القصائد العاطفية في ابراز الحدث القصصي في شعر الغزل نفسه في هذا العصر ضمن دراسته للغزل العذري ، ص٢٤٠ ، والماجن الذي يسميه الغزل العمري ، ص٢٨٠ وما بعدها (تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ، شكري فيصل) .

ولقد حاولت في هذه الدراسة للقصة والحكاية في الشعر العربي في هذين العصرين جمع شتات القصة الشعرية في مختلف اغراضها ، وعلى هذا قسّمت الدراسة على ثلاث مجموعات رئيسة ، جعلت الاولى منها فصلين ، درست في الفصل الاول منها مصطلح القصة والحكاية والرواية وغيرها ضمن المفهوم العربي اللغوي والاصطلاحي القديمين وورودهما ضمن ذلك المفهوم في اشعار الشعراء في تلك العصور المتقدمة في الادب • كما درست في الفصل الثاني اصول القصة العربية وبداياتها في الشعر العربي في العصر الجاهلي في اغراضها المختلفة الحربية والاجتماعية والعاطفية وقصص الحيوان ، وضمن القصائد التي تحتويها ، بغضّ النظر عن الغرض العام للقصيدة سواء أكانت مدحا أم هجاء ام فخرا •• الخ •

اما المجموعة الثانية فقد درست فيها القصة الشعرية في صدر الاسلام ضمن تلك الاغراض السابقة وجعلت لكل غرض منها فصلا قائما بذاته تعرّضت فيه لدراسة ابرز النماذج الشعرية القصصية فيه ثم حلّلتها وبيّنت ملامح القصة او الحكاية فيها واسلوب الشاعر في طريقة عرض احداثها ، ثم الاسلوب العام للغرض في نهاية كل فصل من تلك الفصول •

اما المجموعة الثالثة فقد خصصتها لدراسة القصة الشعرية في العصر الاموي ضمن الاغراض السابقة مع مراعاة أثر التطورات الاجتماعية والسياسية والتاريخية فيها والاقتصار جهد الامكان على عرض النماذج القصصية الجديدة المتطورة عن تلك الاصول القديمة والاستغناء عن النماذج التقليدية المشابهة للانماط السابقة والاكتفاء بالاشارة اليها في الهامش فقط •

اما اسلوب القصة فقد اكتفيت فيه بالدراسة الجزئية ضمن النصوص الشعرية البارزة التي استعنت بها أثناء البحث ضمن مختلف الاغراض لانني وجدت ان ذلك الاسلوب التحليلي للنصّ الشعري القصصي أجدى في

توضيح ملامح القصة الشعرية ضمن كل غرض بمعزل عن الآخر ، وفي نطاق النص ذاته ، باحداثه وشخوصه وزمانه ومكانه والفاظه ومعانيه ..

ومن الجدير بالذكر ان دراسة القصة الشعرية في تلك الفترة الطويلة من تاريخ الادب العربي كانت رحلة شاقة وشائقة بالنسبة لي لانها اقتضت مني دراسة كل جوانب الحياة فيها بمختلف اشكالها وانعكاساتها في نفوس الشعراء بشكل عام وفي قصائدهم الشعرية بشكل خاص والتي حكت الواقع وكشفت كل جوانبه باسلوب الشعر الغنائي القصصي .

ولقد حاولت جهد الامكان استقصاء كل ما قاله الشعراء في هذا المجال ودراسة ابرز النماذج القصصية الدالة على اغراض القصة وتحليلها معتمدة في ذلك على دواوين الشعراء اولا ثم المجموعات الشعرية الخاصة بشعراء تلك العصور ثانيا ، آملة أن اكون قد وفّقت في هذا الجهد العلمي المتواضع .

د . بشرى محمدعلي الخطيب



الفصل الاول

تحـديـد المصـطلح



المفهوم العــربي للمصطلح

١ ـ القصة :

القصة سواء أكانت شعرية او نثرية تتطلب دراستها الاطــلاع على معانيها اللغوية ثم المجازية لادراك التطور الذي اصابها في معانيها الاصلية الى ان وصلت الى المعنى المعروف لدينا ، وهناك بعض اهل اللغة مـن ربط بـين المعنى اللغوي والاصطلاحي زيادة في الايضاح ، وتأكيدا للتطور الذي اصاب الكلمة في معناها ، ويعد ابن فارس في معجمه في المقدمة في هذا المجال ، اذ يقول : (القاف والصاد اصل صحيح يدل على تتبع الشيء ، ومن ذلـك قولهم اقتصصت الاثر اذا تتبعته ، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح ، وذلك انه يفعل به مثل فعله بالاول ، فكأنه اقتص أثره ، ومن الباب القصة والقصص ، كل ذلك يتتبّع فيذكر) [١] .

ويؤكد الفراهيدي في معجمه معنى القصة الاصطلاحي الاخير قائلا : (القصة معروفة وفي رأسه قصة ، أي جملة من الكـلام ، والقـاص يقصّ القصص قصــا) [٢] .

ومعنى تتبع الاثر وتقصي الخبر هو المحور الاساس الذي دارت حوله اغلب الشروح اللغوية : (يقال خرج فلان قصصا في أثر فلان وقصّاه ، وكذلك اذا اقتص اثره ، وقيل للقاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر ،

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ج ٥/١١ .

(٢) مخطوط العين ، مجلد ١٠٥/٢١٤أ ، جمهرة اللغة ج١/١٠١ ، تهذيب اللغة ج ٨/٢٥٤ .

وسوقه الكلام سوقاً ، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها والفاظها)[٣] •

وقد وردت القصة بمعناها الاصلي في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وقالت لاخته قصّيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون »[٤] ، اي : اتبعي أثره ، وقوله تعالى : « قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا » [٥] ، أي : رجعا من الطريق الذي سلكاه فيقصان الاثر •

ووردت القصة في الشعر بمعناها الاصطلاحي في قول عمر بن أبي ربيعة :

فان كان ما لابد منه فغيره ... من الامر ادنى للخفاء وأستر
أقصّ علي اختيّ بدء حديثنا ... ومالي من أن تعلما متأخر
لعلهما ان تطلبا لك مخرجا ... وأن ترحبا سرباً بما كنت أحصر[٦]

ومثله قول عبدالله بن الزبير :

على أي شيء يالؤى بن غالب ... تجيبون من أجرى عليّ وألجما
وهاتو فقصّوا آية تقرأونها ... أحلّت بلادي أن تباح وتظلما
والاّ فاقصى الله بيني وبينكم ... وولّي كثير اللؤم من كان ألأما[٧]

كما وردت في القرآن الكريم ايضا بلفظها ومعناها في قوله تعالى : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »[٨] ، وقوله تعالى : « نحن نقص عليك

---

(٣) جمهرة اللغة ١٩٤/٣ ، تهذيب اللغة ٢٥٤/٨ ، اللسان : قص ، التاج ٤٢١/٤ قص •
(٤) سور القصص ٢٨ ، آية ١١ •
(٥) سورة الكهف ٦٤ ، آية / ١٨ •
(٦) ديوان عمر بن ابي ربيعة ، ص٩٩ •
(٧) شعر عبدالله بن الزبير ، ص١٢٦ •
(٨) سورة الاعراف ٧ آية / ١٧٦ •

أحسن القصص » (٩) ، أي : احسن البيان • وقد اكد سبحانه وتعالى في القصص القرآنية الكثيرة معنى القصة بصورتها المتكاملة في الاحداث والشخوص وما دار حولهم من مشكلات كان حلها عبرة وموعظة لمن يقرأها وهي قصص الانبياء والصالحين والامم الماضية ، قال تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب (١٠) •

كما وردت القصة في الحديث النبوي الشريف ايضا بلفظها ومعناها أو بصورتها الفنية المتكاملة في شكل قصص دينية غرضها العبرة والموعظة على نسق ما جاء في القران الكريم من خلال احاديثه مع الصحابة والمؤمنين(١١) • فمن استعمالاته لهذا اللفظ قوله (ص) « من رأى منكم رؤيا فليقصها »(١٢) ، وقال ايضا : « لا يقص الا امير أو مأمور أو مختال »(١٣) ، وفي كلا المعنيين

---

(٩) سورة يوسف ١٢ آية / ٣ •

(١٠) سورة يوسف ، آية / ١١١ ، ويراجع ايضا الآيات التالية : القصص ، آية / ٢٥ الاعراف ، آية / ١٠١ ، الكهف ، اية / ١٣ ، طه ، آية ٩٩ ، غافر ، آية ٧٨ ، آل عمران ، آية / ٦٢ ، النمل ، آية ٧٦ ، الانعام ، آية/ ١٣٠ ، النساء ، آية / ١٦٤ ، هود ، آية/١٢٠ •

(١١) صحيح مسلم ج٧/٨٩ ، قصة اصحاب الغار الثلاثة (طويلة) ، ابن حنبل ج ٨/٢٢٤ ، قصة طويلة ايضا ، ج٢/٣٦ قصة حاطب بن بلتعة ، وللرسول (ص) قصص كثيرة بين طويلة وقصيرة،مثلا في صحيح ابن حنبل ج١٠ رقم الاحاديث ٦٥٨٣ ، ٦٦٦١ ، ٦٧٠٢ ، ٦٧١٠ ، ٦٦٥٧ وغيرها •

(١٣) صحيح مسلم ج٧/٥٦ ، باب تأويل الرؤيا ، النهاية في غريب الحديث ٢/٢٥٧ •

(١٣) ابن حنبل ١٠/١٨٨ ، وفي رواية (لا يقص الا أمير او مأمور او مراء) النهاية ٢/٢٥٧ في حديث الرؤيا (يقول ابن الاثير في معنى الحديث السابق : أي لا ينبغي ذلك الا لامير يعظ الناس ويخبرهم بما مضى فيعتبروا أو مأمور بذلك فيكون حكمه حكم الامير لا يقص مكتسبا او يكون القاص مختالا ، يفعل ذلك تكبرا على الناس او مرائيا يرائي الناس بقوله وعمله لا يكون وعظه وكلامه حقيقة ، وقيل اراد الخطبة لان الامراء كانوا يتلونها في الاول ، ويعظون الناس فيها ويقصون عليهم اخبار الامم السالفة) • اللسان ج ٧/٧٣ ـ ٧٤ (قصّ) يؤكد المعاني السابقة كافة مع شواهد من القرآن والحديث النبوي الشريف •

يؤكد معنى القصة الآنف الذكر ، هذا فضلا عن أنه (ص) كان يروي الكثير منها كما ذكرنا ، ومع ذلك يرفض ويمنع هو وصحابته بعض القصاص من روايتها ، ويبدو انها كانت من القصص التي تلهي الصحابة والمؤمنين وتبهرهم فتشغلهم عن دينهم ودنياهم كما تشعر القاص بأنه اعلى درجة منهم •

قال الخليفة عمر (رض) مجيباً الحارث بن معاوية الكندي عندما سأله رأيه في امكانية رواية القصص للمسلمين وهل يجيزه عليها مؤكدا رغبتهم في ذلك بقوله : « انهم ارادوني على ذلك • فأجابه عمر : أخشى عليك أن تقصّ فترتفع عليهم نفسك ، ثم تقصّ فترتفع حتى يخيل اليك انك فوقهم بمنزلة الثريا فيضعك الله تحت اقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك»[١٤]•ويظهر أن خوف عمر (رض) من ذلك الاحساس جعل أحد الصحابة وهو خالد بن مسعود يقول عندما شاهد قاصا يقص في ناحية المسجد ، وقد انبهر به الناس ورفعوا أيديهم وابصارهم نحوه : « ايّاكم وما أنكر المسلمون»[١٥] •

ويبدو ان النهي عن القصة هنا كالنهي عن الشعر في القرآن الكريم وهي القصة التي فيها من الخيال والمبالغة والكذب ما يفقدها العبرة والموعظة ويلهي المستمع اليها عن امور دينه ودنياه •

وبما ان مصطلح القصة قد ورد ذكره في ادق المصادر اللغوية وتأكد استعماله في كلام الله ورسوله بمعناه الاصلي والمجازي فان اغلب الاستعمالات الادبية واللغوية التي تلته لم تخرج في استعمالاتها عنه سواء في الشعر أو النثر •

---

(١٤) ابن حنبل جـ١/٢٠٣ (سأله عن القصص فأجابه عمر (رض) ما شئت كأنه كره ان يمنعه ، قال : انما اردت ان انتهي الى قولك ••••

(١٥) غريب الحديث جـ٤/٣٠٤ •

الراويـة :

اما الرواية فتكاد تكون من مرادفات القصة ، ولكنها في اساسها اللغوي ليست كذلك ، ويبدو أن الاختلاف في هذا الاساس تبعه اختلاف في المعنى الاصطلاحي للكلمة بشكل عام (فالرواية في اللغة مصدرها الري من روى يروي فهو ريّان ، والمرأة ريّا . وماء رِواء رِوىً هو الماءالعذبالذيتكون للوارد فيه ري ، وهذا لا يكون الا صفة لاعداد المياه التي لا تنزح ولا ينقطع ماؤها ، قال الراجز :

مـا رِواءٌ ونصيٌّ حوليــه هذا مقام لك حتى تَيْبَيَه(١٦)

اما من يروى اهله بخاصة والناس بعامة مع خيلهم ودوابهم في السفر فهو الراوي ، وجمعه الرواة(١٧) ، حيث يقوم بحمل الماء في مزادته على ظهور الدواب ليروي بها من يطلب الرى من أهله وقومه ، ثم تطور بعـد ذلـك مجازا الى الارواء المعنوي بعلم او خبر ، وهذا ما عبر عنه ابن فارس فـي بحثه لاصول المعاني حين قال : (الراء والواو والياء اصل واحد ثم يشتق منه ، فالاصل ما كان خلاف العطش ثم يصرّف في الكلام لحامل ما يروى منه .. فالاصل رويت من الماء ريّاً ، ورويت على أهلي أوى ريّا وهو راو من قوم رواة وهم الذين يأتونهم بالماء .. فالاصل هذا ثم شـبه به الـذي يأتي القوم بعلم أو خبر فيرويه فكأنه أتاهم بريّهم من ذلك) (١٨) . وبما أن معنى روي يقترن فيه الارواء بالشبع والامتلاء فهذا يعني تأكيد معنى الكثرة والمبالغة في الارواء المادي والمعنوي ، ومن هنا كانت الرواية اوسع مـن القصة في معناها او بالاحرى اصبحت تعني قصة طويلة واسـعة الافـكار

---

(١٦) العين ، مجلد ١٠٥ ، الورقة ٤٠٤ ب ، جمهرة اللغة ١٧٦/١ ، تهذيب اللغة ٣١٣/١٥ ، اللسان مادة : روى ، التاج ١٥٨/١٠ .

(١٧) المصادر السابقة نفسها .

(١٨) معجم مقاييس اللغة ٤٥٣/٢ .

والمعاني والمرامي كما اضافت الى فكرة تتبع الاثر واستقصاء الخبر في القصة التوسع والمبالغة في تفصيلات الخبر وروايته على وجوهه الى حد يخرج بالقصة عن مدلولها الضيق المحدود الى مدى اوسع لتحمل معنى اكثر هو في هذه الحالة يدعى الرواية .

وفكرة المبالغة في معنى روى الرواية ليست حديثة فقد اكد عليها اهل اللغة باجماع تام ، فهم يقولون (رجل راو للشعر والحديث وروايةٌ ، أي : كثير الرواية ، فالهاء للمبالغة في صفة الرواية كما قالوا علامة ونسّابة [19] ، وفكرة المبالغة دعتهم الى عدّ كل وسيلة للارواء راوية ، فحامل الماء والشعر والحديث راوية والمزادة التي تحتوي الماء راوية على سبيل المجاز ، والدابة التي تشد على ظهرها المزادة راوية ، وحتى الحبل الذي تربط به المزادة ايضا راوية [20] . وقد مرّ بنا عدّهم الماء الرّواء هو الذي يصدر عن منبع دائم لا ينقطع ماؤه ولا يجف .. وهذا منتهى المبالغة في معنى الرّى ، وربما دعاهم الى ذلك ظروف حياتهم الطبيعية وحاجتهم الماسة الى الماء بسبب جفاف ارضهم ، ولهذا فهم ان وجدوه يشربون منه هم ودوابهم الى حد الارتواء ، وهذا ايضا دعاهم الى التوسع والمبالغة في وسائل الارواء ليكتمل معنى الارواء والرواية والراوية .

ويتطور هذا المعنى بعد ذلك الى المعنى الاصطلاحي الذي يعني الرواية الطويلة والخبر الواسع الذي يحتاج ، لكبر حجمه وكثرة احداثه الى وسائل عديدة لتوصيله الى الآخرين ، كما يحتاج حامل الماء الى ذلك ليروي الاخرين اولا ، واكبر عدد منهم ثانيا الى حد الشبع والاكتفاء .

---

(١٩) العين ، مجلد ١٠٥ الورقة ٤٠٤ ب ، جمهرة اللغة ١/١٧٦ ، الصحاح ٦/٢٣٦٣ ، تهذيب اللغة ١٥/٣١٣ ، اللسان مادة روى ٤/٣٤٥ ، التاج ١٠/١٥٨ ...

(٢٠) المصادر السابقة نفسها .

وقد وردت كلمة روى في الشعر بهذين المعنيين اللغوي والاصطلاحي. ومن الاول نقرأ ابياتا للأخطل وهو يصف سربا من القطا تحمل الماء لفراخها لترويهم وهم في أرض رملية حارة ساكنة الريح ، وهذا ما يدفعها للسرعة بلهفة لارواء فراخها التوائم (٢١) :

اذا حملت ماء الصرائم قلّصت روايا لاطفال بمعميّة ، زغب
توائم اشباه بأرض مريضـــة يلذن بخذراف المتان وبالعرب

وفي المعنى الثاني جاءت في قول اعشى همدان وهو يذكر مدحه لابن الاشعث بقصائد كثيرة يرويها كل صادر ووارد :

كم قد أسدّي لك مـن مدحـة تروى مع الصادر والوارد(٢٢)

ومثله قول حميد بن ثور وهو يذكر كلمة الرواة بمعناها الاصطلاحي ايضـا :

أتاني عن كعب مقال ولم يـزل لكعب يمين مـن يدىً وناصر
لأعترضن بالسهل ثم لاحـدون قصائد فيها للمعاذير زاجـر
قصائد تستحلي الرواة نشيدها ويلهو بها من لاعب الحيّ سامر(٢٣)

فالقصة في اصلها اللغوي ، اذن ، بدأت بمعنى قصّ الاثـر وتتبـع صاحبه ثم تطورت الى معنى تتبع الاخبار وروايتها ، ثم جاء معنى الروايـة

---

(٢١) ديوان الاخطل ١/٤٠ ، وبنفس المعنى قال أياس بن سهم الهذلي ، وهـو يرثي صاحبا كريما فجمع به وكان عطاؤه يروي ويشبع كل من يقصده ، شرح اشعار الهذليين ٢/٥٤٣ .

(٢٢) الصبح المنير في شعر ابن بصير ، ص/٣٢٤ ، ووردت عنده بمعنى الرواية ولفظها ايضا في قوله :
(فلو كان ابن عتاب كريمـا سما لرواية الامر الجسيم)
ص٣٤١ .

(٢٣) ديوان حميد بن نور ، ص٨٩ ، وجاء ايضا بلفظة راوي ، ومعناها في قول سهم بن الحارث وهو يتغزل بقصيدة سهلة كما يقول على راوى الشعر والمتمثل به (شرح اشعار الهذليين ٢/٥٢٣) .

ليوسع تلك الفكرة الى معنى مبالغ فيه فيشمل الخبر وحامله ومستمعه موفراً لهم فكرة الاشباع والارتواء كما يروي حامل الماء قومه واصحابه بكل الوسائل الممكنة التي تساعده على تحقيق معنى الري والشبع بما يحمل من ماء أو شعر او حديث او خبر .. الخ ٠

ولما كانت الرواية بهذا المعنى ، تعني التطويل والتفصيل والاسهاب الى حدّ ما في عرض الاحداث ، وهذا ما لا يتلاءم مع تكوين القصيدة العربية بشكل عام والقصة الشعرية بشكل خاص ، والتي تقتضي وجود الوزن والقافية مع التركيز والايجاز في الاحداث بما يتلاءم وحجم القصيدة او القصة الشعرية العربية لذا فان مجال الرواية في النثر اكبر واكثر ملاءمة من الشعر ، وسيتضح لدينا ذلك عند بحثنا ودراستنا للقصص الشعرية وتحليلها ونقدها ٠

وربما كان لهذا التوسع والتشعب في معنى الرواية ايضا دور أو أثر في عدم وجودها بلفظها ومعناها في القرآن الكريم رغم كثرة القصص الدينية النثرية فيه باعتبار ان تلك القصص المتكاملة سدت مسدها وأدت الغرض منها دون حاجة الى مبالغة أو زيادة في التفصيل والاسهاب ٠

الحكاية :

وعندما يقف بنا الحديث امام كلمة الحكاية نجد انفسنا امام مسألة محيّرة ، لان هذه الكلمة جاءت في اغلب كتب اللغة والاخبار والحديث لتعني نقل حادثة معينة وروايتها كما هي بشكل يتضمن الدقة والضبط في نقلها مع عدم التوسع في الخبر(٢٤) ، وهي بهذا المعنى عكس الرواية تماما ،

(٢٤) العين ، مجلد ١٠٦/٣٣ب ، جمهرة اللغة ٢٣٥/٣ ، التهذيب ١٣٠/٥ ، الصحاح ٢٣١٧/٦ ، معجم مقاييس اللغة ٩٢/٢ ، اللسان مادة : حكى ، التاج ١٩١/١٤ ٠

ولكن اذا حاولنا معرفة الاساس اللغوي للكلمة نجده اقرب الى البعد في ظاهر امره عن معناها الاصطلاحي ، فأغلب المعاجم اللغوية تذكرها في حالتين هما الاعتلال والهمز ، اي حكا ، حكأ ، مؤكدة ان المهموز جزء من المعتل[٢٥] ، وقد أوضح ذلك ابن فارس في قوله : « الحاء والكاف وما بعدها معتلّ اصل واحد وفيه جنس من المهموز يقارب معنى المعتل والمهموز منه ، وهو احكام الشيء بعقد او تقرير ، يقال : حكيت الشيء احكيه ، وذلك أن يفعل مثل فعل الاول . يقال في المهموز أحكأت العقدة اذا أحكمتها)[٢٦] . وفي معنى المعتل نقول حكيت فلانا وحاكيته محاكاة اذا فعلت فعله وقلت مثل قوله سواء لم اجاوزه[٢٧] . وهذا يعني المشابهة والمحاكاة اي التقليد ، وتكرار القول او الفعل دون زيادة او نقصان ، ويقال : ان (المحاكاة اكثر ما تكون في الافعال القبيحة ، ومنها الحديث : ما سرني أني حكيت فلانا وأن لي كذا وكذا اي فعلت مثل فعله)[٢٨] .

كما وردت ايضا في الحديث الشريف بمعنى : اعادة القول ونقلة كما هو :

(حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن عن ابن عمر عن النبي (ص) فيما يحكي عن ربّه تبارك وتعالى قال .. الخ)[٢٩] ، وجاءت في كتب الامثال بمعنى المحاكاة والتقليد في الافعال ، يقال في المثل : (أحكى من قرد) لانه يحكي الانسان في افعاله سوى المنطق ، كما قال ابو الطيب :

---

(٢٥) المصادر السابقة نفسها .
(٢٦) معجم مقاييس اللغة ٢/٩٢ .
(٢٧) العين ، مجلد ١٠٦/٣٤ ، الصحاح ٢٣١٧/٦ ، التهذيب ١٢٩/٥ ، اللسان مادة : حكى ، التاج ٩٤/١٠ .
(٢٨) التاج ٩٤/١٠ ، وجاء بمعنى المشابهة والتقليد في المظهر في قولهم : وجهه يحكي الشمس ويحاكيها ، اساس البلاغة ١٩١/١ ، اللسان ١٩١/١٤ .
(٢٩) احمد بن حنبل ٢٢٨/٨ .

يرومون شأوى في الكلام وانما   يحاكي الفتى فيما خلا المنطق القرد (٣٠)

أما المعتل حكأ فمصدره الاحكاء ، نقول احكأت العقدة احكاء ، أي : شددتها واحكمت عقدها واحتكأت اذا اشتدت ، وكان الاصمعي ينشد لعدي بن زيد :

أجل ان الله قد فضلكم   فوق من أحكأ صلبا بازار(٣١)

فمعنى الاحكاء اصلا شد العقدة واحكامها وتقويتها ثم تطورت مجازا الى احكام القول والفعل بعد ثباته في صدر صاحبه من قولهم : (احتكأ ذاك الامر في نفسي أو صدري ، أي : ثبت فلم أشك فيه)(٣٢) .

وعلى هذا يكون المعنى الاصطلاحي للحكاية هو نقل الاحداث كما هي دون زيادة او نقصان مع الدقة والضبط في عملية النقل بشكل يجعلها متكاملة الصورة غير مفككة كالعقدة المفتولة .

ويظهر ان هذا الربط بين المعنيين المعتل والمهموز جاء على مراحل تبدأ باعجاب الانسان بمعل ما ، أو تأثره به ، ثم يدفعه ذلك الى تكراره وتقليده بنفسه مع الدقة واحكام العمل بحيث يطابق الاصل ولا يختلف عنه في شيء وهو أمر ليس سهلا لانه يقيد الانسان بغيره وبما ينقله عنه ويحكيه ، كما يبذل جهدا كبيرا في جعل افعاله واقواله قوية مترابطة الاحداث محكمة الصنع مشدودة الى بعضها كالعقدة القوية لتبدو في صورة مطابقة للحقيقة الاصلية ومقنعة في تسلسلها ، وبهذا تكتمل صورة الحكاية واحداثها التي

---

(٣٠) مجمع الامثال ، للميداني ١/٢٢٩ ، جمهرة الامثال ، للعسكري ١/٤٠٤ ، وقد وردت في امثال الميداني أيضا بمعنى القول حيث يقول (وكان المفضل – فيما حكي عنه – يذكر هذا الحديث) ١/١٩٤ ، ١/٢١٩ .

(٣١) العين ، مج ١٠٦/٣٤أ ، جمهرة اللغة ٣/٢٣٥ ، ٢٧١ ، التهذيب ٥/١٣٠ الصحاح ٦/٢٣١٧ ، اللسان ١٤/١٩١ ، التاج ١٠/٩٤ .

(٣٢) تهذيب اللغة ٥/١٣٠ ، جمهرة اللغة ١/٦٣ ، اللسان ، مادة (حكى) ، التاج ١٠/٩٤ .

اراد ذلك الانسان نقلها للآخرين كما هي في الحقيقة والواقع ، وكلما كانت صادقة ودقيقة في رسم الواقع والحياة الانسانية كانت ناجحة بغض النظر عن حجمها اذ قد تكون حكاية طويلة تنقل عدة احداث للاشخاص انفسهم، او صغيرة الحجم في احداثها وشخوصها ، او قد تكون وسطا بين الحالين ، فبهذا الشكل تنفرد الحكاية بميّزة خاصة فتكون جامعة لكل انواع القصة مع احتفاظها بسماتها الخاصة وشروطها اللازمة لنجاحها كحكاية •

ومما يؤكد تلك النظرة الشمولية لمعناها أنها : (قد اطلقت عند العرب قديما لتدل على الاحاديث والاخبار والأسمار والخرافات) ، (والحكاية أيضا يطلق عليها الخرافة احيانا ، وهي اذا احبكت كشفت عن خلق اصحابها لأن هذا الخلق تتيجة فاذا لم تكشف ذلك فهي معيبة فنياً)[٣٣] •

وهذه الآراء تؤكد حقيقة شمول معنى الحكاية لكل ما في الحياة من صور واحداث ، اذ انها مرآة للواقع بكل ما فيه من حقائق وخيالات (ولهذا اطلقت على القصة التي تصور الحاضر وتحكي جوانب منه)[٣٤] ، وهذه الاقوال التي اكدها الدكتور علي عبدالحليم محمود لا تخرج عما ذكر اعلاه في معنى الحكاية وهي كلها توضح حقيقة مهمة ، هي ان الحكاية اصيلة في تراثنا قديمة في لغتنا بلفظها ومعناها •

ورغم انها لم ترد في القرآن الكريم ، الا انها جاءت في الحديث النبوي بمعنى المحاكاة كما مرّ بنا ، وبمعنى نقل الخبر كما هو في حقيقته •

الاسطورة ، الخرافة ، الملحمة :

الاسطورة •• في اصلها اللغوي ، تعني الخط والكتابة بشكلهما المنظم الذي يتألف من سطور متتابعة ، وهذا واضح في اقدم المعاجم اللغوية

(٣٣) القصة العربية في العصر الجاهلي ، ص١٨ ، ١٩ ، علي عبدالحليم محمود •
(٣٤) المصدر السابق •

كالعين اذ يقول : (السطر : الصف من كتب ومن شجر مغروس ونحوه ، والسطر : الخط والكتابة ، والطرس : الكتاب يمحي ثم يعاد فيه)[٣٥] .

وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى الخط والكتابة في عدة مواضع[٣٦] ، وجاءت ايضا في الشعر ، كقول جرير :

من شاء بايعته مالي وخلعته ما يكمل التَّيم في ديوانهم سطرا [٣٧]

(والسطر جمعه : أسطار ثم أساطير وهي جمع الجمع ومفردها الأسطورة . يقال : سطّر علينا تسطيرا ، أي جاءنا بأحاديث شبه الباطل وهي احاديث لا نظام لها بشيء وتسطّر معناه تولّف وسطّر ما لا أصل له[٣٨] ويقال أيضاً : (سطّر فلان على فلان اذا زخرف الاقاويل ونمقها كما ينمق الكاتب ما يخطه وتلك الاقاويل والأساطير والسّطر . وفي حديث الحسن سأله الاشعث عن شيء من القرآن ، فقال والله انّك ما تسطّر عليّ بشيء أي ما تروج وتلبّس) [٣٩] . واذا حاولنا ربط معنى الخط والكتابة بمعنى الاساطير لأصبح لدينا معنى متكامل لكلمة الاسطورة ، وهي : الاباطيل والاكاذيب المؤلفة والمكتوبة او المروية عن الآخرين (وقد كان للعرب قبل الاسلام اساطير ، مما دعا الضالين منهم عندما استمعوا الى القرآن الكريم ان يقولوا هو اساطير الاولين ، ويتهموا الرسول (ص) بأنه

---

(٣٥) العين ، مج/١٠٥/٣٣٢ب ، جمهرة اللغة ٢/٣٢٩ ، التهذيب ٢/٣٢٦ الصحاح ٢/٦٨٤ ، مقاييس اللغة٣ / ٧٢ ، اللسان : سطر ، التاج ٣/٢٦٦
(٣٦) سورة القلم آية/١ ، الاسراء آية/٥٨ ، الطور آية / ٢ .
(٣٧) الصحاح ٢/٦٨٤ ، التاج ٣/٢٦٦ .
(٣٨) العين مج / ١٠٥/٣٣٢ب ، جمهرة اللغة ٢/٣٢٩ ، التهذيب ٢/٣٢٦ ، الصحاح ٢/٦٨٤ ، مقاييس اللغة ٢/٧٢ ، اللسان : (سطر) التاج ٢/٢٦٦ .
(٣٩) اللسان مادة : (سطر) ، التاج ٣/٢٦٦ ، الفائق في غريب الحديث ٢/١٧٨ النهاية في غريب الحديث (ابن الاثير) ٢/١٦١ .

اكتنب هذه الاساطير) (٤٠) ، وقد وردت هذه الكلمة كثيرا في القرآن الكريم بلفظها ومعناها مثل قوله تعالى : « يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين »(٤١) ٠

فالاسطورة اذن قصة خيالية مؤلفة فيها من التنميق والتزويق والجهد الفكري والخيالي ما يدعو الى التأني في روايتها ونقلها الى الآخرين بوصفها تضم أباطيل وأكاذيب وبعدا عن الواقع فهي اذن عملية خلق وابداع ، ويتوسع حجم الاسطورة بمرور الزمن ، لان كل من يحكيها يضيف اليها ما شاء من خياله ومبالغاته ، وبهذا تصبح قصصا شعبية انسانية تتمثل في الشعوب الساذجة في بداية تقدمها الانساني والحضاري ، فهي اذن (قصص شعبي يعبر عن تجارب الانسانية البدائية وتهتم بالحديث عن موقف الانسان من قوى الطبيعة ومن الآلهة الخيالية كما تخيلها القدماء وموقفه من الكائنات الواقعية ، والاسطورة تشرح بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة وتأتي في ذلك السبيل بكل ما هو عجيب وغريب) (٤٢) ٠

ورغم اننا فصلنا في معنى الاسطورة ، الا اننا لا يمكن ان نجزم بوجودها من حيث الفكرة والمعنى والتركيب في قصائد الشعراء في عصور الادب الاولى ، ولكننا نستطيع القول أن حجم الاسطورة في الفكرة والزمن وعلاقتها بالشعوب يلائم اسلوب النثر ويماشيه اكثر من الشعر وسيتأكد لدينا عند دراستنا للنماذج القصصية في قصائد الشعراء ٠

---

(٤٠) القصة في العصر الجاهلي ، ص١٩ ، قال تعالى :
« وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا » سورة الفرقان ، آية / ٥ ٠

(٤١) سورة الانعام ، آية /٢٥ ٠ ومثلها في الآيات التالية : (القلم /١٥ ، النحل / ٢٤ ، المؤمنون / ٨٣ ، النمل/٦٨ ٠

(٤٢) القصة العربية في العصر الجاهلي ، ص١٩ ــ ٢٠ ٠

الخـــرافة :

يقول ابن فارس في الاصل اللغوي للكلمة : (الخاء والـراء والفـاء اصلان : احدهما ان يجتني الشيء ، والآخر الطريق ، نقول : اخترفت الثمرة، اذا اجتنيتها والخريف الزمان الذي تخترف فيه الثمار) ، امـا في الاصـل الثاني لها فيقول : (المخرفة : الطريق ، وفي الحديث : تركتم على مثل مخرفة النعم ، اي على الطريق الواضح المستقيم)(٤٣) • اما الخرافة والخرف فيقول فيهما : (وبقيت في الباب كلمة هي عندنا شاذة من الاصل ، وهو الخرف ، والخرف فساد العقل من الكبر) (٤٤) • ويظهر من اصل الكلمة اللغوي عدم وجود علاقة بينها وبين معنى الخرف ولكننا مع ذلـك نستطيع ان نتبـين اتفاق اهل اللغة على معنى الخرف والخرافة ، وهي عندهـم (الحديـث المستملح من الكذب ، والخرف فساد العقل من الكبر ، تقول : خرف الشيخ خرفا واخرفه الهرم)(٤٥) • ومن امثالهم (حديث خرافة يا أم عمرو ، ذكر ابن الكلبي في هذا المثل ان خرافة من بني عذرة او من جهينة استهوته الجن واختطفته ثم رجع الى قومه فكان يحدّث بأحاديث مما رأى يعجـب منهـا الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس،وقالوا حديث‌خرافة واجروه على‌كل ما يكذبونه من الاحاديث وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه)(٤٦) ، (والراء في خرافة مخففة ولا تدخله الالف واللام لانه معرفة الا ان يريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل) (٤٧) • وقد جاء في حديث عائشة (رض) عن

---

(٤٣) معجم مقاييس اللغة ٢/١٧١ •
(٤٤) المصدر السابق •
(٤٥) العين مجلد ١٠٦/٥٢أ ، تهذيب اللغة ٣٤٨/٧ ، معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٢/٢١٠ ، اللسان ، مادة : خرف •
(٤٦) تهذيب اللغة ٣٥١/٧ ، معجم مقاييس اللغة ٢/٢١٠ ، اللسان ٩٢/٩ مادة : (خرف) ، النهاية في غريب الحديث ٢٩٠/١ •
(٤٧) اللسان ، مادة (خرف) ٩٢/٩ •

النبي (ص) انه قال لها حدثيني قالت : ما أحدثك حديث خرافة ، ويروى عن النبي (ص) انه قال : خرافة حق والله اعلم)(٤٨) •

فالخرافة اذن حديث متعة وخيال واسع خصب يثير الدهشة والاعجاب والذهول احيانا لما فيه من وقائع ممتعة ومثيرة رغم انها غير حقيقية ، ولا اساس لها من الصحة ، وربما كان الكذب الاكيد فيها مشجعا على الافاضة في الخيال والاغراق فيه الى درجة تجعل المتحدث يبدو كالشيخ الذي اخرفه الهرم وفسد عقله فبدا كالطفل لايحاسبه احد على مايقوله، رغم ان كل ما يقوله ممتع ومسل للآخرين • وهذا ما يذكرنا بقصص الطفولة التي كان الكبار يروونها لنا في الليل لامتاعنا واسكاتنا وارهابنا في احيان كثيرة حتى تفزع الى النوم بعد حديث الليل الخرافي هذا •

ونظرا لكون الخرافة حديثا ممتعا فيه خيال وكذب ، ومن احاديث الليل والاسمار فهو صغير الحجم او على حد تعبير الدكتور علي عبدالحليم محمود قصة قصيرة • يقول : (والخرافة قصة قصيرة من مجموعة الافعال المرتبة التي تدور حول موضوع ، وهي ذات مغزى اخلاقي ، وغالبا ما يكون الاشخاص فيها وحوشا او جمادات او مخلوقات اخرى متخيلة ، والادب العربي به الكثير من هذه القصص التي يمكن ان نطلق عليها خرافة ، وبخاصة في العصر الذي سبق ظهور الاسلام(٤٩) • وعلى هذا فهي خاصة بالنثر ومتميزة فيه اكثر من الشعر وسيتضح لنا هذا عند دراستنا للقصص والحكايات الشعرية •

الملحمة :

يقول ابن فارس في معجمه ذاكرا الاصل اللغوي لكلمة لحم : (اللام والحاء والميم اصل صحيح يدل على تداخل ، كاللحم الذي هو متداخل

---

(٤٨) النهاية ١/٢٩٠ ، اللسان ، مادة (خرف) معجم الامثال ١/١٩٥ •
(٤٩) القصة العربية في العصر الجاهلي ، ص٢١ •

بعضه في بعض وسميت الحرب ملحمة لمعنيين : أحدهما تلاحم الناس : تداخلهم بعضهم في بعض ، والآخر أن القتلى كاللحم الملقى)(٥٠) • (والملحمة ايضا موضع القتال والجمع : الملاحم ، وهي الحرب ذات القتل الشديد والوقعة العظيمة في الفتنة • وألحم الرجل الحاما اذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصا ، ومنه حديث جعفر الطيار يوم مؤتة أنه أخذ الراية بعد قتل زيد فقاتل بها حتى ألحمه القتال فنزل وعقر فرسه) (٥١) ، واكثر الشواهد الشعرية التي وردت فيها كلمة لحم ومشتقاتها كانت في مجال الحرب والقتال وخاصة ايام العرب (٥٢) • قال القطامي :

ولو يستخبر العلماء عنا ومن شهد الملاحم والوقاعا
بتغلب في الحروب ألم يكونوا اشد قبائل العرب امتناعا(٥٣)

فالملحمة اذن كما عرفها العرب تعني الحرب والقتال والتحام الاطراف المتحاربة واشتباكها كما تشتبك لحمة الثوب بالسدى • وفي حديث الرسول (ص) ما يؤكد هذا المعنى حيث يقول : (اليوم يوم الملحمة) ، او قوله :

(ويجمعون للملحمة ، اي الحرب وموضع القتال)(٥٤) •

وبما ان الملحمة في اغلب معانيها تؤكد معنى الحرب والقتال والاشتباك كما هو واضح في الشواهد الشعرية والنثرية ، التي قلنا انها لا تخرج عن

---

(٥٠) مقاييس اللغة ٥/٢٣٨ •

(٥١) جمهرة اللغة ٢/١٨٨ ، تهذيب اللغة٥/١٠٤ ، الصحاح٥/٢٠٢٨ ، مقاييس اللغة ٥/٢٣٨ ، اللسان ٢/٥٣٥،التاج ٩/٥٦،ويقال : الحمت القوم ، أي : قتلتهم ، واللحيم : القتيل • قال ساعدة بن جؤية :
فقالوا تركنا القوم قد حصروا به ولا ريب ان قد كان ثم لحيم

(٥٢) المفضليات ، ص٢٥٢ ، لمحرز بن المكعبر الضبي في يوم الكلاب الثاني ، المفضليات ، ص٣٧٨ ، لعبدالله بن عنمة الضبي في يوم من ايام العرب ، ديوان زهير ، ص١٥٦ (استلحم) •

(٥٣) ديوان القطامي ، ص٣٥ •

(٥٤) النهاية في غريب الحديث ٤/٥٢ •

تلك المعاني • لذا فان الملحمة العربية فى صورتها الشعرية تعني القصائد التي سجلت ايام العرب في عصر ما قبل الاسلام ومعارك الاسلام الكبرى كمعركة بدر واحد ومؤتة كذلك الفتوح الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية ، مثل اليرموك والقادسية ونهاوند •

وهذا لا يعني ان كل حرب او معركة عربية نقرأ عنها هي ملحمة ، لان الحروب كثيرة ، ولكن اذا كانت مؤكدة للمعاني السابقة التي اصطلح عليها العرب ، والتي نشتم منها رائحة الموت والدم والمعارك الحامية الطويلة المدى المتواصلة والتي يتساقط فيها القتلى وتتراكم جثثهم كاللحم الملقى واحدة فوق الاخرى • تكون عند ذلك فقط ملاحم ، وما يقال فيها من شعر هو قصص لبطولات عربية ، وبهذا المنطلق يمكننا عدّ ايام العرب ومعارك المسلمين بعد الاسلام ملاحم انسانية خالدة فى صورتها العربية وضمن المفهوم المتعارف عليه عندهم لغة واصطلاحا ، لا بالمفهوم الحديث لمصطلح الملحمة اليونانية التي تعتمد الخوارق والمبالغات والالهة او انصاف الآلهة •

الملهاة ـ المغامرة ـ المسامرة :

اللهو : (ما شغلك من هوى وطرب واصلها : لها يلهو لهوا) (٥٥) •

اللهو : يقول ابن فارس في اصلها اللغوي (اللام والهاء والحرف المعتل اصلان صحيحان،احدهما يدل على شغل عن شي بشيء ، والاخر نبذ شيء من اليد • فالاول ، وهو كل شيء شغلك عن شيء فقد الهاك ولهوت من اللهو ، ولهوت عن الشيء ، اذا تركته لغيره •• واما الاصل الاخر فاللهوة ، وهو ما يطرحه الطاحن في ثقبة الرحى بيده ، والجمع : لُهى)(٥٦) •

---

(٥٥) تهذيب اللغة ، ٦/٤٢٧ •
(٥٦) مقاييس اللغة ، ٥/٢١٣ •

وبالرغم من تعدد الصيغ التي ترد بها كلمة (لها) الا انها لا تخرج عن المعنى الاوّلي الذي ذكره ابن فارس وهي حبّ شيء والانصراف اليه تمتعا به مع ترك ما عداه والانصراف عنه ، وهذا واضح في قولنا لهـوت عنـه اي : اشتغلت عنه بلهو يعللني وينسيني ذكره(٥٧) ، ومنه قوله تعالى « فانت عنه تلهّى»(٥٨) اي : تنصرف ، (وتجمع كلمة لهو على ملاهي على غير قياس او ملهاة لما من شأنه ان يلهى به)(٥٩) . قال الشاعر ذو الرمة في معنى اللهـو والمتعة : ـــ

ليالي اللهـو يطبيني فاتبعه كأنني ضارب في غمرة لعب(٦٠)

فهو يعبر عن ايام الشباب والمتعة عندما كان يتبع هوى نفسه فيسبح في بحور اللهو كيفما اراد : ويبدو ان هذا الشاعر لم يحدد مصدر المتعة واللهو . اما زهير بن ابي سلمى فقد اوضح ذلك في مقدمة معلقته الغزلية بقولـه :

وفيهن ملهى للطيف ومنظر انيق لعين الناظر المتوسم(٦١)

فالمتعة واللهو مع النساء الجميلات ، واكد ذلك عمر بن ابي ربيعة في قوله وهو يذكر احدى ليالي المتعة واللهو :

---

(٥٧) جمهرة اللغة ، ١٧٨/٣ ، تهذيب اللغة ٤٢٧/٦ ، مقاييس اللغة ٢١٣/٥ ، اللسان ٢٥٨/١٥ ، التاج ٣٣٥/١٠ .

(٥٨) سورة عبس آية/١٠ في قوله تعالى: «واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهّى » . ومنه قوله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» الحجر ، آية / ٣ ، وفي الحديث (ان ابن الزبير (رض) كان اذا سمع صوت الرعد لهى عن حديثه ، اي تركه واعرض عنه) . الفائق في غريب الحديث ٣٣٦/٣ ، تهذيب اللغة ٤٢٧/٦ .

(٥٩) التاج ٣٣٥/١٠ .

(٦٠) ديوان شعر ذى الرمة ، ص٧ .

(٦١) ديوان زهير بن ابي سلمى : ص١٠ .

فيا لك من ليل تقاصر طولـه   وما كان ليلي قبل ذلك يقصر
ويا لك من ملهى هناك ومجلس   لنا لم يكدّره علينا مكدر (٦٢)

ومهما تعددت اسباب اللهو وانواعه (٦٣) فانها ستلتقي في النهاية عند جلب المتعة والسعادة لصاحبها سواء كانت متعته مع الشـــباب والحـــب والغناء(٦٤) والطرب او المتعة (٦٥) ، بل ان الحياة كلها لهو رغم انها زائلة كما قال تعالى : « وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب»(٦٦) ، وهو قول كريم شامل لكل المعاني التي ترد على الخاطر مما يقابل كلمة لهو ملاهي ، ملهاة ممـا يشـغل الانسان ويذهله فينسى نفسه وربه عن قصد او دون قصد ، ولهذا كان بعض اللاهين من البشر يستحقون الشفاعة في نظر الرسول الكريم محمد (ص) : (سألت ربي اللاهين من ذرية البشر ان لا يعذبهم فاعطانيهم) (٦٧) ٠

وبما ان اللهو والملهى والملاهي كلمات تلتقي عند معاني المتعة والسعادة في الحياة ، اصبح كل ما يعبر عن تلك المعاني شعرا ويعكس سعادة صاحبها

---

(٦٢) ديوان عمر بن ابي ربيعة ، ص٩٨ ، وقد ذكر العجاج اللهـوة في وصفـه اطلالا دارسة : (ولهوة اللاهي ولو تنطسا) ، ديوانه ، ص١٢٦ ٠
(٦٣) اللسان ١٥/٢٥٨ يذكر اسباب المتعة ومصادرها في الولد ، المـــرأة ، الحديث الممتع ، الغناء ، مع الشواهد على ذلك ٠٠
(٦٤) قال تعالى في ذلك : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم » ، سورة لقمان ، آية /٦ ، لان لهو الحديث هنـا يعني الغناء واللهو ايضا : المرأة ، في قوله تعالى : « لو اردنا ان نتخذ لهـــوا لا تخذناه من لدنّا ان كنا فاعلين » ، اي يتخذ امرأة ، حاشا الله عن ذلك (سورة الانبياء آية ١٧) ٠
(٦٥) قال الشاعر :
الا زعمت بسباسة اليوم انني   كبرت وان لايحسن اللهو امثالي
(٦٦) سورة العنكبوت ، آية/٦٤ ٠
(٦٧) الفائق في غريب الحديث ٣/٣٣٦ ، تهذيب اللغة ٦/٤٢٧ ، اللسان ، لهى ، التاج ٢٠/٣٣٥ ٠ قيل في تفسيرها : هم البله الغافلون ، وقيل الذين لم يتعمدوا الذنب وانما فرط منهم سهوا وغفلة ، وهم الذين يدعون الله فيقولون : ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ٠

ويذكر قصتها واسبابها واشخاصها وزمانها ومكانها داخلا ضمن تلك المصطلحات وتابعا لها ، ولهذا يمكننا عد قصص امرىء القيس ومغامراته الصاخبة مع ندمائه او في دارة جلجل وكذلك قصص عمر بن ابي ربيعة مع النساء كما وردت في ديوانه ملهاة شعرية بالمعنى اللغوي والاصطلاحي العربي لذلك المصطلح وهي بلا شك قصص واقعية تصور جانبا من حياة الشاعر او المجتمع (٦٨) .

المسامرة :

يقول ابن فارس في الاصل اللغوي لكمة (سمر) : (السين والميم والراء اصل واحد يدل على خلاف البياض في اللون ، ومن ذلك السمرة في الالوان ، واصله قولهم : (لا آتيك السَّمر والقمر) ، والسمر سواد الليل ، فأما السامر ، فهم القوم يسمرون ، وهو ايضا المكان الذي يجتمعون فيه للسَّمر . قال :

(وسامر طال لهم فيه السمر)(٦٩) .

وقد اكد الاصمعي ذلك في قوله : (السمر عندهم : الظلمة ، والاصل اجتماعهم يسمرون في الظلمة ثم كثر حتى سمّوا الظلمة سمرا ، وانشد :

ومن دونهم ان جئتهم سمرا   عزف القيان ومجلس غمر(٧٠)

(٦٨) الملهاة العربية هنا لا تعني بحال مصطلح الملهاة عند الغربيين ، ودراستها هنا تخضع للمفهوم العربي الذي استعملت من خلاله في لغتهم وحياتهم ، وعبروا عنها في قصائدهم الشعرية .

(٦٩) مقاييس اللغة ٣/١٠٠ .

(٧٠) تهذيب اللغة ٤١٨/١٢ ، اللسان : سمر ، ٣٧٦/٤ ، ومثله قول الشاعر :

لا تسقني ان لم ازر سمرا   غطفان موكب جحفل ضخم

اي : ان لم ازر ليلا ...

وبهذا يكون السمر هو متعة الليل التي يجتمع فيها السمار منهم الاحبة ، ومنهم الاهل والعشيرة . قال عمر بن ابي ربيعة يذكر ليلة حب سمر فيها مع حبيبة كريمة :

رب ليل سمرت فيه قصير ورفيق قد كان كفؤاً كريما(71)

وليزيد بن الطثرية قوله في المعنى نفسه :

بأهلي ومالي من جلبت له الاذى ومن ذكره مني قريب أسامره(72)

وقد يلتقي سمار الليل ليسمعوا قصائد الشعر الجميلة ويطربوا لها ، ويؤكد ذلك قول حميد بن ثور وهو يعلن بأنه سيحدو بقصائد يتناقلها الرواة ويلهو بها السمار :

اتاني عن كعب مقال ولم تزل لكعب يمين من يدي وناصر
لاعترضن بالسهل ثم لا حدون قصائد فيها للمعاذير زاجر
قصائد تستحلي الرواة نشيدها ويلهو بها من لاعب الحي سامر(73)

وبهذا جمع بين اللهو ، اي : المتعة وسمر الليل وانشاد الشعر في منتدى الحي ، او على الاصح مكان سمرهم ، ولعل شعورهم بالسعادة والمتعة في تلك الاسمار ينسيهم كل شيء حتى دينهم وقرآنهم وبخاصة عندما يكون السمر بمجالس الطرب والغناء وشرب الخمر (74) . ولهذا نقرأ قول الله

---

(71) ديوان عمر بن ابي ربيعة ، ص234 ، ومثلها في ص96 ، 114 ، 348 ، 352 .
(72) شعر يزيد بن الطثرية ، ص77 ، ومثله للعرجي يذكر السمر والسمّار في الليل ص49 .
(73) ديوان حميد بن ثور ، ص 89 .
(74) تهذيب اللغة 418/12 ، جمهرة اللغة 336/2 ، اللسان ، سمر . قال القطامي في هذا المعنى يصف قوما أرهقهم التعب :
مصرعين من الكلال كأنما سمروا الغبوق من الطلاء المعرق
أي : كأنهم شربوا الخمر في سمرهم .

تعالى : « مستكبرين به سامرا تهجرون »(٧٥) ، اي : تهجرون القرآن في حال سمركم(٧٦) .

وفي احاديث الرسول (ص) ما يؤكد معنى السمر وارتباطه بالليل ، (عن عمر بن الخطاب (رض) كان رسول الله (ص) لا يزال يسمر عند ابي بكر وانه سمر عنده ذات ليلة وانا معه) (٧٧) .

فالسمر أو المسامرة متعة ليلية تشترك فيها كل أسباب اللهو ودواعيه التي ذكرنا البعض منها هنا ، ولهذا تلتقي مع معنى الملهاة في هذه النقطة ولكن تختلف عنها في تحددها بظرف زماني خاص ، بينما تتميز الملهاة بالشمول والتعميم لانها كل ما يشغل الانسان في الحياة من هوى وطرب ولعب ومتعة سواء أكان حلالا ام حراما ، وبهذا تصبح قصص السمر والمسامرة الليلية احد انواع اللهو ، وليست جميعها وهي ايضا من حكايات الادب الواقعي التي يرويها الشاعر .. وضمن هذا المفهوم سندرس قصص المتعة واللهو والمسامرة كما جاءت في شعر الشعراء وحكاياتهم .

المغامرة :

غمر : الاصل اللغوي للكلمة كما يقول ابن فارس (الغين والميم والراء اصل صحيح يدل على تغطية وستر في بعض الشدة من ذلك الغمر : اي الماء الكثير وسمي بذلك لانه يغمر ما تحته) (٧٨) ، ثم يتوسع المعنى فيشتق منه (فرس غمر للكثير الجري ، ورجل غمر للكريم المعطاء والواسع الخلق ، وماء

(٧٥) سوة المؤمنون ، آية/٦٧ .
(٧٦) تهذيب اللغة ٤١٨/١٢ ، جمهرة اللغة ٣٣٦/٢ ، اللسان ، سمر .
(٧٧) مسند ابن حنبل ٢٣١/١ (وفي حديث مثله : اذ جاء زوجها من السامر ، ومنه حديث السمر بعد العشاء) ، النهاية في غريب الحديث ١٨١/٢ .
(٧٨) مقاييس اللغة ، ابن فارس ٣٩٢/٤ .

غمر للكثير المغرق)(٧٩) ، ثم توسع المعنى اكثر فكانت (الغمرة ـ الغواية او : الانهماك في الباطل واللهو ، سميت كذلك لانها شيء يستر الحق عن عين صاحبها ولهذا قيل : هو يضرب في غمرة اللهو ويتسكع في غمرة الفتنة) (٨٠) •

وقد وردت كلمة غمرة بمعنى الماء الكثير المغرق كثيرا في شعر الشعراء(٨١) ، وبمعنى موضع القتال ايضا من الغمرات وهي الشدائد في قول الحطيئة :

وقد علمت خيل ابن خشعة انها — متى تلق يوما غمرة لا تعاند(٨٢)

والمغامر : الذي يدخل في غمرة الحرب والشدائد فتغطيه وتحجبه عن الآخرين ، ومن يدخل غمار الحرب والموت فهو مغامر كما عبر عن ذلك ابو ضب الهذلي وهو يصف اقدامه في احد الحروب :

ولقد اقود الجيش احمل رايتي — للجيش يقدمهم كمي اصيد

ليث يغامر للطعان كأنما — يقم الرجال به فنيق ملبد(٨٣)

---

(٧٩) جمهرة اللغة ٢/٣٩٦ ، تهذيب اللغة ٨/١٢٨ ، الصحاح ٢/٧٧٢ ، مقاييس اللغة ٤/٣٩٢ ، اللسان (غمر) •

(٨٠) المصادر السابقة نفسها ، قال تعالى في معنى غمرة اللهو التي تغطي عيون اهلها : « وتحجب الحق عنهم داعيا الى تركهم حتى يعودوا الى صوابهم « فذرهم في غمرتهم » سورة المؤمنون ، آية /٥٤ ، وقوله تعالى : « بل قلوبهم في غمرة من هذا » ، المؤمنون ، آية / ٦٣ •

(٨١) ديوان زهير ، ص٢٥ ، ١١٩ ، ٢٦٠ ـ شرح اشعار الهذليين ٣/١١٠٤ ، لمليح بن الحكم وهو يصف ابلا تسير في الصحراء كانها السفن فوق ماء غمر : (بحريّة فوق غمر الماء غادية ٠٠٠٠ الخ) ومثلها قوله في ص١٠٤٦ بالمعنى نفسه

(٨٢) ديوان الحطيئة ص ٤٧ •

(٨٣) شرح اشعار الهذليين ٢/٧٠٤ ، ٢/٦٩٥ لابي شهاب المزني يصف يوما من ايام العرب :

على مقدم لم يقدم الدهر مثله — اخو القوم الا المستميت المغامر

والمغامر ايضا : الذي يطلب الخصومة ومنه (حديث خيبر : شاكي السلاح بطل مغامر اى مخاصم ومحاقد) النهاية في غريب الحديث ٣/١٧٠ -

وجمع غمرة : غمر ، وقد ذكرها القطامي وهو يصف سفينة نوح وهي تصل الى الجودى وتنحسر عنها غمرة الطوفان :

وعامت وهي قاصدة باذن ولولا الله جار بها الجوار
الى الجودى حتى صار حجرا وحان لتالك الغمر انحسار(٨٤)

وهكذا وجدنا ان معاني التغطية والستر والشدة الأصلية تطورت الى معان جديدة لا تخرج في اطارها العام عن الشدائد والمحن التي تصادف الانسان وكيف يقف منها ، ولهذا يمكننا عد بعض قصص البطولة والحروب التي تعتمد على المخاطر المهلكة قصص مغامرات بالمعنى العربي لتلك اللفظة • وحروب الجهاد بعد الاسلام والفتوح الاسلامية حافلة بأمثال تلك المغامرات البطولية في مجال الحرب • كما تجب الاشارة الى ان المغامرة وقصصها لا تكتمل في احداثها وفكرتها الا اذا كانت تتضمن اشتراك جماعة من الناس فيها لتؤدي معنى الكثرة والزحمة ، وبالتالي التغطية والستر ، وهي بهذا تلتقي مع المسامرة رغم اختلاف الهدف ، حيث لا تتم الا بوجود جماعة يتسامرون •

الخبر ، الحدث ، الحوار :

وهناك مصطلحات يمكننا ادخالها ضمن معجم القصة والحكاية ، بوصفها من مسلتزماتها او احد عناصرها ، ولهذا ستكون دراستنا لها بشكل يوضح تلك العلاقة ويؤكدها من خلال النظرة العربية التي اوضحتها كتب العرب اللغوية واستعمالاتهم لها في الشعر والنثر •

فالخبر كما تقول المعاجم : (له اصلان لغويان : الاول العلم ، والثاني يدل على لين ورخاوة وغزر) (٨٥) • وفي المعنى الاول يقولون : (الخبر

---

(٨٤) اللسان ٤/٢٩ ، ديوان القطامي ، ص١٤٢ •
(٨٥) مقاييس اللغة ٢/٢٣٩ •

معروف وهو ما اتاك من نبأ عمّن تستخبر ، وتقول العرب : هل من جائبة خبر ؟ اي هل من خبر يجوب البلاد فيجيء من مكان بعيد)(٨٦) • فهو اذن العلم بالشيء من جهة الخبر وأخبرت أعلمت (٨٧) • وهذا العلم وتلك المعرفة لا تصل الينا الا اذا تخبرنا خبرها اي : سألنا عنه وتتبعناه كما يتتبع القاص اخبار الآخرين ليذكرها للناس ، وقيل في معنى القصص انها الاخبار المتتبعة (٨٨) ، وفي هذا المعنى قال عمر بن أبي ربيعة :

فرحنا وقلنا للغلام اقض حاجة لنا ثم ادركنا ولا تتغبّر
سراعا نغشّم الطير ان سنحت لنا وان يلقنا الركبان لا تتخبر(٨٩)

وقوله على لسان امرأة وصويحباتها :

وقولا : قد ظفرت بها كفاك وخبّرا الخبرا (٩٠)

وفي الحديث : ان الرسول (ص) ، بعث من بين يديه عينا من خزاعة يتخبّر له خبر كفّار قريش •• الخ) فتخبر واستخبر اذا سأل عن الاخبار ليعرفها (٩١) • كما وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة آيات(٩٢) •

---

(٨٦) العين مجلد ١٠٦/٥٢أ ، جمهرة اللغة ٢٣٣/١ ، تهذيب اللغة ٣٦٤/٧ ، الصحاح ٦٤١/٢ •

(٨٧) ومنه الخبير ، وهو العالم ببواطن الامور المجرب لها ، ومنه قوله تعالى : « ولا ينبئك مثل خبير » ، وهي من صفات الله تعالى وسع علمه كل شيء المفردات في غريب القرآن ، ص١٤١ (سورة فاطر آية/٣٥) سورة المجادلة آية / ١١ •

(٨٨) المفردات في غريب القرآن ، ص٤٠٤ •

(٨٩) ديوان عمر بن ابي ربيعة ، ص١٠٥ ، ومثلها قوله في ص١٠٨ •

(٩٠) ديوانه ، ص١٦٨ ، ومثلها في ص١٧٤ ، ١٦٥ •

(٩١) الصحاح ٦٤١/٢ ، اساس البلاغة ٢١٣/١ ، النهاية في غريب الحديث ٢٧٩/١ ، الفائق في غريب الحديث ، ٣٤٦/١ ، وقد ترد كلمة خبر بمعنى الحديث النبوي وبالعكس ابن حنبل ٢٦٦/٧ ، ٢٣٢/٨ ، وهي بهذا المعنى مصطلح ديني يرتبط بالرسول (ص) ولا علاقة له بالقصة او الحكاية•

(٩٢) سورة النمل ، آية/٧ ، سورة الكهف ، آية ٦٨ ، سورة التوبة آية/٩٤ ، سورة الزلزلة ، آية ٤ •

ويبدو أن هذه الكلمة اكثر ما تعني وقائع واحداثا منقولة بوساطة ما بغض النظر عن حجم تلك الحوادث ، اما الاصل الثاني للكلمة خبر فهو الغزر ومنها اشنق الخبر وهو المزادة العظيمة ، وقد مر بنا أن الرواية تعني ايضا المزادة في احد اصولها اللغوية ، وربما يلتقيان في هذا الجانب فيكون الخبر المنقول واسع الاحداث متشعب الافكار متعدد الشخصيات فيشبع المستخبر ويملأ اسماعه ويرويه كما يروي الماء شاربه •

وهنا يكون الاسلوب النثري اصدق وارحب مجالا له من الشعر سواء في القصص الاخبارية أو الروائية • اما بالنسبة للشعر فاذا كان حكاية اخبارية منقولة فالافضل ان تكون قصيرة صغيرة الحجم والاحداث لتلائم اسلوب الشعر المقيّد بالوزن والقافية هذا فضلا عن كونها واقعية حقيقية ، وبخاصة فيما يتعلق بحياة الشاعر او مجتمعه أو احداث عصره وهذا يعني تنوع الاخبار القصصية فقد تكون اخبارا غرامية او احداثا حربية أو أجتماعية •• الخ • اما اذا كان خبرا تاريخيا أو حديثا نبويا شريفاً فسيكون خارج اطار هذا البحث وبخاصة اذا كان لا يتضمن احداثا فيها روح قصصية •

الحوار :

اما الحوار فهو ايضا نوع من الحديث ، ولكنه حديث مشترك يدور بين طرفين •• وأصله اللغوي يوضحه ابن فارس في قوله : (الحاء والواو والراء ثلاثة أصول : احدها لون ، والآخر الرجوع ، والثالث أن يدور الشيء دورا) (٩٣) والحوار من (حار يحور حورا ومحارة اذا رجع ، ومن امثالهم حور في محارة)(٩٤) • أما معنى الرجوع فقد أوضحته المعاجم بأنه : (كل

---

(٩٣) مقاييس اللغة ٢/١١٥ •

(٩٤) العين مجلد ١٠٦/ص٣٦أ ، جمهرة اللغة ١٤٦/٢ (يضرب هذا المثل في الرجل اذا كان امره يدبر فيتحير) ، الصحاح ٦٣٨/٢ ، اللسان ، (حور)•

شيء يتغير من حال الى حال ، فانك تقول حار الى الشيء وعنه حورا ، اي : رجع (٩٥) ، (وهذا الرجوع هو من صلاح الى فساد ، ومن زيادة الى نقصان)(٩٦) . وفي قوله تعالى : « انه ظن أنه لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا» (٩٧) . تأكيد لمعنى الرجوع السابق ، أي ظنّ أنه لن يحشر(٩٨) .

وقد وردت كلمة حور بهذا المعنى في الشعر العربي في قول لبيد بن ربيعة :

وما المرء الا كالشهاب وضوئه   يحور رمادا بعد اذ هو ساطع(٩٩)

اي يتغير من حال الى حال فيرجع من الزيادة الى النقصان .

وكما وردت في الحديث النبوي ايضا بالمعنى نفسه وبلفظة حور(١٠٠) ، ثم تطور معنى الرجوع الاصلي في حور الى رجوع الكلام ودورانه ذهابا وايابا لتتكون (المحاورة والحوير ، الاسم من المحاورة في الكلام)(١٠١) ، (وكلّمت فلانا فما أحار جوابا وما سمعت له حوارا ، وحاورت الرجل محاورة ، اذا كلمك فأجبته ، والمحاورة : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة (١٠٢) . وقد وردت الحوار والمحاورة بهذا المعنى في الشعر في قول

---

(٩٥) تهذيب اللغة ٢٢٧/٥ ، اللسان ٢١٧/٤ .

(٩٦) جمهرة اللغة ١٤٦/٢ ، ومن امثالهم : (نعوذ بالله من الحور بعد الكور) ، أي من النقصان بعد الزيادة . وكذلك المثل (الباطل في حور) اي رجوع ونقص . تهذيب اللغة ٢٢٧/٥ ، مقاييس اللغة ١١٥/٢ ، الصحاح ٦٣٨/٢ .

(٩٧) الانشقاق ، آية / ١٤ .

(٩٨) جمهرة اللغة ١٤٦/٢ .

(٩٩) ديوانه ، ص١٦٩ ، تهذيب اللغة ٢٢٧/٥ ، ومثلها قول سبيع بن الخطيم

واستعجلوا عن خفيف المضغ فازدردوا   والذم يبقى وزاد القوم في حور

مقاييس اللغة ١١٥/٢ ، اللسان ٢١٧/٤ .

(١٠٠) الفائق في غريب الحديث ٣٢٢/٢ .

(١٠١) العين مجلد ١٠٦/ورقة ٣٦ أ ، تهذيب اللغة ٢٢٧/٥ .

(١٠٢) جمهرة اللغة ١٤٦/٢ ، تهذيب اللغة ٢٢٧/٥ ، الصحاح ٦٣٨/٢ ، مقاييس اللغة ١١٥/٢ ، اللسان ٢١٧/٤ .

البريق الخناعي رائيا :

أودع صاحبي بالغيب انــي أراني لا أحس له حــوارا(١٠٣)

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة :

بينــا تحاورهــن قمــت الى أقفائهن لا سمع الحورا(١٠٤)

اي جئت اليهن من حيث لا يرينني لا تسمع الى ما يقلنه .

وقال ايضا في حديث رمزي مع الديار الخالية مستعملا الحوار والحديث بالمعنى نفسه :

قلت نعم فأبيني في محــاورة وحدثيني حديث الركب من كانا (١٠٥)

وكذلك أوردها يزيد بن الطثرية في قصيدة يتغزل فيها :

ومستخبر عنها ليعلم ما الــذي لها في فؤادي ودّ أنــي أحاوره(١٠٦)

كما وردت الكلمة في القرآن الكريم بلفظها ومعناها في قوله تعالى : « فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا وأعز نفرا »(١٠٧) ، وقــوله تعالى : « ونشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما » (١٠٨) .

فالحور الذي هو الرجوع والدوران تطوّر مجازا الى رجوع الكلام ودورانه بين اثنين كما يدور المحور اي الخشبة التي تدور فيها المحالة على

---

(١٠٣) شرح اشعار الهذليين ج٢/٧٤٣ .

(١٠٤) ديوان عمر بن ابي ربيعة ، ص١٥٦ ، ومثله في ص١٦٢ قوله :

فاجابت في ملاطفــة اسرعت فيه لها الحورا

(١٠٥) المصدر السابق ، ص٣٠٧ ، ومثله في ص٢٥٨ .

(١٠٦) شعر يزيد بن الطثرية ، ص٧٦ ، ومثله في ص٧٧ يستعملها بمعنى الحوار والرجوع :

ومن لو جرت شحناء بيني وبينه وحاورني لم أدر كيف احاوره

(١٠٧) سورة الكهف ، آية / ٣٤ .

(١٠٨) سورة المجادلة ، آية ١ .

سبيل التشبيه . اما الاصل الثالث للكلمة الذي هو اللون الابيض بشكل خاص(١٠٩) ، فليس له علاقة بموضوع بحثنا .

ويظهر ان الحوار بهذا المعنى المجازي من عناصر القصة والحكاية الاساسية وهو دليل الحركة المستمرة والحياة واستمرار الاحداث ، وقد تطور ضمن معناه الجديد الى انواع متعددة ، فأصبح حوارا مع النفس وحوارا مع الغير وحوارا رمزيا وحوارا حسّيا .. الخ . وهذا واضح في الشعر العربي بشكل عام وخاصة في حديث الشاعر مع ذكرياته عند وقوفه على الاطلال .

والحوار كلام مجرد ويختلف عن الحديث والخبر في أنه لا يعني الا القول الذي يدور بين اثنين بينما يكون معنى الحديث والخبر دالا على القول تارة والفعل أخرى أو كليهما ، ولكن ذلك القول مرتبط بشخص واحد دون اجابة عنه اما الحدث فهو الفعل الجديد الطارىء دون انذار سابق ، ولكن الكاتب او الشاعر يصنعه ليدفع قصته الى مسيرة صحيحة من حيث الاحداث والشخوص والحوار او الحديث .

---

(١٠٩) مقاييس اللغة ٢/١١٥ ، اللسان : مادة (حور) .



الفصل الثاني

أوليات القصة في الشعر العربي



القصة في الشعر قبل الاسلام :

القصة بمفهومها العام حدث او مجموعة احداث متتالية يحيطها ويوجهها ظرف زماني ومكاني خاص كما يصنع لها شخوصها ضمن تلك الظروف بحيث تنسجم معها وتعيش احداثها منذ بدايتها الى ان تدخل مرحلة العقدة والصراع ثم النهاية التي تحسم ذلك الصراع الذي يعيش فيه ابطال القصة خاضعين في تصرفاتهم لعقلية الكاتب وتصوره الخاص لمنطق الاحداث •

وهذا التعريف الموجز للقصة معروف وبديهي لدى كل باحث في هـذا المجال وتتضح معالمه تماما في مجال القصة النثرية الاعتيادية ، وقد اوردته هنا للفصل بينه وبين القصة الشعرية بمعناها العام الذي يفرضـه النص الشعري القصصي في مختلف العصور الادبية ثم لتأكيد معنى القصة الشعرية العربية بصورة خاصة ضمن الظروف التي يحتويها هذا البحث ، وهي عصر ما قبل الاسلام اولا بوصفه نواة لتلك القصة ثم استمرارها وتطورها فيما بعد في صدر الاسلام ثم العصر الاموي •

والقصة بمفهومها السابق مصطلح حديث في الاسـ[illegible] اوجـدته الظروف الاجتماعية والانسانية بشكل عام ، والادبية بشكل خاص • وقد يلتقي مع المصطلح الذي مر بنا للقصة والحكاية في بعض الاسس العامة ، كافتراض وجود الحدث والاشخاص والحوار ولكن بمعناهـا العـربـي الاصطلاحي وذلك لان الظروف التاريخية والاجتماعية والدينيـة والادبيـة احاطت تلك المصطلحات وحددت مفهومها ضمن البيئة الزمانيـة والمكانيـة

التي نشأت فيها سواء كانت عربية قديمة او غربية حديثة ، وفي هذا البحث كانت فترة العصر الجاهلي وصدر الاسلام والى نهاية العصر الاموي هي بيئة هذه الدراسة •

وعلى هذا الاساس يجب علينا تحديد مفهوم القصة الشعرية العربية ضمن الفترة التي يشملها هذا البحث اولا ، ثم اثبات صحة وجودها كبداية للقصة في الشعر العربي في عصر ما قبل الاسلام ثانيا ، واستمرارها في العصور التي جاءت بعده عن طريق دراسة النصوص الشعرية بوصفها الدليل الواضح على ما نقول •

لقد كان الحديث عن القصة العربية بنوعيها الشعري والنثري ومازال موضع اهتمام الباحثين ومدار تساؤلهم وحيرتهم ورغم البحوث والجهود المتواصلةفيهذا المجال،الا ان النتيجة كانت سلبيةورافضة لهذا التراث الادبي الاصيل(١) • والسبب كما يظهر من بحوثهم انهم اعتمدوا المنظار الاوربي لدراسة القصة العربية فأبتعدوا بذلك عن الموطن الحقيقي والبيئة والظروف الاصلية لتلك القصة وبهذا البسوها غير لبوسها وحكموا عليها بالبعد عن المنحى القصصي شعرا ونثرا ضمن تلك الاطر والقواعد التي تلائم اصحابها فقط ، وهم اليونان والفرنجة بشكل خاص والغربيون بشكل عام •

وهناك نقطة مهمة يجب توضيحها ، هي ان حكمنا على تلك الآراء الحديثة بالبعد عن الارضية الحقيقية للتراث الادبي العربي الشعري والنثري جاء بعد دراستها وامعان النظر فيها ، ولهذا يمكننا القول انها تدور حول أسس معينة تعتمد على القواعد اليونانية والغربية في الحكم على وجود

---

(١) النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ص٥٢٣ـ٥٢٥ ، ٣٧٣ • في العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، ص١٨٩ ، الادب وفنونه ، محمد مندور، ص٥٥ • النقد الادبي ، احمد امين ١/٧٧ ، تاريخ اداب العرب للرافعي ١٤٦/٣ •

القصة في الشعر العربي وابرز تلك الاسس والقواعد ، هـي تقسيماتهـم لاغراض الشـعر ، وهـي : (الغنائي ، والوجداني ، والملحمي ، والتعليمي التمثيلي ••• الخ) (٢) أو انهم يقسمونها على نوعين رئيسين تتفرع منهمـا باقي اغراض الشعر ، وهما الشعر الموضوعي الذي يشـمل الشعر القصصي والتمثيلي والتعليمي والشعر الغنائي الذي يشمل بهذه الصفة الشعر العربي منذ اقدم عصوره(٣) •

ويظهر ان غنائية الشعر العربي ساعدت اولئك الباحثين فـي اصـدار حكمهم مبررت لهم الحكم عليه بالتجرد من الروح القصصية ، وسبب ذلك كما يقولون ابتعاده عن الموضوعية التي هي في نظرهم صفة اساسية للشعر القصصي وشعر الملاحم والشعر التمثيلي وشعر المسرحيات(٤) • وفي ذلك نقرأ ما قاله الدكتور شوقي ضيف مشيرا الى التقسيمات السابقة (فهذه الضروب الثلاثة من الشعر « اي القصصي والتعليمي والتمثيلي » لم يعرفها الجاهليون فشعرهم منظومات قصيرة قلما تجاوزت مائة بيت ، وهو شعر ذاتي يمثـل صاحبه واهواءه ، على حين الضروب السابقة جميعا موضوعيـة ، فالشاعر فيها لا يتحدث عن مشاعره واحاسيسه ، وانما يتحدث عن اشياء خارجة عنه ، سواء حين يقص او حين يعلّم او حين يمثل) (٥) •

وفكرة الغنائية او التعبير عن المشاعر الذاتية في القصيدة العربية حقيقة ثابتة ، اكدها نقاد العرب القدماء كابن قتيبة وابن رشيق عندما شرحوا دوافع

---

(٢) المصادر السابقة نفسها •
(٣) النقد الادبي ـ احمد امين ١/٧٧ ، وانظر ايضا : في تاريخ الادب العربي ـ في العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ، ص١٨٩ ـ ١٩٠ ، وانظر : الادب وفنونه محمد مندور ، ص٥٥ ، وانظر : النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال : ص٣٧٣ ، وانظر ايضا : شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي ، احمد كمال زكي ، ص٢٥٦ وما بعدها •
(٤) المصادر السابقة نفسها •
(٥) تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ، ص١٩٠ •

الشعر اولا واركانه وقواعده ثانيا(٦) • فلم يخرجوا عن فكرة الغنائية والوجدانية عند الشعراء لان الشاعر انما سمي كذلك لانه يشعر بما لا يشعر به غيره فهو عندهم كنفثات مصدور جاشت عواطفه ، ولابد للمصدور ان ينفث ، هذا فضلا عن عدّهم اياها صفة مميزة للشاعر الناجح على بقية الشعراء (٧) •

ولكن المسألة المهمة التي يجب توضيحها وادراكها ان تلك الغنائية لا تعني بأية حال بعدا عن القصصية ، يبرهن على ذلك القصائد الشعرية الكثيرة في مختلف اغراض الشعر والتي تؤكد الروح القصصية عند الشاعر العربي في عصري : ما قبل الاسلام والاسلامي ثم الاموي •• وهذا ما جعل الدكتور شوقي ضيف يناقض نفسه امام تلك الحقيقة الماثلة في النصوص الشعرية مؤكدا اعترافه بوجود تلك الروح القصصية ، ولكنه يسميها وصفا للحيوان او الطبيعة او وصفا للصائد وكلابه او وصفا لمغامرات الصعاليك او وصفا للعواطف في الغزل كما في قصة المنخل اليشكري •• الخ(٨) • ورغم ذلك يعترف في نهاية حديثه بوجود القصة في الشعر العربي فيقول : (فاذا قلنا بعد ذلك كله ان معانيهم كان يسودها في بعض جوانبها ضرب من الروح القصصية لم نكن مبالغين وهي روح لم تتسع عندهم فقد اضعفتها حركتهم وميلهم الى السرعة والايجاز) ثم يضيف مناقضا نفسه مرة اخرى : (وبذلك

---

(٦) الشعر والشعراء ١/٧٨،٨٠ ، العمدة١/١٢٠ • وقواعد الشعر اربع : الرغبة والرهبة والطرب والغضب • اما اغراض الشعر فهي خمسة : النسيب والمدح والهجاء والفخر والوصف •

(٧) البيان والتبيين ٤/٤٦ • قال معاوية لصحار العبدي : ما هذا الذي يظهر منكم قال : شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على السنتنا •
الشعر والشعراء ١/٨٢ (اشعر الشعراء من أنت في شعره حتى تفرغ منه ، العمدة ١/١١٦ تحت عنوان بم سمّي الشاعر شاعرا •

(٨) شوقي ضيف ، ص٢٢٣ ـ ٢٢٥ • يسمي المؤلف بذلك قصص الحيوان وقصص الصعاليك وقصص الغزل •• الخ •

لم يظهر عندهم ضرب من ضروب الشعر القصصي فقد ظل شعرهم غنائيا ذاتيا يتغنى فيه الشاعر باهوائه وعواطفه ، غير محاول صنع قصة) (٩) •

والغنائية او الذاتية صفتان لا يمكن انكارهما في الشعر العربي بوصفهما تعبيراً عن وجدان الشاعر واحاسيسه ولكنه عندما ينجح في نقل تجربته الشعورية خارج نطاق ذاته بحيث يجعلنا نشاركه مايحس به وننفعل معه يكون قد نجح ايضا في الجمع بين الذاتية والموضوعية في آن واحد ، وجعل ما يحس به انسانيا عاما فيخرج من نطاق الفرد الى المجموع ، وقد كان هذا واقع الحال بالنسبة لشاعر عصر ما قبل الاسلام ، وهذا ما دفعهم الى القول ايضا (اشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه) (١٠) • فعندما ينجح الشاعر في اثارة مشاعر الآخرين وعواطفهم يكون اشعر الناس في نظر ابن قتيبة كناقد قديم للشعر والشعراء •

ولقد كان شاعر ما قبل الاسلام لسان حال قبيلته وممثلها امام القبائل والمجتمعات الاخرى ، ولهذا كانت القبيلة تحتفل اذا نبغ فيها شاعر وتحضر القبائل لتهنئتها كما يقول ابن رشيق والسبب (لانه حماية لاعراضهم وذبّ عن احسابهم وتخليد لمآثرهم او اشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ أو فرس تنتج)(١١)•

وعلى هذا يمكننا القول ان ذاتية الشاعر في عصر ما قبل الاسلام قد تحققت ضمن المجموع وهي القبيلة التي هو فرد منها يرتبط معها برباط العصبية القبلية كما تحولت فرديته الى تجربة انسانية عامة ينظر فيها الى المجتمع من خلال منظاره الخاص ويلون الصورة الانسانية العامة باحاسيسه الفردية فتنعكس وتنتقل الى الآخرين بشكل تجربة انسانية حيّة قد تكون

---

(٩) تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ص٢٢٣ـ٢٢٥ •
(١٠) الشعر والشعراء ١/٨٢ •
(١١) العمدة ١/٦٥ •

باسلوب قصصي سردي واحيانا خيالي وصفي يمتزج بالواقع لكي ينجح في التأثير من حيث صدق الحقيقة واماتتها أولا ، وجمال العاطفة والوجدان ثانيا •

وفكرة الذاتية الوجدانية الممتزجة بالروح الانسانية والمعبّرة عنها قد اكدها الباحثون كالدكتور احمد أمين (١٢) ومحمد مندور (١٣) فهما يعدّان الشعر الذاتي نافذة تطل منها على المجتمع الانساني العام بمختلف الاشكال والاساليب •

ومسألة جعل الشعر الغنائي الذاتي بهذه الصورة الشمولية الواسعة وضمن نطاق الانسانية العام يبعد تلك الدراسات الحديثة لعدم ملاءمتها لواقع الشعر العربي بشكل عام والقصصي بشكل خاص للاسباب التي وردت في أثناء هذا الحديث •

وقد اكد أحد الباحثين في هذا المجال وهو الدكتور محمود الجادر تلك الفكرة في حديثه عن ملامح السرد القصصي في القصيدة العربية قبل الاسلام مضيفا أن محاولة تطبيق النظريات الغربية على الادب العربي كانت السبب في صدود الباحثين عن الخوض في مجال القصة الشعرية العربية ، لان ذلك

---

(١٢) يقول الدكتور احمد امين ، النقد الادبي ٧٦/١ ، ٧٧ : « والشعر الذاتي يشمل كل نواحي الحياة تقريبا إبتداء من تلك النواحي الضيقة الى النواحي الانسانية الواسعة » ويضيف (وفي هذه الحالة لا نحتاج الى أن نضع انفسنا مكان الشاعر ، فالشاعر قد اراحنا بوضع نفسه مكاننا ، والدراسة التي عنيت بالادب دلّتنا على ان الشعر الذاتي بدأ بالرغبة في التعبير عن العواطف القبلية او الجماعية لا الفردية ، فالشعر الجاهلي فيه انّا ونحن اكثر من أنا) •

(١٣) يقول الدكتور محمد مندور : الادب وفنونه ، ص٦٣ (كل ما حدث هو تطوّر في نوعية هذا الوجدان العاطفي فهو قد يكون وجدانا ذاتيا عند الرومانسيين، وقد يتحول الى وجدان اجتماعي عند الواقعيين ، ولكنه يظل محتفظا دائما بنبرات الوجدان البشري وحرارته والا فقد حقه في أن يسمى شعرا ، واصبح سياسة او فلسفة أو اجتماعا ولم يعد شعرا على الاطلاق) •

يدفعهم الى اجتلاب الاسس النظرية اجتلابا في ميدان لا يصلح لتطبيقها ـ مؤكدا في النهاية فشل تلك الدراسات في الوصول الى النتائج المرجوة لهـا(١٤) •

وضمن تلك الخصوصية ايضا للموروث الادبي العربي تحدث الدكتور علي عبدالحليم محمود(١٥) مؤكدا اصالة القصة العربية في كل عصورها الادبية بعد أن رفض اخضاع الادب العربي لمقاييس ارسطو في الشعر ثم قال في النهاية (المهم اننا ما ينبغي أن نعطي لأي مقاييس سلطانا على ادبنا وعلى اجناسه مهما كان اصحاب تلك المقاييس ، ولو كانوا ارسطو وغيره من عمالقة الفكر اليوناني ، ويتساءل بعد ذلك لماذا لا نقول ان القصة العربية في كل عصر من عصور الادب قد اتخذت الشكل الملائم لجنسها الادبي في عصرها فجاءت استجابة لحاجات الناس في المجتمع الذي عاشوا فيه)(١٦) •

مجمل القول ان القصة الشعرية العربية بوصفها تراثاً ادبيا أصيلا حقيقة قائمة بدأت منذ عصر ما قبل الاسلام وتطورت في اغراضها ومعانيها واساليبها على مختلف العصور الادبية علما ان هذه الحقيقة فرضتها البيئة العربية والواقع الاصيل للظروف الاجتماعية واقتصادية والدينية للعرب منذ اقدم عصورهم •

---

(١٤) مجلة دراسات للاجيال ــ السنة الاولى ، العدد ٢ ، ص٣٧ في موضوع « ملامح السرد القصصي في القصيدة العربية قبل الاسلام» •

(١٥) القصة العربية في العصر الجاهلي ، ص٣٣٨ ، وفي ص٣٤٢ يتحدث عن خصائص القصة كما وضعها الغربيون (الحدث ، السرد ، البناء ، الشخصية ، الزمان والمكان والفكرة) والتي يدعي كثير من النقاد العرب او أغلبهم بان القصة العربية قد خلت منها ، ولهذا يتهمونها بالقصور والعجز • ويرفض الباحث تلك الآراء لانها في رأيه تمثل الاداب الغربية ذاتها ولا علاقة لها بالعرب لا بالزمان ولا المكان ، ولا تناسب الا البيئة الغربية الاوربية •

(١٦) القصة العربية في العصر الجاهلي ، ص٣٣٨ •

سمات القصة في الشعر ما قبل الاسلام : (نماذج وتحليل)

القصة الشعرية في ابسط صورها تحكي حدثا او مجموعة احداث تمس حياة الشاعر او مجتمعه او الطبيعة المحيطة به بما فيها من أحياء او جماد قد تجتمع وتتتابع في غرض واحد او قد تتوزع بين اغراض مختلفة في اهدافها ومعانيها وقد ترد القصة الشعرية ايضا مقصودة وبخاصة في غرض الرثاء كما نقرأ ذلك في شعر الهذليين وغايتها واضحة هي تأكيد فداحة المصاب مع الاقرار بحكم القدر والايمان به بشكل حتمي(١٧) • ووردت بشكل عفوي كما في القصص الاستطرادية التي تحكي حياة حيوان الصحراء وصراعه مع المـوت متمثلا في الصائد وكلابه وكذلك القصص الحربية القبلية •• الخ • وسيتضح لنا ذلك أثناء عرض بعض النماذج الشعرية القصصية لهذا العصر •

وبالرغم من عدم وجود قواعد عامةوثابتة فى القصة الشعرية في عصر ما قبل الاسلام ، الا ان هناك صفات مشتركة في تلك القصص تدفعنا للقول بأنهم يقلدون بعضهم بعضا فيها (١٨) كقصص الحيوان مثلا او قصص الجماد ، كقصة صنع العسل عند شعراء هذيل (١٩) ، او قصة صنع القوس عند اوس ابن حجر ، والشماخ بن ضـرار الغطفاني(٢٠) وكـــذلك قصص المقدمـــات الطللية التي نقرأها في بداية كل قصيدة نظمت في عصر ما قبل الاسلام •

---

(١٧) اشار الى ذلك الدكتور احمد كمال زكي في كتابه (شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي ، ص٢١٠ ، ومثله : الدكتور نوري القيسي في كتابه « الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ص٣١٦ تحت موضوع القصصية في شعر الطبيعة ، وكتابه : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية » ، ص ٩٧ •

(١٨) اشار الى ذلك الدكتور احمد كمال زكي في كتابه « شـــعر الهذليين فـــي العصرين الجاهلي والاسلامي ، ص١٩٧ » في بحثه للمعاني الشعرية المشتركة بين شعر الصعاليك والذؤبان في هذيل كالرثاء والوصف ، ص٢٥٦ أيضا في بحثه عن القصصية في الشعر الهذلي •• الخ •

(١٩) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي ، ص١٩٧ •

(٢٠) ديوان أوس بن حجر ، ص٨٥ ، ديوان الشماخ بن ضرار ، ص٤٣ •

والقصة الشعرية تختلف عن القصة النثرية بصفـات معينـة يمكننـا توضيحها بشكل موجز للخروج بها من قواعد وضوابط القصص النثرية من جهة ثم تأكيد اثر الوزن والقافية في تحديد أسلوبها ومضمونها ورسم احداثها وصولا بها الى النهاية المحددة لها في ذهن الشاعر من جهة أخرى ، وهـذه الصفات هي :

١ ـ اعتمادها الشعر اساسا في عرض الاحداث وسردها وتقيّدهـا بالوزن والقافية في اسلوبها يفترض فيها التركيز والاختصار والبعـد عـن التفصيل والتحليل وهذا لا يعني بالنتيجة قصر ابيات القصيدة او طولها قـدر ما يعني السرعة والتركيـز والدقـة فـي عـرض الاحـداث وصـولا بهـا الـى النهـاية المرسـومة لهـا فـي خيـال الشاعر ، وهذه القواعد التركيبيـة للقصة الشعرية اخرجتهـا مـن اسـلوب القصـة النثرية الروائي الذي يعتمد على حرية الكاتب في الكتابـة والتفصيـل او التحليل والاسهاب منذ بداية قصته الى نهايتها ، لتكوّن لها اسلوبها القصصي الخاص بها والذي يعتمد الشعر اساسا في ذلك .

٢ ـ وبوصف القصـة الشعرية مقيـدة بالوزن والقافية والدقـة والبعد عن التفصيلات المطولة التي نراها في القصة النثرية . لذا فان الشاعر القاص يراعي في عرض قصته الشعرية جمال الصنعة وصدق العاطفة مع براعة فـي الخيال والتشبيهات ليستطيع بذلك ان يكوّن قصة تشد القارىء او السامع وتدفعه لمتابعة احداثها والاستمتاع بها الى نهايتها ، لانها قد تكون قصة ذاتية بسيطة ساذجة ، ولكن جمال الاسلوب وصدق الاحاسيس ورقة الشـعور تخرجهـا من نطاقها الذاتي الوجداني الضـيق الخاص بالشاعر وحده لتصبـح انسانية عامة ، يتقبلها الآخرون بسهولة ويتجاوبون معها بصدق وبهذا تصبح قصة الشاعر وتجربته الذاتية الفردية موضوعية انسانية ، يحس بها كل قارىء وينفعل باحداثها اولا وروعة اسلوبها ثانيا .

٣ ـ وتمتاز القصة الشعرية في عصر ما قبل الاسلام ايضا بأنها استطرادية عفوية(٢١) ، ولهذا نقرأ في القصيدة الواحدة اكثر من قصة مختلفة الاغراض والاتجاهات ، فمعلقة امرىء القيس مثلا تحتوي على عدة قصص يستطرد فيها الشاعر تباعا فيقص لنا مغامراته الغرامية في دارة جلجل ، ويستطرد بعدها الى مغامرة لهو وصيد ومتعة تراق فيها الخمر مع بعض الندمان ، ثم ينتقل الى قصة من قصص الطبيعة كالمطر الذي بدأ بسيطا ثم تحول الى سيل جارف مدّمر (٢٢) .

الا ربّ يوم لك منهنّ صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيّتي فيا عجبا من رحلها المتحمّل
يظلّ العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهدّاب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

ويستمر في سرد مغامراته الماجنة باسلوب فيه من الحركة والحوار وتتابع الاحداث ما يشد القارىء اليه ويمتعه بهذا الاسلوب القصصي الواقعي ولكن رغم تلك المتع التي يسردها مع اولئك النسوة الجميلات ، الا انه لا ينسى قصته مع الهموم وليالي الاسى فيقول في ابياته المشهورة :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لمّا تمطّى بجوزه وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الا انجلِ بصبح وما الاصباح منك بأمثل
كأنّ الثريا علّقت في مصامها بأمراس كتان الى صمّ جندل(٢٣)

---

(٢١) امرؤ القيس ، ديوانه ، ص١٠ ، ١٨ ، ٢٤ .
(٢٢) ديوانه ، ص١٠ـ١٩ .
(٢٣) نفسه وانظر مثلها قصة لجران العود النميري في المغامرات الغرامية (المنشور والمنظوم) القصائد المفردات التي لا مثيل لها ، ص٤٢ ـ ٤٤ .

ثم يفيق الشاعر من همومه فيغتدى والطير في وكناتها على حصانه القوي السريع الذي يفخر باصالته وسرعته وجمال منظره واستعداده الدائم للقيام بواجبه ، وهو كما يبدو هنا مستعد للصيد الذي مهد للحديث عنه أو جرّه اليه ذكر الحصان كما يظهر في قوله :

ربات عليه سرجه ولجامه   وبات بعيني قائما غير مرسل

فحصانه ، اذن ، كان بكامل عدّته طول الليل انتظارا لقدوم الصباح والصيد :

فعنّ لنا سرب كأنّ نعاجه   عذارى دوار في الملاء المذلّل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه   بجيد معّم في العشيرة مخول
فألحقنا بالهاديات ودونه   جواحرها في صرّة لم تزيّل
فعادي عداء بين ثور ونعجة   دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
وظلّ طهاة اللحم من بين منضج   صفيف شواء او قدير معجّل
ورحنا وراح الطرف ينفض رأسه   متى ما ترقّ العين فيه تسهّل
كأنّ دماء الهاديات بنحره   عصارة حنّاء بشيب مرجّل
وأنت اذا استدبرته سدّ فرجه   بضاف فويق الأرض ليس بأعزل(٢٤)

والملاحظ ان هذه القصة ليست من قصص الحيوان بما فيها من صراع دموي على البقاء بين الصائد والفريسة ، وانما هي قصة صيد فيها متعة ولهو وخمر وطعام وندمان •

أما قصة المطر والبرق والرعد الذي قعد الشاعر يراقبه هو وصحبه فحدثنا عنه منذ أن بدأ بسيطا الى ان تحول الى سيل جارف لم يترك شيئاً امامه الاّ خربه وهدّمه واكتسحه •• وقد اعتمد في حديثه اسلوب الخطاب

(٢٤) ديوان امرىء القيس ، ص٢١،٢٢ ومثلها ايضا في ديوانه ، ص٣٦،٤٦،١٧٢ قصة صيد ومتعة ايضا يشترك فيها الحصان • اما الطريدة فكانت ثورا وحمارا وحشيا وظليما اصطادهم جميعا •

المباشر ثم الوصف الذي ضمنّه قصة المطر جميعها :

أحارِ نرى برقا كأنّ وميضه ... كلمع اليدين في حَبِيٍّ مكلّل
يضيء سناه او مصابيح راهب ... أهان السليط في الذّبال المفتّل
قعدت له وصحبتي بين حامر ... وبين اكام ، بعد ما متأمّل
وأضحى يسح الماء عن كل فيقة ... يكبّ على الاذقان دوح الكنهبل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا اطماً الا مشيداً بجندل
كأن طميّة المجيمر غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل
كأن أبانا في أفانين ودقه ... كبير أناس في بجاد مزمّل
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزول اليماني ذي العياب المخوّل(٢٥)

ولا شك في أن كل تلك القصص التي سردها الشاعر هي من حديث الذكريات التي اثارتها في نفسه اطلال الحبيبة عندما وقف باكيا دامع العين يستعيد من خلال آثارها الصامتة او المندرسة حياته الماضية بكل متعتها وجمالها وبكل همومها ومرارتها في مقدمة القصيدة السابقة :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرام في عرصاتها ... وقيعانها كأنه حب فلفل
كأني غداة البين يوم تحملوا ... لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم ... وهل عند رسم دارس من معوّل
كدينك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل
ففاضت دموع العين مني صبابة ... على النحر حتى بلّ دمعي محملي(٢٦)

---

(٢٥) ديوان امرىء القيس ، ص٢٤ ، ومثله في ديوان لبيد ، ص٨٨ .

(٢٦) ديوان امرىء القيس ، ص٨ ، المعلقة ، ومثلها مقدمة النابغة الذبياني الطللية ديوانه ، ص٢٣٣ ، وانظر : المفضليات ، ص٢٨٧ للمثقب العبدي (من قصص الذكريات والرحيل) ، ديوان الاسود بن يعفر ، ص٦٣ (قصة حب وذكريات مع رحيل الاحبة) .

وهذه المقدمة الطللية هي بحد ذاتها قصة معاناة نفسية مُرّة عاشها الشاعر امام الاطلال الدارسة ، وقد عاش مثلها في ليلة الهموم التي روى لنا قصتها ، ويبدو أن قصصه اللاهية مع النساء او مع الندمان والصيد ليست الا ردود فعل لحالته تلك ، ولهذا يمكننا عدها استطرادا مقصودا لنسيان الواقع المرّ الذي يعانيه الشاعر بدليل تلك الحكايات والذكريات التي يستطرد اليها تباعا واحدة بغد الاخرى .

وتجب الاشارة هنا الى ان هذا النوع من القصص التي تجتمع في قصائد الشعراء لا نجده الا في المطولات ، لان المقطعات القصار أضيق مجالا من أن تحتوى ذلك النوع من القصص في الحجم والنوع ، ولهذا تشتمل في الاغلب على قصة واحدة فيها حدث واحد وفكرة واحدة دائما . وقصائد الرثاء الطويلة من النوع الذي تبرز فيه هذه الحقيقة ، وقد اشار الى ذلك الدكتور أحمد كمال زكي عند تصويره للاسلوب العام للشعراء الهذليين في العصرين الجاهلي وصدر الاسلام مؤكدا ان الطابع القصصي الاستطرادي يتكامل في قصائد الرثاء الطويلة لسعة المجال وحرية الشاعر المطلقة في التصرف في اللغة والتخيل والتفاصيل (٢٧) .

والقصة الشعرية ايضا عفوية وغير مقصودة احيانا ، ولهذا نجد احداثها تحكي واقع الحال الذي يعيشه الشاعر في كثير من الاحيان مثل بعض قصص الحروب الجاهلية (٢٨) التي تشمل الاحداث الحربية والبطولات لفرسان القبائل المتحاربة ، ولو كانت مقصودة لكانت قصصا اخبارية تأريخية تلتزم الدقة في نقل الاحداث دون أن يكون للعاطفة أثر فيها هذا

(٢٧) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي ـ احمد كمال زكي ، ص٢١٠ .

(٢٨) ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٤ ، معلقته التي يذكر فيها حرب عبس وذبيان وسعيه للصلح بينهما ورفضه للحرب .. الخ .

فضلا عن عرضها بالاسلوب النثري المناسب مع الاستشهاد بالشعر ان احتاج الامر الى ذلك .. وعلى هذا لا يمكننا عدّها قصصا اخبارية او تاريخية لانها تصدر عن شاعر اولا وغير مقصودة ثانيا ، وليس منها اذن سرد الوقائع المجردة دون عاطفة او انفعال ، وانما بيان وجهة نظر القبيلة التي يتحدث الشاعر باسمها ويفخر بالحروب التي تخوضها ، ذاكرا أمجادها في الثأر والانتقام للقتلى ومادحا دعاة السلم والصلح والساعين من اجله كما فعل زهير بن أبي سلمى في معلقته التي مطلعها :

أمن أم اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

فذكر بعد انتهائه من المقدمة الطللية التقليدية قصة الحرب بين عبس وذبيان وتتألف عنده من فكرتين : اولاهما محاولات الصلح واحلال السلم التي قام بها الحارث بن عوف وهرم بن سنان وهما من غيظ بن مرّة لجمع الشمل ورأب الصدع والمتضمنة مثلا اعطاء الديات لاهل القتلى من الاموال والابل لتخفيف حدة القتال وتهدئة النفوس المطالبة بالثأر واستمرار الحرب رغم القرابة وصلة الرحم التي تربط بين الفريقين المتحاربين . اما الفصل الثاني ، فهو صورة حقيقية لخيبة الامل وفشل المساعي السابقة في احلال السلام بسبب التهور والحمق الذي يمثله دعاة الحرب والثأر مثل حصين بن ضمضم وهو الذي قتل ورد بن حابس العبسي ولم يدخل في الصلح لئلا يطالب بدم القتيل وانفرد بالقتال وحده مستعدا لذلك بفرسان مسلحين وكانت النتيجة مزيدا من الخسائر في الدماء والاموال دون نتيجة .

ولنرجع الى الفصل الاول من القصة الذي يقول فيه ضمن الغرض العام للقصيدة وهو مدحه هرم بن سنان داعية السلم والصلح كما قلنا في البداية :

سعى ساعيا غيظ بن مرّة بعدما — تبزّل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله — رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما — على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما — تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا — بمال ومعروف من الامر نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن — بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عَظِيمَيْنِ في عليا معدّ هديتما — ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
وأصبح يحدى فيهم من تلادكم — مغانم شتى من افال مزنّم
تعفّى الكلوم بالمئين وأصبحت — ينجّمها من ليس فيها بمجرم
ينجّمها قوم لقوم غرامة — ولم يُهَرِيقُوا بينهم ملء محجم

وبعد نهاية حديث الديات ومحاولات الصلح السابقة يبدأ الفصل الثاني ويحمل لهجة الخطاب الممزوج بالمرارة لفشل المساعي السابقة فيقول :

ألا أبلغ الاحلاف عني رسالة — وذبيان هل أَقْسَمْتُمُ كل مُقسم
فلاتكتمن الله ما في صدوركم — ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر — ليوم الحساب او يعجل فينعم
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم — وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة — وتضر ـ اذا أضريتموها ـ فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها — وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم — كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم مالا تغلّ لاهلها — قرى بالعراق من قفيز ودرهم
لَحِيٌّ حلال يعصم الناس امرهم — اذا طرقت احدى الليالي بمعظم
كرام فلا ذو الضغن يدرك تبله — ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم
رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا — غمارا تفرّى بالسلاح وبالدم

فقضّوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كلأً مستوبل متوخم

ورغم النصح وحديث الحكمة ودعوة التعقل تلك ، تشتعل الحرب من جديد ويفتح حصين بن ضمضم بقتله ورد بن حابس العبسي ورفضه الدخول في الصلح المتفق عليه ، بابا جديدا للحرب مستعدا لذلك بفرسان مسلحين مخفيا نيته العدوانية تلك حتى عن قومه واقرب الناس اليه ، وفي هذا يقول الشاعر :

لعمري لنعم الحيّ جرّ عليهم بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتجمجم
وقال سأقضي حاجتي ثم اتقي عدوّى بألف من ورائي ملجم
فشد ولم ينظر بيوتا كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكي السلاح مقذّف له لبد أظفاره لم تقلم
جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا والاّ يُبْدَ بالظلم يظلم
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم دم ابن نهيك أو قتيل المثلّم
ولا شاركت في الحرب في دم نوفل ولا وهب فيها ولا ابن المخزّم
فكلاًّ أراهم أصبحوا يعقلونه صحيحات مال طالعات بمخرم
تساق الى قوم لقوم غرامة علاقة الف بعد ألف مصتّم (٢٩)

---

(٢٩) ديوان زهير ، ص١٤ (حربية قبلية) .
وانظر في قصص الحروب والايام الجاهلية ايضا :
أ ـ قصة لعلقمة بن عبدة في المدح وتصوير بطولة الممدوح (المفضليات ، ص٣٩٠) .
ب ـ قصة لبشر بن أبي خازم الاسدي في الفخر بقبيلته وبعض ايامها المشهورة (الاصمعيات ، ص١٨٢) .
ج ـ ديوان عنترة ، ص٣٧ في غارة حربية قام بها على بني ضبة وتميم .
د ـ المفضليات ، ص٢٩٥ ، قصة شعرية حربية قبلية للشاعر يزيد بن خذاق غرضها الهجاء بين قوم الشاعر والملك النعمان بن المنذر .

فالقصة هنا ، كما رأينا ، غير مقصودة ، او بالاحرى عفوية وهي اقرب الى الحكاية بوصفها تحكي واقع حال جرى وسيجري حسب توقعات الشاعر وبما انها تتعلق بحرب لم تنته بعد وما زالت في اوجها وشدتها فضلا عن شمولها لعدة جهات أهمها القبائل المتحاربة ثم احلافها ودعاة السلم الذين تصدروا لدفع الدية والعقل لأهل القتلى رغبة في انهاء القتال ، كل تلك العوامل تجعلها تبدو مفككة في اطارها العام وتسلسل احداثها وسردها القصصي فضلا عن افتقادها عامل الحبكة القصصية بسبب تنوع اسلوب الشاعر في عرض الاحداث فهو تارة يعتمد الوصف واخرى الحوار والخطاب ثم سرد الخبر ثم وصف مآسي الحرب وهكذا .

ويمكننا القول انها صورة من صور الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان سببها الاساسي هو فرسا داحس والغبراء والرهان الساذج حولهما ثم تطور الاحداث الى ما لا نهاية ، فهي قصة لها بداية وفيها صراع مستمر وعقدة بدأت بسيطة ساذجة ثم انتهت الى مرحلة مأساوية يأمل اصحابها من الزمن ومرور الايام وسيطرة العقل والحكمة على النفوس ان يحلها لهم .. وهي حكاية واقع حال حدث فعلا وقصة حرب لا تدخل الى ساحة المعركة لتعكس ما يجري داخلها من قتل وسبي وهلاك وانما تتحدث عنها كبداية ونتيجة مع كره شديد لاستمرارها ، ورغبة اكيدة في انهائها وحلها باقصر الطرق واكثرها سلما وأقلها خسائر مع مدح لمن يحاول ذلك قولا أو فعلا سواء كانوا رابحين تلك المعركة أم خاسرين لها :

اغراض القصة في شعر ما قبل الاسلام :

نماذج وتحليل للاغراض الآتية :

أ - من قصص البطولة .

ب - من قصص الحيوان الاستطرادية .

ج ـ من القصص الاجتماعية .

البطولة والحروب :

مر بنا اثناء الحديث عن ملامح القصة الشعرية العربية أحد النماذج الشعرية للقصة الحربية القبلية بشكل عام وهي قصة واقعية معروفة ومشهورة، وتكاد تقترب في بساطتها وواقعيتها من الحكايات الانسانية العامة .

وهناك حقيقة مهمة يجب توضيحها هنا . ان دراستنا للقصة الحربية الشعرية في عصر ما قبل الاسلام ليست تاريخية اخبارية او اقتصادية اجتماعية وانما هي دراسة ادبية صرف وتتركز على دراسة القصة الحربية من خلال القصائد والنماذج الشعرية التي بين ايدينا دون الالتفات الى ما يحيط بها من ظروف تاريخية ودوافع اجتماعية أو اقتصادية مما يجعلها قصة تاريخية اخبارية ويبعدها عن روح النص الذي يحدد وحده فقط اطار ونوعية تلك الدراسة .

وقصائد البطولة والحروب الجاهلية قيلت اما قبل الحرب أو في ساحة المعركة أو بعد انتهائها وهي لا تخرج في اغلب معانيها واحداثها عن الاستعداد والتهيؤ للقتال بالاسلحة والرجال طلبا للثأر أو الانتقام أو استرداد أرض مغتصبة او كرامة مهدورة .. الخ .

وشاعر عصر ما قبل الاسلام يتحدث بلسان قبيلته وهو فارس ايضا يدافع عنها بلسانه وسيفه معا ، ولهذا يشترك الاثنان ، السيف والقلم في رواية قصص البطولة والحروب على لسان شاعر القبيلة . اما بشكل عام يشمل قوم الشاعر كلهم او بشكل خاص يشمل الشاعر نفسه مع جماعة من فرسان القبيلة . اما الغرض العام الذي يحيط احداث القصة فهو اما رثاء للفارس القتيل او فخر بشجاعة القبيلة او هجاء للقبيلة المعادية وهكذا .

وتجب الاشارة الى ان قصص البطولة وحروب ماقبل الاسلام التي ترد قبل أو بعد المعركة لا تسجل كل ما دار في ذلك اليوم وانما تعكس جانبا منه يمثل وجهة نظر الشاعر وقومه ، واحيانا يمثل الاطراف المتنازعة جميعا ، وهذا واضح في المنصفات وهي القصائد التي أنصف فيها الشعراء وصدقوا في تسجيل الحقائق الحربية التي تتضمن الارباح والخسائر لكلا الطرفين المتنازعين ، والتي سنورد نماذج منها خلال هذا الفصل .

فمن قصص البطولة الحربية القبلية نقرأ قصيدة دريد بن الصمّة التي رثى بها أخاه عبدالله الذي قتل في يوم اللوى حيث خرج معه في ذلك اليوم مغيرا على غطفان فأصاب منهم ابلا عظيمة فأستاقها ، فلما كانا ببعض الطريق نزلا للراحة وتقسيم الغنائم في منطقة تدعى اللوى هو ومن معه فنهاهم دريد عن ذلك محذرا من خطر الاغارة والانتقام ولكنه في الوقت نفسه كان منقادا لهم لانهم قومه على كل حال ، وبينما هم كذلك اذا ابل مغيرة واذا فزارة تتبعهم وتحققت مخاوف دريد اذ قتل اخوه في ذلك اليوم ، ولهذا قال تلك القصيدة التي يرثي بها أخاه ، باكيا فقدانه ذاكرا حكاية بطولته ، بادئا رثاءه ببيت واحد من الغزل ثم منتقلا بعده الى الرثاء :

أرثّ جديد الحبل من أم معبد ... بعاقبة واخلفت كل موعد
أعاذل ان الرزء في مثل خالد ... ولا رزء فيما اهلك المرء عن يد

أما قصة ذلك اليوم فقد سجلها من ساحة القتال في منطقة اللوى ، ويذكر ايضا نصحه لهم بترك ذلك المكان دون جدوى :

وقلت لعرّاض واصحاب عارض ... ورهط بني السواد والقوم شهّدي
علانية ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارسيّ المسرّد
امرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد الاّ ضحى الغد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وانني غير مهتد
وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد
وان تعقب الايام والدهر تعلموا بني قارب انّا غضاب بمعبد

وهكذا نقف مع الشاعر في ساحة المعركة ونجده مرغما كذلك على اتخاذ قرار الحرب مع أخيه بدافع العصبية القبلية ورابطة الدم التي يتهاوى امامها نداء العقل والرشد ، ويلتحم الطرفان وتلتقي الفوارس ويسقط اخو الشاعر قتيلا رغم محاولته الدفاع عنه وصد الرماح عن صدره ، الا ان الموت يسلبه منه بكل قسوة ومرارة .

ولذلك يقول وهو ما زال في ساحة المعركة :

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا فقلت أعبد الله ذلكم الردى
وان يك عبدالله خلّى مكانه فما كان وقّافا ولا طائش اليد
وهوّن وجدي أنني لم أقل له كذبت ولم ابخل بما ملكت يدي
وكنت كأني واثق بمصدّر يمشّي بأكناف الحديد فمحتد
غداة دعاني والرماح ينشنه كوقع الصياصي في النسيج المحدد
وكنت كذات البو ريعت فأقبلت الى جذم من مسك سقب مجلد
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت وحتى علاني حالك اللون اسود
طعان امرىء آسى أخاه بنفسه ويعلم أن المرء غير مخلّد
وهون وجدي انما هو فارط أمامي واني وارد اليوم أو غد

ومع ايمان الشاعر بحقيقة الموت وحتميته ، الا انه جمد رهبة وجزعا عندما وقف أمام جسد أخيه ملتاعا مفجوعا .. لقد كان بطلا رائعا ، فقد واجه الاعداء والرماح المتساقطة عليه كأنها شوكة الحائك في ثوب ينسج وقد طلب المعونة ولكن بعد فوات الاوان . ومات البطل وسقط صريعا فأقبل عليه

يشمّه بشوق ولهفة كأنه الناقة التي ذبح ولدها وحشي جلده تبنا فتوهمت انه ما يزال حيا فأحاطت به بحنان ولهفة (٣٠) .

وحكايات البطولة في أيام ما قبل الاسلام قد تكون أوسع نطاقا في احداثها وشخوصها وزمانها فلا تقتصر على جماعة من الفرسان المتحاربين وانما تشمل قبائل كاملة كما حصل في يوم الفروق وملزق الذي يسرد لنا حكايته الشاعر سلامة بن جندل ويبدأ حديثه بالغزل التقليدي ثم يحتوي القصة ضمن فخره بقومه وبطولتهم وحسن بلائهم فيقول :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق   خلا عهده بين الصليب فمطرق
أكبّ عليه كاتب بدواته   وحادثه في العين جدة مهرق
لأسماء اذ تهوى وصالك انها   كذى جدة من وحش صاحة مرشق

وينهي مقدمته بسرعة ليدخل الى ساحة المعركة فنقرأ في أبياته قصة الصراع الرهيب من اجل الكرامة والدفاع عن النفس والشرف فيتساءل هل أتت أخبار بطولتنا اهل مأرب كما أتت غيرهم ، وهل سمعوا عن استماتتنا في الدفاع عن نسائنا وقتلنا من حاول الاقتراب منا في ملزق .. لقد حاربناهم وشتتنا شملهم وارجعناهم الى العراق وتهامة وكنا صامدين ثابتين مع جيشنا القوي ونحن متسلحون باسلحة القتال كلها ، وقد جاءت جموع لقتالنا فحاصرناهم برماحنا وسيوفنا وشتتنا شملهم فتمزقت اجسادهم على اديم الصحراء كأنها قطع الحديد التي يصنع منها القيون سيوفهم وتم كل شيء بسرعة ، قتلهم وموتهم تمزق جسدهم وتفرقه وتشتت شملهم حتى لكأن امطارا غزيرة انصبت عليهم ففرقتهم ، أو كأن ريحا عاصفة شديدة هاجمتهم كما تهاجم

---

(٣٠) الاصمعيات ، ص١٠٦ وفي ص١١١ يذكر قصة ثأره لاخيه من قاتليه :

(يا راكبا امّا عرضت فبلغن   أبا غالب أن قد ثأرنا بغالب
قتلت بعبدالله خير لداته   ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب)

النبات اليابس فتذروه في كل مكان ، وانتهى كل شيء وهدأت ساحة القتال بقدوم الليل ولم ينج الا الحصان او الفرس السريعان في الركض والهرب ، وخلت ساحة المعركة الا من دروعهم ونوقهم ، أما من استسلم وسلّم سلاحه فنجا ، وأما من حاول قتالنا بسلاحه فقد قتل ، وكانت أم بجير (وهي زوجة عبدالله بن سلمة) اثناء القتال وسماعها الانباء عن انتصارنا وموت ولدها بجير تخمش وجهها وتحلق شعرها . ولولا قدوم الليل لما استطاع أحد منهم الهرب والنجاة لان قتالنا كان شديدا وكانت الدماء تسيل بغزارة كأفواه القرب المفتوحة ، وقد اغرى ذلك الطيور الجارحة فمالت باجنحتها الى الارض تمتص الدماء وتأكل جثث الاعداء المتناثرة هنا وهناك .. ولنقرأ القصة بتفاصيلها على لسان الشاعر وباسلوبه الشعري الجميل :

ألا هل أتت أنباؤنا أهل مأرب	كما قد أتت اهل الدبا والخورنق
بأنا منعنا بالفروق نساءنا	ونحن قتلنا من أتانا بملزق
تبلّغهم عيس الركاب وشومها	فريقي معد من تهام ومعرق
وموقعنا في غير دار تئية	وملحقنا بالعارض المتألق
اذا ما علونا ظهر نعل كأنما	على الهام منا قيض بيض مفلق
من الحس اذا جاوؤا الينا بجمعهم	غداة لقيناهم بجأواء فيلق
كأن النعام باض فوق رؤوسهم	بنهي القذاف او بنهي محقق
ضممنا عليهم حافتيهم بصادق	من الطعن حتى أزمعوا بتفرق
كأن مناخا من قيون ومنزلا	بحيث التقينا من أكف وأسوق
كأنهم كانوا ظباء بصفصف	أفاءت عليهم غبية ذات مصدق
كأن اختلاء المشرفي رؤوسهم	هوى جنوب في يبيس محرق
لدن غدوة حتى اتى الليل دونهم	ولم ينج الا كل جرداء خيفق
ومستوعب في الجرى فضل عنانه	كمر الغزال الشادن المتطلق

فألقوا لنا أرسان كل نجيبة | وسابغة كأنها متن خرنق
مداخلة من نسج داود سكها | كحب الجنا من أبلم متفرق
فمن يك ذا ثوب تنله رماحنا | ومن يك عريانا يوائل فيسبق
ومن يدعوا شيئا يعالج بيأسه | ومن لا يغالوا بالرهائن ينفق
وأم بجير في تمارس بيننا | متى تأتها الانباء تخمش وتحلق
تركنا بجيرا حيث ما كان جده | وفينا فراس عانيا غير مطلق
ولولا جنان الليل ما آب عامر | الى جعفر سرباله لم يخرق
بضرب تظل الطير فيه جوانحا | وطعن كأفواه المزاد المفتق(٣١)

وهناك نوع من القصص الحربية الذي يدخل الى ساحة المعركة ويروي قصة الالتحام بتفاصيلها وبموضوعية كاملة كأنه متفرج يروي مشاهد حربية يراها امامه بكل صدق وأمانة دون انحياز الى أحد الطرفين على سبيل المدح او الفخر ، وغير ذلك من الامور المعتادة في الشعر الحربي ، وهذه القصص هي المنصفات (٣٢) .

وقد اخترت اصدق المنصفات تعبيرا عن قصة الحرب الصادقة كما جاءت على لسان عبدالشارق بن عبدالعزّى الجهني لاحتوائها الاحداث في أبيات قليلة دون قصور :

---

(٣١) الاصمعيات ص١٣٣ ، ومثلها قصيدة لعوف بن عطية عن معركة صغيرة قام بها مع فتيان من قومه . المفضليات ص٣٢٧ ، والقصة من ساحة المعركة ايضا قصة وصفية ، ولمالك بن نويرة في الاصمعيات ص١٩٢ قصة حربية من ساحة المعركة ايضا بين قبائل متحاربة ، وبنفس اسلوب سلامة بن جندل .

(٣٢) الاصمعيات ، ص١٩٩ منصفة المفضل البكرى ، ص٢٠٩ ، منصفة العباس ابن مرداس ، وتروى في ديوان عمرو بن معد يكرب ، ص١٩٧-١٩٨ .
وهناك كتاب يجمع المنصفات لعبدالمعينّ الملوحي ، واشهرها ، ص١٣ ، ٤١ ، ٦٦ .. الخ ، ويذكر انها قصائد طويلة تقارب الاربعين بيتا احيانا .

ألا حييت عنا يا ردينا نحييها وان كرمت علينا
ردينة لو رأيت غداة جئنا على أضماتنا وقد اختوينا
فأرسلنا أبا عمرو ربيئا فقال ألا انعموا بالقوم عينا
ودسوا فارسا منهم عشاء فلم نغدو بفارسهم لدينا
فجاؤا عارضا بردا وجئنا كمثل السيل نركب وازعينا
تنادوا : يالبهثة اذ رأونا فقلنا أحسني ضربا جهينا
سمعنا دعوة عن ظهر غيب فجلنا جولة ثم ارعوينا
فلما أن تواقفنا قليلا أنخنا للكلاكل فارتمينا
فلما لم ندع قوسا وسهما مشينا نحوهم ومشوا الينا
تلألؤ مزنة برقت لاخرى اذا حجلوا بأسياف ردينا
فمن يرنا يقل سيف أتي نكر عليهم وهم علينا
شددنا شدة فقتلت منهم ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا بأرجل مثلهم ورموا جوينا
وكان اخي جوين ذا حفاظ وكان القتل للفتيان زينا
فآبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا
وباتوا بالصعيد لهم احاح ولو خفت لنا الكلمى سرينا(٣٣)

فالمعركة كما يرويها الشاعر متكاملة الاطراف وهو موضوعي في سرده لها ، وقد جعلها جزأين متكاملين •• أولها : استعداد كلا الطرفين للمعركة وتوجههم نحو ساحة القتال مع ارسال الرقباء والجواسيس ليستطلعوا الجو العام ، وهذا يوصلنا الى نهاية البيت السابع ليأتي بعد ذلك الجزء الثاني وهو يشمل لقاء الطرفين المتحاربين على ساحة المعركة وما جرى من قتل وجرح وتمزيق اشلاء • واخيرا يوجز النهاية في البيتين الاخيرين وفيهما يؤكد الخسارة والهلاك لكل منهما ماديا ومعنويا •

---

(٣٣) المنصفات : عبدالمعين الملوخي ، ص٤١ •

وقصص الحرب والبطولة في الشعر العربي قد تأخذ طابعا فرديا ذاتيا حين يتصدى الشاعر لتأكيد بطولته وشجاعته ومروءته في أحدى المناسبات التي تتعلق بالحرب كانقاذ اسرى معركة حربية من الاسر كما فعل عمرو بن معد يكرب عندما انقذ سبية مذحجيين من اسر هوازن :

ألم ترني اذ ضمني البلد القفر   سمعت نداء يصدع القلب ياعمرو
أغثنا فانا عصبة مذحجية   نناط على وفر وليس لنا وفر
تكلّفنا يا عمرو ما ليس عندنا   هوازن فانظر ما الذي صنع الدهر
واقحمت مهري حين صادفت غرة   من القوم حتى قلت قد عقر المهر
فانجيت اسرى مذحج من هوازن   ولم ينجهم الا السكينة والصبر
ونادوا جميعا حلّ عنا وثاقنا   أخا البطش ان الامر يحدثه الامر
وأبت باسرى لم يكن بين قتلهم   وبين طعاني اليوم ما دونه فتر
يزيد وعمرو والحصين ومالك   ووهب وسفيان وسابعهم وبر(٣٤)

والقصة واضحة وهي اقرب الى الحكاية البسيطة التي تعكس واقعا حصل للشاعر فعلا اذ تصادف وجوده في مكان مقفر وحيدا منفردا الا من شجاعته وقوة ارادته وفجأة يسمع صوت استغاثة يصدع القلب كما يقول ، مناديا يا عمرو ، ياعمرو اغثنا فاننا جماعة من مذحج تطالبنا هوازن بما لا نستطيع تقديمه لها وهو المال ، لاننا فقراء . ففكر الشاعر قليلا كيف يتجاوز هذه المحنة ويفك أسر هؤلاء الاسرى المستغيثين به ، واخيرا قرر ان ينتظر الى الفجر ، وفي وقت الهدوء ليباغت القوم ويقتحم جمعهم بمهره وهكذا فعل ونجّى اسرى مذحج من هوازن بهدوئه وصبره . وعندما انقذهم طلبوا منه بلهفة ان يفك

(٣٤) ديوان عمرو بن معد يكرب ، ص١٠٨ .
لقد اخترت هذه المقطوعة رغم أنها لشاعر مخضرم ، لانني وجدت فيها صورة من الايام في الجاهلية .

قيودهم فأجاب طلبهم ولولا ذلك لكانوا على حافة الموت او اكثر • وقد اثبت بعمله هذا شجاعته وحكمته وصبره حيث استطاع انقاذ سبعة من المحاربين من يدي الاسر والموت في ظل قبيلة كبيرة كهوازن •

وقصص البطولة الفردية متنوعة الاساليب (٣٥) ، متعددة الصور والمضامين هدفها العام الفخر بالنفس وتأكيد الشجاعة الذاتية للشاعر ، وقد وتكون اقرب الى الخيال في احداثها ، وبهذا تكتسب طابع القصة اكثر من الحكاية الواقعية التي تحكي واقعا ساذجا حصل للشاعر او لغيره •

ومن امثلة القصص الخيالية الرمزية التي تصور البطولة الفردية ما قاله الشاعر عمرو بن معد يكرب عندما روى قصة معركة له مع الاسد في بطن خبت ، وقد استعمل الشاعر اسلوب الحوار السريع الذي نقله على لسان الاسد وقد بدأها بحديث موجّه الى امرأة يسميها فاطمة شارحا لها باسلوب الخطاب والحوار قصة المعركة التي اختار لها اقوى الحيوانات واشرسها ليؤكد شجاعته عندما واجهه وقضى عليه لا لشيء سوى لأنه سيكسب قلب المرأة التي يحبها بذلك ، ولنسمعه يروي القصة شعرا :

أفاطم لو شهدت ببطن خبتٍ	وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
اذن لرأيت ليثا أمّ ليثا	هزبرا أغلبا لاقى هزبرا
تبهنس ثم أحجم عنه مهري	محاذرة فقلت عقرت مهرا
أنل قدميّ ظهر الارض اني	وجدت الارض أثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى نصالا	محددة ووجها مكفهرا
تدل بمخلب وبحد ناب	وباللحظات تحسبهن جمرا
وفي يمناي ماضي الحد أبقى	بمضربه قراع الحرب اثرا

(٣٥) ديوان عنترة ، ص٢٠٧ ، قصة حربية يقود فيها الشاعر كتيبة من الفرسان لمعركة صغيرة ينتصرون فيها (المعلّقة في الابيات من ٤٩-٦٣) •

ألم يبلغك ما فعلت ظباه ... بكاظمة غداة لقيت عمرا(٣٦)
وقلبي مثل قلبك ليس يخشى ... مصاولة فكيف أخاف ذعرا
وأنت تروم للاشبال قوتا ... واطلب لابنة الاعمام مهرا
ففيم تسوم مثلي أن يولي ... ويجعل في يديك النفس قهرا
نصحتك فالتمس يا ويك غيري ... طعاما ان لحمي كان مرا
فلمّا ظنّ انّ الغش نصحي ... وخالفني كأني قلت هجرا
مشى ومشيت من اسدين راما ... مراما كان اذ طلباه وعرا
هززت له الحسام فخلت اني ... شققت به لدى الظلماء فجرا
وجدت له بجائشة أرته ... بأن كذبته ما منته غدرا
وخر مضرجا بدم كأني ... هدمت به بناء مشمخرا
وقلت له يعز عليّ أني ... قتلت مناسبي جلدا وقسرا
ولكن رمت شيئاً لم يرمه ... سواك فلم أطق ياليث صبرا
فان تك قد قتلت فليس عارا ... فقد لاقيت ذا طرفين حرا (٣٧)

وبسهولة يمكننا وضع عنوان لهذه القصة فهي (قصة الفارس والاسد) الفارس الذي التقى يوما اسدا قويا منفردين وجها لوجه ، وكان الاسد جائعا هو وأشباله ينشد قوتا لنفسه ولاشباله اما الفارس فهو عاشق لابنة عمه يطلب مهرا لها رأس اسد قوي يثبت به شجاعته امامها وجدارته بها والتقى البطلان

---

(٣٦) كاظمة : منطقة على الطريق بين البصرة والبحرين على ساحل البحر وتبعد عن البصرة مرحلتين .
(معجم البلدان ٤/٤٣١) ، وجاء في الطبري : ٣/٣٤٨ ، أن معركة ذات السلاسل حدثت بين العرب بقيادة خالد بن الوليد وبين الفرس بقيادة هرمز سنة ١٢هـ ، وانتصر فيها العرب وقتل هرمز .

(٣٧) ديوان عمرو بن معد يكرب ، ص٩٤ ، وقد اخترت له هذه القصة ايضا رغم انه ضمنها بيتا فيه حدث حربي اسلامي ، الا انني اعتقد انها مما قال في الجاهلية . اما ذلك البيت فقد اضيف اليها فيما بعد ، لان حذفه منها لايؤثر على تسلسل الاحداث .

وكانت معركة رهيبة نحس في حناياها اعجاب الشاعر بخصمه واشفاقه عليه ، ولكنه كما تفهم مرغم على قتله مضطر الى ذلك ، ويهجم الاسد ويكشر عن انيابه فيسخر منه الفارس مؤكدا له ان سيفه أشد صرامة واقسى في النزال من مخالبه وانيابه ، اما قلبه فقوي كالحديد لا يهاب ولا يفزع مهما طال النزال واشتد اواره ويستمر الحوار السردي لقصة الصراع بين الاسدين كما يقول الشاعر ، واخيرا يسقط الاسد الحيوان مضرجا بدمه كأنه البناء الشامخ ، ويبقى الاسد الانسان متأسفا ومتألما لموت شبيهه في القوة والجلادة • لقد اضطر الى قتله رغما عنه لان مطلبه كان عسيرا وهو قتله والتهام جسده :

وقلت له يعز علي اني قتلت مناسبي جلدا وقسرا

ولكن رمت شيئاً لم يرمه سواك فلم أطق يا ليث صبرا

وقصص الحروب والبطولة في شعر ما قبل الاسلام تتشابه في اسسها العامة لانها تصدر عن بيئة زمانية ومكانية متقاربة وعقليات عاشت في حدود تلك الظروف فتأثرت وصدرت عنها ، وبهذا كان معينها واحدا ، ولكنها اختلفت في اهدافها وطريقة عرضها لتلك الاحداث ، أو بتعبير أدق تباين اسلوبها في سرد تلك الوقائع والايام رغم اتحادها في الاسس والاطر التي تحتويها •

ومن أهم اساليبها في العرض هو اعتمادها الوصف والسرد القصصي ، ويمكننا عدُ هذه الصفة الاسلوبية هي الغالبة في شعر ما قبل الاسلام • اما الصور البلاغية فتتركز في اعتماد التشبيه والاستعارة وذلك للمبالغة في عرض الاحداث وتهويلها فتحقق الهدف منها ، الذي هو غرض القصيدة الاصلي ، أي المدح أو الفخر او الهجاء او الرثاء كما مر بنا في معلقة زهير بن أبي سلمى ووصفه للحرب وقصيدة دريد بن الصمّة التي رثى بها أخاه عبدالله ووصفه لمشاعره عندما رأى جثة أخيه ، وقصيدة سلامة بن جندل وهو يصف تلاحم القوم في ساحة القتال وما حصل لنسائهم واطفالهم بشكل سردي قصصي مما

أعطاهم صورة فريدة في البطولة والشجاعة ، وهذا هو ما يهدف اليه الشاعر ، لاحكاية القصة كما وقعت والعناية بتفصيلاتها دون أن يكون له هدف واضح من روايتها •

ب ـ من قصص الحيوان :

قصص الحيوان من القصص الاستطرادية العفوية وتدخل ضمن اغراض اخرى متنوعة كالمديح والهجاء والوصف او الغزل والرثاء •• الخ •

والطابع العام لقصص الحيوان متشابه عند اكثر شعراء ما قبل الاسلام ويمكن تلخيصه في حدث واحد اساس ، هو وجود الشاعر في ارض موحشة مع حيوان اليف ، هو اما الحصان او الناقة يقطعان ارضا جرداء قاحلة ليصلا الى تحقيق هدفهما وهو اما لقاء الممدوح او الحبيب او غير ذلك ، واثناء ذلك يستطرد الشاعر لتأكيد صبر ناقته او سرعة حصانه الى تشبيههما بحيوان صحراوي هو اما بقرة وحشية يعترضها خطر داهم يتمثل في الصائد وكلابه الجائعة الشرسة او فقدان ولدها في غفلة منها •• الخ • أو حمار وحشي صلب يقود أتنه لطلب الماء والامان •• الخ فيفاجئهخطر الموت والصيد •• الخ •

وقصص الحيوان تلك التي تتناول حياة الحيوان في الصحراء وتدخل في اعماق مشاعره حيث الصراع الرهيب مع الموت والخوف والقلق على مصيره ومصير اطفاله ، الخوف من الطبيعة ، الانسان الصائد ، انما تعبر عما احسه الشعراء في اعماقهم من الخوف والقلق من المجهول والتهديد المستمر من القدر ولهذا نقرأ فيها ايضا قصة الصائد الجائع الهزيل وكلابه المتحفزة للانقضاض على الفريسة ، قصة اطفاله وزوجته الذين ينتظرون عودته اليهم بالصيد والطعام •• الخ وغير ذلك من اللوحات الانسانية التي يبدع الشاعر في نقلها بصدق وامانة وهو

يقصد من ذلك نقل ما في اعماقه بشكل غير مباشر الى القارىء فيشاركه همومه وقلقه ومعاناته التي جسّدتها قصص الحيوان تلك • ورغم تلك الصورة المتحدة لقصص الحيوان في شعر ما قبل الاسلام ، الا اننا نستطيع تأكيد وجود ثلاثة طرق يتبعها الشعراء في عرض قصصهم تلك لا تخرج في جميع احوالها عن جوهر القصة السابق ودافعها الانساني النفسي الذي عكس به الشعراء معاناتهم وانفعالاتهم :ـ

أ ـ **قصص الصيد لغرض المتعة وهذه تدخل ضمن قصص المغامرات** والمتعة ، ويدخل فيها الخمر والندمان والغناء والنساء الجميلات اللواتي يشاركن في متعة الصيد وطبخه أو شيّه ، والقصة هنا ليست مأساوية لا نحس فيها بتعاطف مع الحيوان ولا احساس الشاعر بالالم تجاهه بل العكس هو الصحيح (٣٨) •

٢ ـ قصص الحيوان في الرثاء •• وهي قصص انسانية حزينة وتبرز في شعر الهذليين وتأتي لغرض العبرة والموعظة من خلال التأكيد على فكرة الفناء لكي شيء حيّ وأن الدهر لا يبقي على مخلوق مهما بلغت قوته(٣٩) • ولهذا فهو خاسر دائما •

٣ ـ قصص الحيوان من خلال الاغراض الاخرى كالمديح وهذه ايضا تتضمن لمحة انسانية ولكنها لا تضعف جانب الحيوان المطارد بل تجعله منتصرا والصائد وكلابه هم الخاسرون ، وهذا ما اكده الجاحظ في قوله : (ومن عادة الشعراء اذا كان الشعر مرثية او موعظة ان تكون الكلاب هي التي تقتل بقر

---

(٣٨) ديوان امرىء القيس ، ص٢٤ معلقته التي مرت بنا ، ومثلها معلقة الاعشى ، جمهرة اشعار العرب ، ص١٢٦ ، ١٧ بيت الاخيرة انفردت الجمهرة بروايتها فقط •

(٣٩) ابو ذؤيب ، شرح اشعار الهذليين ١/٤ •

الوحش ، واذا كان الشعر مديحا وقال ، كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا ، ان تكون الكلاب هي المقتولة ليس على ان ذلك حكاية عن قصة بعينها ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب وربما قتلتها ، واما في اكثر ذلك فانها تكون هي المصابة والكلاب هي السالمة والظافرة وصاحبها الغانم)(٤٠) •

وهذا الاتجاه في قصص الحيوان بدأ في عصر ما قبل الاسلام واستمر في العصور التي تلته واستمراره هذا هو الذي دفع الجاحظ الى اصدار هذا الرأي كحقيقة عامة في الشعر العربي •

اما الامثلة على تلك الاساليب في قصص الحيوان الشعرية فقد ذكرنا واحدا منها في معلقة امرىء القيس السابقة • أما قصص الحيوان في بقية الاغراض فسنعرض لها نموذجا واحدا ونشير الى الباقي في الهامش ، مثال ذلك قصة استطرادية للاعشى في مدح هوذة بن علي الحنفي ومطلعها :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت إلغمر فالجدين فالفرعا

ويذكر فيها قطعه البلاد الموحشة على ناقة قوية معدة لمثل تلك الاسفار الصعبة فهي تحتملها وتصبر عليها كأنها فيما تلاقي من مصاعب ومخاطر في رحلتها تلك بقرة وحشية أكل ولدها السبع في غفلة منها ، وعندما اجتمع الحليب في ضرعها واقبلت متلهفة لترضع شق نفسها لم تجد سوى قطع من جلده واضلافه فصعقت وما كادت تفيق من مصابها حتى داهمها خطر صائد جائع متلهف الى لحمها وكلابه أشد منه لهفة وبدأ الصراع على البقاء وقاومت تلك الام الثكلى وصمدت في وجه الصائد وكلابه حتى تصل الى بر الامان •• فتلك البقرة الصبور الصامدة تشبه ناقته في رحلتها الصعبة الخطرة الى ذلك الممدوح •

---

(٤٠) الحيوان ، الجاحظ ٢/٢٠ •

وبلدة يرهب الجوّاب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشبعا
لا يسمع المرء فيها ما يؤنسه بالليل الا نئيم البوم والضوعا
كلفت مجهولها نفسي وشايعني همي عليها اذا ما آلها لمعا
بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان اقول لعا
كأنها بعدما افضى النجاد بها بالشيّطين مهاة تبتغي ذرعا
اهوى لها ضابيء في الارض مفتحص
للّحم قد ما خفي الشخص قد خشعا
فظل يخدعها عن نفس واحدها
في ارض فييء بفعل مثله خدعا
حانت ليفجعها بابن وتطعمه لحما فقد اطعمت لحما وقد فجعا
فظل يأكل منها وهي راتعة حد النهار تراعي ثيرة رتعا
حتى اذا فيقة في ضرعها اجتمعت جاءت لترضع شق النفس لو رضعا
عجلا الي المعهد الادنى ففاجأها اقطاع مسك وسافت من دم دفعا
فانصرفت فاقدا ثكلى علي حزن كل دهاها وكل عندها اجتمعا
وذاك ان غفلت عنه وما شعرت ان المنيّة يوما ارسلت سبعا
حتى اذا ذر قرن الشمس صبّحها ذؤال نبهان يبغي صحبه المتعا
بأكلب كسراع النّبل ضارية ترى من القدّ في اعناقها قطعا
فتلك لم تترك من خلفها شبها الا الدوابر والاظلاف والزمعا (٤١)

وبالروح القصصية الاستطرادية نفسها يروي لنا لبيد قصة تلك البقرة الأم الثكلى والتي يشبه بها ناقته القوية الصبور التي يقطع بها الارض الصلبة والرحلات الصعبة فتقاوم وتجالد حتى النهاية فهي في صبرها ومقاومتها

---

(٤١) ديوان الاعشى ص١٥٣ ، ومثلها ايضا في ديوانه ضمن قصيدة في المدح ص١٢٣ .

للاحداث مثل تلك البقرة الوحشية التي فقدت ولدها فابتلعت وجيعتها بصبر وجلد ثم فاجأها الصائد وكلابه الضارية فقاومت وجاهدت وانتصرت ..

خنساء ضيعت الفرير فلم يرم   عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوه   غبس كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرّة فأصبنها   ان المنايا لا تطيش سهامها

وتستمر القصة بعد اكل الذئاب ولدها في غفلة منها لتبدأ مخاطر الصائد وكلبيه كسّاب ، وسخام اللذين قتلتهما في ارض المعركة :

حتى اذا يئس الرماة وارسلوا   غضفا دواجن قافلا اعصامها
فلحقن واعتكرت لها مدريّة   كالسمهرية حدّها وتمامها
لتذودهنّ وايقنت ان لم تذد   أن قد احمّ مع الحتوف حمامها
فتقصدت منها كساب فضرّجت   بدم وغودر في المكرّ سخامها
فبتلك اذ رقص اللوامع بالضّحى   واجتاب اردية السّراب اكامها
اقضي اللبانة لا أفرّط ريبة   أو أن يلوم بحاجة لوّامها(٤٢)

اما النابغة الذبياني فيروي قصة ثور وحشي ، يقف صامدا امام كلاب الصيد ويحاربها بقرنيه ويقتل بعضا منها ويفرّ من سلم منها هاربا في معركة رهيبة يخرج منها الثور منتصرا قويا ، ولهذا فهو يشبّه به ناقته التي يقطع

---

(٤٢) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٣٠٨ ، ويراجع ايضا ديوان زهير ، ص٢٢٥ ، حيث يشبّه ناقته ببقرة وحشية ، أم فقدت ولدها فجأة فذهلت عن نفسها ، ثم فاجأها الصائد وكلابه . ويراجع ايضا : ديوان زهير ص١٧١ ، ص٢٣٩) ، حيث يشبّه ناقته بقطاة هاجمها صقر فاسرعت هاربة مذعورة .

بها الصحراء الى غايته (٤٣) ·

كأنّما الرحل منها فوق ذى جدد   ذبّ الزّياد الى الاشباح نظّار
مطرّد أفردت عنه حلائله   من وحش وجرة أو من وحش تعشار

وقصة الثور هذه جاءت استطرادية تشبيهية فهو ينتقل من الناقة الى الثور الوحشي فيشبّهها به ويجره الحديث عنه الى حكاية قصته فيقول انه ثور وحيد أبعدت عنه أناثه وقد ظل وحيدا بين هبوب الرياح الباردة العاصفة والامطار المنهمرة مما دفعه للاحتماء بظل ارطاة في تلك الليلة الموحشة :

باتت له ليلة شهباء تسفعه   منها بحاصب شفّان وأمطار
وبات ضيفا لا رطاة والجأه   مع الظلام اليها وابل ساري

ولكن عندما اصبح الصباح وانكشفت حجب الظلام اقبل الخطر متمثلا في صائد هزيل من أنمار معتاد الصيد فقير لا يلبس الاّ اطمارا بالية تتبعه كلاب جائعة شرسة انهكها طول السفر وقلة الطعام :

حتى اذا ما انجلت ظلماء ليلته   وأسفر الصّبح عنه أيّ أسفار
أهوى له قانص يسعى بأكلبه   عاري الاشاجع من قنّاص أنمار
محالف الصّيد تبّاع له لحم   ما ان عليه ثياب غير أطمار
يسعى بغضف براها ، فهي طاوية   طول ارتحال بها منه وتسيار
حتى اذا الثّور بعد النّفر امكنه   اشلى وأرسل عشرا كلها ضاري

---

(٤٣) ديوان النابغة الذبياني ، ص٢٣٦ في معلقته ومطلعها :
عوجوا فحيّوا لنعم دمنة الدار   ماذا تحيون من نؤى واحجار
ومثلها لزهير بن ابي سلمى ، ديوانه ، ص٤١ في مدح هرم بن سنان ·
وانظر ايضا : ديوان الاسود بن يعفر ، ص٤٠ ، اذ يستطرد الشاعر من حديث الناقة الى الثور الوحشي بطريق التشبيه ايضا ثم يروي قصة ذلك الثور وتصديه للصائد وكلابه وانتصاره عليهم جميعا ··

ويصوّر الشاعر فى البيت الاخير بداية المعركة بين الثور وكلابه الضارية العشر التي أغراها بالهجوم على الثور لقتله، ترى ماذا فعل ذلك الثور الوحيد امام شراسة تلك الحيوانات الجائعة الضارية ؟ هل هاجمها ودافع عن نفسه وطرد عنه أذاها وبقي محتفظا بكرامته ام هرب ناجيا بنفسه رغم ما في الهرب من عار ومذلة ، هذا ما اجابنا عليه الشاعر :

فكرّ محميّة من ان يفرّ كما ... كرّ المحامي حفاظا خشية العار
فشكّ بالرّمح منها صدر اولها ... شكّ المشاعب أعشارا بأعشار
ثم انثنى بعد للثاني فأقصده ... بذات فرغ بعيد القعر نعّار
وأثبت الثالث الباقي بنافذة ... من باسل عالم بالطّعن كرّار
وظلّ في سبعة منها لحقن به ... يكرّ بالروق فيها كرّ اسوار
حتى اذا ما قضى منها لبانته ... وعاث فيها باقبال وادبار
انقضّ كالكوكب الدرّي منصلتا ... يهوى ويخلط تقريبا باحضار
فذاك شبه قلوصي اذ أضرّ بها
طول السّرى والسّرى من بعد ابكار(٤٤)

لقد قرر الثور اذن ، الهجوم ، ودفع العار عن نفسه وهكذا سدد اليها سلاحه الرهيب وهو قرناه الحادان فقتل ثلاثة منها اذ طعن الاول في صدره وكذلك الثاني والثالث فجعل دماءها تنصب انصباباً كأنها ماء دلو مفتوح امّا السبعة الباقون فكانوا بين قتيل وجريح ومهزوم او هارب بدمه، وبعد ان انهى قتاله وحاز النصر الذي اراده اندفع مسرعا الى غايته ، وبهذا الثور القوي يشبه ناقته في مسيرتها الطويلة المتعبة ليل نهار .

ومن قصص الحيوان أيضا قصة حمار الوحش واتنه العطشى ، والصائد الجائع الذي اخطأ الهدف وهرب الحمار من سهامه القاتلة ،

---

(٤٤) ديوان النابغة الذبياني ، ص٢٣٦ .

للشاعر اوس بن حجر (٤٥) ، وهي ايضا استطرادية تشبيهية يسودها طابع الوصف ، واجمل ما فيها المشهد الاخير الذي يصوّر الحمار واتاه ، يهمان بشرب الماء . وقد شعرا بالاطمئنان فيفاجئهما الصائد بسهم من سهامه القاتلة ، وقد خاب ظنّه وملأت قلبه الحسرة واللوعة وهو يتذكر لهفة أمه عندما يعود اليها فاشلا خائبا بعد أن أفلت الحمار واسرع هارباً ومعه اتانه الى ابعد مكان مستطاع .

فأمهله حتى اذا أن كأنّه
معاطي يد من جمة الماء غارف

فأرسله مستيقن الظن أنه
مخالط ما تحت الشراسيف جائف

فمرّ النضيّ للذراع ونحره
وللحين احيانا عن النفس صارف

فعضّ بابهام اليمين ندامة
ولهّف سرا أمّه وهو لاهف

وجال ولم يعكم وشيّع الفه
بمنقطع الغضراء شدّ مؤالف(٤٦)

ومن قصص الحيوان الطريفة التي تتجلى فيها الروح الانسانية والصراع من اجل البقاء قصة لامرىء القيس يذكر فيها فرسه القوية في الحرب ويشبّهها بعقاب تصطاد ذئبا ، ويعكس في قصته نضال الذئب رغم شراسته من أجل الهرب والاحتفاظ بحياته وسعي العقاب الرهيب لقتله وصيده :

---

(٤٥) ديوانه ، ص٦٧ .
(٤٦) ديوان اوس بن حجر ، ص٧١ .

كأنّها حين فاض الماء واحتفلت
صقعاء لاح لها بالسرحة الذيب(٤٧)

فأبصرت شخصه من رأس مرقبة
ودون موقعها منه شناخيب(٤٨)

صبّت عليه وما تنصبّ من أمم
ان الشقاء على الاشقين مصبوب(٤٩)

كالدّلو بتّت عراها وهي مثقلة
وخانها وذم منها وتكريب(٥٠)

ويلمّها من هواء الجوّ طالبة
ولا كهذا الذي في الارض مطلوب(٥١)

كالبرق والريح شدّا منهما عجبا
ما في اجتهاد عن الاسراع تغبيب(٥٢)

---

(٤٧) احتفلت : اسرعت في العدو • الصقعاء : العقاب سميت كذلك لبياض في اعلى رأسها • السرحة : اسم مكان (ويقال : الشجرة الضخمة) •

(٤٨) مرقبة : موضع مشرف • الشناخيب : رؤوس في اعالي الجبال لا يعلو عليها الاّ ما طار •

(٤٩) صبت عليه : كقولنا بعث عليه بعذاب • أمم : قصد •

(٥٠) يقول : انقضاض هذه العقاب على هذا الذئب كالدلو • وقوله : بتت : قطعت الوذم ـ جمع اوذام : سيور تعلق بعرى الدلو • التكريب : ان يشدّ خيط من قنّب او شعر مع الدلو الى الرشاء ـ وهو الحبل ـ ليكون عونا متى انقطعت عروة او انحلت عقدة امسكها فلا تقع في البئر ، وانما يفعل ذلك بالدلو الضخمة •

(٥١) الطالبة : العقاب • ولا كهذا : يريد الذئب يقول : ولم أر كنجائه وهربه منها نجاء وهو مطلوب •

(٥٢) شبه سرعتهما بالبرق والريح • تغبيب : يقول ليست فيهما بقية من السرعة والعدو •

فــأدركتـــــه فنــالتــــــة مخالبهــا
فانسلّ من تحتها والدّفّ منقوب(٥٣)

يلوذ بالصّخر منهــا بعــد ما فتــرت
منها ومنــه على العقب الشآبيب(٥٤)

ثم اســتغاث بدحــل وهــي تعفــره
وباللسان وبالشّدقـــين تتريـب(٥٥)

مــا أخطــأته المنــايا قيــس أنمــلة
ولا تحــرّز الاّ وهــو مكروب(٥٦)

فظـــــلّ منجحــرا منهــا يراقبهـــا
ويرقب العيش انّ العيش محبوب(٥٧)

والقصة كما نقرأها في ابسط صورها تتلخص في مطاردة طير جائع لآخر ورغم فقدانها لعنصر الحوار ، الاّ ان اسلوب العرض فيه حركة وانتقال سريعين بين بطلي المطاردة فكأن الشاعر يلتقط بخياله صورا متحركة لهذه المطاردة الحيوانية فهو يلاحقهما بكل انفعالاتهما واحاسيسهما ويصورهما في كل مكان حلا فيه ، وأول تلك المشاهد ناقته وهي مسرعة في العدو والعرق يتصبب منها فكأنها عقاب ظهر لها ذئب في مكان ما أو قرب شجرة ضخمة •

---

(٥٣) الدف : الجنب •
(٥٤) يلوذ : يلجأ ويطيف بالصخر • فترت : ضعفت عن العدو • العقب : جري بعد جري •
والشؤبوب : دفعة من مطر ، هذا هو الاصل وجعلها للعدو والطيران •
(٥٥) الدحل : هوة ومدخل فى الارض أو في جبل وقوله : (وهي تعفره) : يعني تضرب به التراب ، وهو العفر • تتريب : من التراب •
(٥٦) يقول لم تخطئه المنايا ــ وهي اسباب الموت ــ مقدار طرف اصبع ، ولكن اقل من ذلك ، ويقال في التقريب : هو منه قاب شبر •
(٥٧) منجحرا : اراد داخلا في جحر الدحل • يراقبها : يحارسها وينتظرهــا ويرقب العيش : ينتظر • (ديوان امرىء القيس ، ص٢٢٦) •

لقـــد رأت شـــبحه مـــن مكـــان مـــرتفـــع وهـــي طـــائـــرة فوق اعـــالـــي الجبال الشامخة فانصبّت عليـــه هـــاوية يدفعهـــا جـــوعهـــا وشـــقاؤه وســـوء حظـــه ، لقد اســـرعت منقضّة عليـــه كأنّهـــا الـــدلو التي انقطعت سيورها وحبالها ، فيا لها من صائدة وهي تهوى اليه من الاعلى، وياله من طريدة بائسة على الارض • لقد كانت تلاحقه بسرعة كأنّها البرق أو الريح العاصفة ، وكانت لهفته للهرب والنجاة تجعلانه في مثل سرعتها أو أكثر ، واخيرا ادركته فضربته بمخالبها في جنبه فجرحته واستمر مع ذلك يركض يلجأ الى الصخر محتميا به حين تتعب من ملاحقته تارة ثم يعود الى مواصلة الركض عندما تشتد ساعية للحاق به تارة أخرى ، واخيرا يدخل في حفرة أو فتحة في احد الجبال وهي تضرب به التراب كأنها تحاول اخراجه من الحفرة ، ولقد كان قريبا من الموت بشكل رهيب ولكنه نجا بأعجوبة ، ولهذا ظل مختبئاً في ذلك الجحر وهو يراقبها برعب وخوف آملا في الحياة الجميلة التي تنتظره •

والقصة هنا تعتمد حدثاً واحداً واساسيا هو مطاردة العقاب للذئب وكان الشاعر يصور في كل بيت منها مشهدا لتلك المطاردة ويتطور الى قمة الخطر عندما ادركته ونالته بمخالبها وجرحته ، ثم يجعل العقاب تتعب من المطاردة فيسهّل للذئب الاحتماء بالصخر ثم تنشط مرة اخرى فيعدو أمامها الى ان كاد يقع في شرك الصيد لولا دخوله في ذلك الجحر الذي عادت اليه فيـــه حياته من جديد •

وقصص الحيوان في اسلوبها العام استطرادية تعتمد الوصف والتشبيه اساسا تجري احداث القصة ضمنها ، وقد تكون مفككة احيـــانـــا ، لأنّ الشاعر يتعمد التفصيل في الاخيلة والاستعارات كما رأينا فى قصة العقاب والذئب ليمنحها من المشاعر الانسانية ما يشاء •

وقصص الحيوان تمثل الصراع الازلي بين القوي والضعيف ، ومن هذا المنطلق يمكننا عدّها انسانية لما فيها من احاسيس ومشاعر وانفعالات يضفيها الشاعر على ابطال تلك القصص بحيث يجعلنا نشاركهم ألمهم وحزنهم وخوفهم أو سعادتهم ونشوتهم في لحظات الانتصار والنجاة ، فهي بهذا المعنى قصة حرب نتائجها واضحة منذ البداية وتختلف عن قصص الحروب التي عهدناها في أنها مقصودة لتجسيم الخسارة والالم في الحيوان الضعيف لجلب العطف له وكره القوة والقسوة في الغالب ، لأنها تمثّل الظلم والوحشية التي يرفضها كل انسان .

القصص الاجتماعية :

وهي قصص خاصة بالشاعر وقبيلته وتمتاز بأنها احداث حقيقية مسرحها واقع الحياة ، وابطالها الشاعر وقومه فهي ضمن هذا الاطار صورة للحياة العربية بشكل عام في كل المجالات التي شملتها ، تتمثل في مختلف اغراض الشعر العربي كالفخر والهجاء والمديح والوصف .. الخ .

ففي غرض الفخر مثلا نقرأ قصة من قصص الكرم الاجتماعي عند الشاعر العربي حاتم الطائي وهي تعكس لنا حادثة حقيقية وقعت فعلا للشاعر كما تجسّد حب العربي للكرم ورغبته فيه قولا وفعلا .

يبدأ الشاعر قصته بأبيات غزل تقليدية ينتقل بعدها الى قصته مباشرة وتتلخص فيما يأتي :

في ليلة من الليالي طرقه فرسان كرام على خيولهم القوية الضامرة فاستقبلهم ببشاشة وترحاب ولم يعتذر لهم بأي عذر لئلا يوصم بالبخل وقام مسرعا لينتزع سيفه الصارم كأنه الشهاب اللامع في كفه الكريمة لتشقى به ناقة ضخمة صلبة فعقرها به فسقطت ارضا ثم تناولها رجاله ليعدوها للضيوف ، منهم من يطبخ في القدر ومنهم من يشوي على النار ، وكانت

قطع اللحم الدسمة وسط القدور كأنها رؤوس القطا الكوادر اما اضلاعها فكأنها وهي تغلي ايدي نساء حواسر وهذا الطعام الشهي الرائحة لا يختزن ابدا بعيدا عن الضيوف وايديهم مبذولا بسخاء واريحية .

وقصة الكرم هذه في ظاهرها بسيطة ساذجة ولكنها حقيقية واقعية وهي تعكس حقيقة مهمة . ان الكريم يهون عنده كل شيء في سبيل اكرام ضيوفه بغض النظر عن قيمة ذلك الشيء وحاجة المضيف اليه هذا من جهة ، كما ان قدوم الضيوف ليلا في تلك الصحراء المجدبة وقيام شاعرنا باستقبالهم ببشاشة وترحاب كما جرت العادة وهو ما يؤكده حاتم نفسه في قصيدة اخرى :

اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

يبرهن على اصالة هذه الصفة عند العرب بشكل عام وشاعرنا بشكل خاص من جهة أخرى فهو عندما يعقر ناقته الضخمة رغم ما نعرفه عن حاجة العربي للناقة في حلّه وترحاله واعتزازه بها وفخره بصحبتها في الصحراء وصبرها على المصاعب معه يعني انه يقدم اغلى ما عنده لضيفه تقديرا له واعتزازا بقدومه اليه .

ولنرجع الى قصة حاتم الطائي شعرا التي يقول فيها (٥٨) :

صحا القلب من سلمى وعن امّ عامر
وكنت أراني عنهما غير صابر
ووشّت وشاة بيننا وتقاذفت
نوى غربة من بعد طول التجاور

---

(٥٨) ديوان حاتم الطائي ص٧٥ ، شعراء النصرانية ١/١٢٦ ـ ١٢٧ .

وفتيانِ صــدق ضمّهم دلج السّرى

على مسهمات كالقـــداح ضوامــر

فلمّا اتونــي قلــت خيــر معــرّس

ولــم اطّــرح حاجاتهم بمعـــاذر

وقــت بموشــيّ المتــون كـأنّه

شــهاب غضــا في كف ساع مبــادر

فيشقى به عرقــوب كدمــاء جبلــة

عقيلـــــة أدم كالهضــاب بهــاذر

فظــلّ عفــاتي مكــرمين وطابخــي

فريقـــــان منهــم بــين شاو وقادر

يقمّـــص دهــداق البضيــع كأنّــه

رؤوس القطا الكدر الدقاق الحناجــر

كــأنّ ضلوع الجنب فــي فورانهــا

اذا استجشمت ايــدي نساء حواســر

اذا استنزلت كانت هــدايا وطعمــــة

ولم تختــزن دون العيــون النواظــر

كأنّ ريــاح اللحــم حــين تغطمطت

رياح عبير بــين ايــدي العواطـــر

بهذه الآبيات اكد شاعرنا قصة الكرم كما وقعت فعلا ، وهي كما رأينا حادثة صغيرة في حجمها وشخوصها محدودة في زمانها ومكانها بعيدة عن التعقيد والصراع واضحة المعالم في بدايتها ونهايتها واحداثها .

ورغم ما قلناه فهناك من الشعراء من يتوسع فى قصصه الاجتماعيــة فيجمع بين صورتين او لوحتين فى قصيدة واحدة كما فعل الشاعر علباء بن أرقم حيث اجتمعت فى قصيدته الواحدة قصتان : اولهما اجتماعية خاصــة

بالشاعر وزوجته يعرض خلالهما مشكلته مع زوجته النافرة الغاضبة بشكل قصصي يتخلله الحوار والحركة ثم ينتقل دون ان يختم أو يحل مشكلته العائلية ليسرد قصته الثانية التي تؤكد رغبته في الكرم واستخدامه اصعب السبل واخطرها لتحقيق عملية الكرم لانها كما يقول طبيعة متأصلة فيه •

ولنبدأ بالقصة الاولى ــ الزوجة النافرة التي تنكرت لــه وصــدت بوجهها عنه تخاصمه تارة وتصالحه اخرى ورغم ما يقدمه لها من حب ومال استمرت في عراكها معه تريد ان تسيطر على كل شيء عنده ، الحب والمال دون ان تقنع او تكتفي بشيء رغم الاقسام الغليظــة التي يقســمها والتي تسمعها جاراتها وهو يؤكد لها اخلاصه وصدقه حتى انّه اعطاهــا كل ما يملك من مال فوق مالها وقابلها بصبر الكرام وحلم الرجال ، الاّ انها بقيت على جحودها ونكرانها ، وهذا ما أثــار غضبه وافقــده صوابه فهددهــا قائلا ان لم تتوقفي وتنتهي عن هذه الاعمال اجعلك تندمين اشدّ النــدم لانني رجل شجاع لا أهاب شيئاً في سبيل تحقيق ارادتي واثبات كلمتي ، ولا يردعني احد عن ذلك حتى لو كان ملكا من الملوك :

ألا تلكما عرسي تصــدّ بوجههــا
وتزعم في جاراتهــا أنّ من ظــلم
أبونا ولم أظــلم بشــيء عملتــه
سوى ما ترين فــي القذال من القدم(٥٩)
فيومــا توافينــا بوجــه مقسّــم
كأن ظبية تعطــو الى ناضر السّلم(٦٠)
ويوما تريد ما لنا مــع مــا لهــا

(٥٩) القذال : جماع مؤخر الرأس من الانسان والفرس فوق فأس القفا •
(٦٠) مقسم : القسام ، وهو الجمال والحسن • وجه مقسّم : جميل كله ، كانّ كل موضع منه اخذ قسما من الجمال • تعطو : تتناول • السّلم : ضرب من شجر البادية يعظم وله شوك •

فان لم ننلهـا لم تنمنا ولم ننـم
نبيت كأنّـا فـي خصوم عرامـة
وتسمع جاراتي التّـألي والقسم(٦١)
فقلت لهـا ان لا تناهـي فانّنـي
اخو النّـكر حتى تقرعي السّن" من ندم(٦٢)
لتجتنبنك العيس خنسـا عكومهـا
وذو مرة في العسر واليسر والعدم(٦٣)

وبهذا التهديد انهى الشاعر قصته الاولى التي تتصل مباشرة بالقصـة الثانية وهي قصة الكبش التي جاءت لتبرهن حقيقتين اولاهما : اصراره على تحقيق كلمته حتى لو هلك دون ذلك ، وثانيتهما ، رغبته في الكرم مهمـا كانت الظروف صعبة •

أما قصة الكبش فتتلخص فيمايلي (٦٤) :

كان هناك كبش نادر أهدي الى احد الملوك (اما النعمان بن المنـذر او عمرو بن هند) وكان جميلا لم ير احسن ولا اعظم منه فاعتز به ورفض ذبحه وهدّد من يحاول ذلك من القبائل ان يصب" عليهم الخيل صباً ثم قال لا يمر بأحد الا علفه السمسم وسقاه الخمر • هذا ما ترويه الاخبار في مقدمة

---

(٦١) النكر : الدهاء والفطنة •
(٦٢) العيس : الابل البيض يخالط بياضها شقرة •
(٦٣) العكوم : الاحمال والاعدال التي فيها الاوعية من صنوف الاطعمة والمتاع • الخنس : جمع اخنس وخنساء : وصف به العكوم لامتلائها تشبيها بالانوف الخنس في اكتنازها وانحنائها • ذو مرة : ذو عقل وأصالة واحكام • والمرة : القوة • عنى بذلك نفسه •
(٦٤) الاصمعيات ص١٥٣ ، المنثور والمنظوم (القصائد المفردات التي لا مثـل لها) ص٨٨ •

القصيدة . اما القصة الشعرية فتبدأ من قول الشاعر .. ذات يوم كان هو وصحبه راجعين من احدى الغزوات وقد قل ما معهم من الزاد وكادوا يهلكون جوعا ، فصادفوا ذلك الكبش يسير آمنا مطمئنا بكل ما يحمل من شحم ولحم ، فهمّ شاعرنا بذبحه فحذره اصحابه من ذلك ذاكرين قصة الملك النعمان واعتزازه به وتهديده لمن يذبحه ، وان هذا العمل سوف يجر عليهم الدماء كما جرّ فعل قدار على قوم ارم ، فزاده ذلك اصرارا على ذبحه واطعام اصحابه منه متحديا بذلك ارادة الملك وليكن ما يكون ، وبالفعل طرحه ارضا وهو يثير الترب فحصا برجله وذبحه ثم قطّعه واطعم اصحابه من شحمه ولحمه وأكل الذئب باقي جسده ، وكان مطمئنا الى فعلته غير نادم عليها ساخرا من اصحابه وهم يخوفونه بالنعمان قائلا : هل قتلت خاله أم أبن عمه أم ولده ؟ ان هو الا كبش ذبحته لاكرام أصحابي والنعمان رجل كريم كثير البذل ، سخي اليد ، غزير العطاء كالمطر ، ولهذا فهو يحب أفعال الكرماء واريحيتهم وأنا منهم ، ورثت هذه الصفة النبيلة عن آبائي واجدادي ..

والى هنا ينهي الشاعر قصته . وتذكر الاخبار أن النعمان عندما سمع بفعلته غضب كثيرا وعده تحديا له ، وأمر صاحب خيله بقتله ، ولكن محاولته فشلت ونجا الشاعر ، ثم قرر مواجهة الملك بنفسه والذهاب اليه متنكرا لانشاد القصيدة بين يديه وليكن ما يكون ، وبالفعل حقق ما أراد ، وعندما أتم انشادها عرفه الملك ثم ابتسم وعفا عنه .

والآن لنقرأ القصة الثانية شعرا بعد أن روينا حكايتها :

واي مليك من معدّ علمتم

يعذّب عبدا ذي جلال وذي كرم

أمن اجل كبش لم يكن عنـد قرية
ولا عند أذواد رتـاع ولا غنـم(٦٥)
يمشّي كـأن لا حيّ بالجزع غيره
ويعلو جراثيم المخـارم والأكـم(٦٦)
فوالله مـا أدري وأنـي لصـادق
أمن خمر يأتي الطّلال أم اتّخـم(٦٧)
بصرت به يوما وقد كـاد صحبتي
من الجوع أن لا يبلغوا الرّجم م الوحم(٦٨)
بذى حطـب جـزل وسهل لفائـد
ومبراة غزّاء يقـال لهـا هـذم(٦٩)
وزندي عفار في السّلاح وقادح
اذا شئت أورى قبل أن يبلغ السأم(٧٠)
وقال صحابي انّك اليـوم كـائن

---

(٦٥) الاذواد : جمع ذود ، وهو الجماعة من الابل ، نحو العشرة . رتاع : ترعى في الخصب والسعة ، واحدها راتع .
(٦٦) الجزع : منعطف الوادي وجانبه . الجرائيم : الاماكن المرتفعة عن الارض المجتمعة من تراب او طين . المخارم : الطرق في الجبال وافواه الفجاج .
(٦٧) الخمر : بفتح المميم : ما خالط من السكر . الطلال : جمع طل ، وهو المطر الصغار القطر الدائم .
(٦٨) م الوحم : من الوحم ، والوحم اصله شدة شهوة الحبلى لشيء تأكله ، ثم قيل لكل من افرطت شهوته في شيء .
(٦٩) الجزل : الغليظ القوى . الفائد : من قولهم فأد اللحم او الخبز في النار : شواه ، طبخه . المبراة : السكين يبرى بها .
غزاء : صاحب غزو . والهذم : القطم .
(٧٠) الزند والزندة : خشبتان يستقدح بهما ، فالسفلى زندة والعليا زند ، واذا اجتمعتا قيل زندان ولم يقل زندتان .
العفار : شجر يتخذ منه الزناد ، وهو المرخ من اكثر الشجر نارا ، وزنادهما اسرع الزناد وريا .

علينا كما عفّى قدار على ارم(٧١)

وقدر يهاهي بالكلاب قتارها

اذا خفّ أيسار المساميح واللّحم(٧٢)

اخذت لدين مطمئن صحيفة

وخالفت فيها كلّ من جار او ظلم

أخوّف بالنعمان حتى كأنّما

قتلت له خالا كريما او ابن عم

وان يد النعمان ليست بكزّة

ولكن سماء تمطر الوبل والدّيم(٧٣)

لبست ثياب المقت ان آب سالما

ولما أفته أو أجرّ الى الرّجم(٧٤)

يشير عليّ الترب فحصا برجله

وقد بلغ الذّلق الشوارب او نجم(٧٥)

---

(٧١) ارم : قوم عاد ، وقدار هو ابن سالف الذي يقال له احمر ثمود ، وهو الذي عقر الناقة فأهلك الله قومه بجريرته ، فكان شؤما عليهم ٠

(٧٢) يهاهي : يدعو ، والهاهاة : زجر الكلب واشلاؤه ٠
قتارها : ريح القدر والشواء ونحوهما ٠
خف : نشط ٠ الايسار : جمع يسر ، وهو صاحب الميسر ٠ اللحم : اصحاب اللحم واحدها لاحم ، وهو اما الذي يكثر اكله او يكثر عنده فيطعمه غيره ٠

(٧٣) كزّة : منقبضة ، ورجل كزّ اليدين اي بخيل ٠

(٧٤) المقت : البغض عن امر قبيح ركبه ، ثياب المقت : مجاز عمّا يلقى من الازدراء اذا لم يمض ما اعتزم ٠ أفته : أهلكه ٠ والرجم : القبر (وافتـه بهـذا المعنى ليست في المعاجم ، وكانه أراد لم أفته حياته) ٠

(٧٥) الذلق : الحد ٠ الشوارب : مجارى النفس ٠ نجم : طلع وظهر ٠

لـه اليـة كأنّهـا شـطّ نـاقـة
أبحّ اذا مـا مسّ أبهـره نحـم(٧٦)
وقطعتـه باللّـوم حتـى أطـاعني
وألقى على ظهـر الحقيبة أو وجـم(٧٧)
ورحنا على العبء المعـلّق شـلوه
واكرعه والرأس للذئب والرخـم(٧٨)
مواريث آبائـي وكانت تريكـة
لآل قدار صاحب الفطر في الحطم(٧٩)

ومن القصص الاجتماعية قصة للشاعر أوس بن حجـر ، وهي قصـة استطرادية تدور حول الاسلحة التي يستعملها الشاعر في الحـرب ليحقـق انتصارا على اعدائه وفي السلم ليصطاد بها حيوانات يعيش على لحومها ، وأبرز تلك الاسلحة هي القوس • وقصة القوس عند شاعرنا بطلها هو راويتها نفسه ، واحداثها تدور حول شخص واحد ومكان وزمان محددين تقريبا وهي

---

(٧٦) الشط : شطر السنام ، ولكل سنام شطان • الابهر : عرق اذا انقطـع مات صاحبه • نحم : من النحيم ، وهو صوت يخرج من الجوف •
(٧٧) ألقي بالبناء للمجهول وسكنت الياء للشعر • وجم : سكت •
(٧٨) العبء : العدل الذي يوضع على الدابة ، وهما عبآن ، اي عدلان •
الشلو : الجسد من كل شيء • يريد ان شلوه وضع على العبء المعلّق •
(٧٩) التريكة : اي التركة بمعنى الميراث • الحطم : الامر العظيم • ورجل حطمة وحطم : اذا كان يركب الامور ولا يبالي •
الاصمعيات ، ص١٥٧ ، المنثور والمنظوم (القصائد المفردات التي لا مثل لها) ص٨٨ ، مع الاشارة الى اختلاف رواية القصيدة في كليهما •
ومن القصص الاجتماعية ايضا ما يدور حول الشاعر وزوجته التي كانت تلومه على ابقاء حصانه رغم ارتفاع سعره في السوق وحاجتهما الى المال (المفضليات ، ص٣٦٩ ، ومثلها لعنترة بن شداد ، ديوانه ص٢٧٢) •
ومن قصص العائلة ايضا لعنترة وزوجة ابيه ، ديوانه ص٢٦٩ ، ومثلها قصة جران العود وزوجتيه (الشعر والشعراء ١/ ٧١) •

قصة لا تخلو من رمز تؤكد حقيقة مهمة هي اعتزاز العربي بسلاحه وفخره به وباصالتــه •

الغرض العام من القصيدة الفخر بالشجاعة والبطولة في الحروب لان شاعرنا فارس كما يقول مفتخرا ، قد هيأ نفسه للقتال بكل الاسلحة التــى تمكنه من النجاح وتحقيق النصر ، وهي السيف والرمح القويين ثم القوس الاصيلة التي صنعها بنفسه مذ كانت عودا في شجرة •

وهنا يبدأ الشاعر برواية قصة تلك الشجرة الكريمة التي استخرج منها قوسه •• لقد كانت تلك الشجرة شامخة راسخة فوق جبل مرتفــع يلتقــي بالسحاب لشدة ارتفاعه فيغطيه املس السطح كأنّه مدهون بدهن يصــعب تسلّقه والنزول منه ، وكانت تلك الشجرة الكريمة القوية فوق ذلك الجبل تغري الناظرين بالمغامرة والمخاطرة طمعا في الوصول اليها ، ولكــن كيــف السبيل الى ذلك ؟ وفي غمرة الخوف والامل يصادف شاعرنا رجلا من بيدعان عليما بالاشجار التي تنبت في الجبال بصيرا بانواعها وندرتها وكيفية الوصول اليها ، وعندما يسأله عنها يجيبه موضّحا له اصالة تلك الشجرة ومؤكــدا خطورة الصعود اليها لصعوبة الوصول الى قمة ذلك الجبل ، رغم ندرة تلك الشجرة وجودتها •• ورغم كل ذلك يندفع شاعرنا مغامرا ومخاطرا بحيــاته ليتسلق ذلك الجبل الرهيب مهددا بالسقوط أو الانزلاق فــي أيــة لحظــة وانقسام جسده قسمين ، ولكن اصراره وقوة ارادته يوصــلانه الى القمــة فيلتقي بشجرته العزيزة ثم يعود الى النزول بشجاعة وصبر متحديا مخاطر الانزلاق مرة اخرى الى ان يصل الى الارض سالما ظافرا بشجرته النادرة •

وتبدأ المرحلة الثانية من حياة القوس الكريمة • فالشجرة ما زالت رطبة وتحتاج الى فترة لتجف وتمتص ماء لحائها ليكون اقوى لها واصلب ، وبعد ان نتحقق كلّ ذلك يقوم بتشذيبها وصقلها بكل دقة الصانع الماهر وهدوء الحليم

المتأني الصابر ، واخيراً ظهرت القوس الصفراء متكاملة الصنع ، وصارت مفخرة لصاحبها وجديرة بكل تلك المعاناة التي قاساها من اجلها .

يقول الشاعر وبطل القصة (٨٠) :

واني امرؤ اعددت للحرب بعدما
رأيت لها نابا من الشرّ اعصلا
أصمّ ردينيا كأنّ كعوبه
نوى القسب عرّاصا مزّجا منصّلا
وابيض هنديا كأنّ غراره
تلألؤ برق في حبي تكلّلا
اذا سلّ من جفن تأكّل أثره
على مثل مصحاة اللجين تأكّلا

هذه هي الاسلحة التي قدّمها لنا الشاعر في بداية قصته ثم ينتقل كما قلت الى قوسه الكريمة فيقول :

ومبضوعة من رأس فرع شظية
بطود تراه بالسّحاب مجلّلا(٨١)
على ظهر صفوان كأنّ متونه
عللن بدهن يزلق المتنزّلا(٨٢)
يطيف بها راع يجشّم نفسه
ليكلىء فيها طرفه متأمّلا(٨٣)

---

(٨٠) ديوان أوس بن حجر ، ص٨٥ .
(٨١) مبضوعة : مقطوعة . الشظية : الشقة والفلعة .
(٨٢) عللن : سقين مرّة بعد مرّة .
(٨٣) راع : حافظ . متأملا : مستمتعا بالنظر اليها .

فلاقى امرأ من ميدعان واسمحت
قرونته باليأس منها فعجّلا(٨٤)
فقال له هل تذكّرنّ مخبّرا
يدلّ على غنم ويقصر معملا
على خير ما أبصرتها من بضاعة
لملتمس بيعا بها او تبكّلا(٨٥)
فُويق جبيل شامخ الرأس لم تكن
لتبلغه حتّى تكلّ وتعملا
فأبصر الهابا من الطود دونها
ترى بين رأسي كلّ نيقين مهبلا (٨٦)
فأشرط فيها نفسه وهو معصم
وألقى باسباب له وتوكّلا (٨٧)
وقد اكلت أظفاره الصّخر كلما
تعايا عليه طول مرقى توصّلا
فما زال حتى نالها وهو معصم
على موطن لو زلّ عنه تفصّلا(٨٨)
فأقبل لا يرجو التي صعدت به
ولا نفسه الاّ رجاء مؤملا

---

(٨٤) ميدعان : حي من ازد السراة ، اهل جبال ذات اشجار ٠ قرونته : نفسه ٠
(٨٥) التبكيل : التكسب من هاهنا وهاهنا ٠
(٨٦) الالهاب : جمع لهب ، بكسر فسكون : الفرجة بين جبلين ٠ النيق : المشرف من الجبل ٠ المهبل : المهلك ٠
(٨٧) اشرط نفسه : خاطر بها ٠
(٨٨) معصم : مشفق ٠

فلما نجا من ذلك الكرب لم يـزل

يمظّعهـا مـاء اللّحـاء لتذبـلا(٨٩)

فأنحى عليها ذات حـدّ دعـا لهـا

رفيقـا بأخـذ بالمداوس صـيقلا(٩٠)

ومن القصص الاجتماعية ايضا قصص الصعاليك ، وهي تمثل طبقة او شريحة من مجتمع ما قبل الاسلام الذي تميزّ بسمات معينـة فـي الحياة واساليب المعيشة ، وأبـرز شـعرائهـم عروة بـن الـورد(٩١) والشنفري الازدي (٩٢) •

ومن القصص الاجتماعية ايضا القصص الاخوانية أو قصص الندمان ومجالس الخمر والشباب واللهو • وقد مرّ بنا احدها في معلقة امـرىء القيس في اول هذا الفصل ومثلها ايضا قصة للاعشى ضمن قصيدة فـي مدح رجل يدعى (سلامة ذا فائش) يبدأها بالغزل التقليدي الذي يذكر فيه

---

(٨٩) يمظّعها : يسقيها •

(٩٠) ذات حد : فأس • المداوس : المصاقل •

(٩١) ديوانه . ص٣٢ ، قصة المرأة التي سباها ثم تحايل قومه عليها وسـقوه الخمر ثم افتدوها منه •• الخ • وله ايضا قصة اجتماعية تتعلق به وبزوجته سلمى او ليلى التي سباها ثم ازارها اهلها فلم تعد اليه وهدده قومها بالقتل فانصرف عنهم •• الخ ، ديوانه ص٣٧ • وله قصة تتعلق به وبصعاليكه وهي من قصص الغزو والسلب عندهم ويستعمل فيها المثل لتأكيد الفكـرة ، ديوانه ص٧٦ ـ ٧٨ •

(٩٢) الشنفري الازدي ، من قصص الغزو والحرب والسلب لاجل العيش فـي جماعة من الصعاليك المفضليات ص١٠٨ ـ ١١٠ ، ومطلعها :

وباضعة حمر القسي بعثتها ومن يغز يغنم مرّة ويشمّت

خرجنا من الوادي الـذي بـين مشـعل

وبـين الجبـا هيهـات انشأت سـربتي

الخ ••• (الباضعة : القاطعة ، يعني قوما غـزاة • انشأت سربتي : أي اظهرتهم من مكان بعيد) •

علاقته مع امرأة متزوجة وسلبه لفؤادها دون علم زوجها ثم ينتقل الى منادمته لفتى كريم لا يصاحب الا" الكرام ينفق فيهم ماله ولا يتخفى عنهم جاءه ليلا ، وقبل ان يسفر الصباح يؤامره في شرب الخمر ، فغدا معه مسرعا قبل ان يصيح الديك مؤذنا بقدوم الصباح في سكون الليل الذي لا تنغصه عين الكاشح الحسود ذهبا معا الى احدى الحانات ، وكان صاحبها اعجمياً غير عربي ازرق العينين ويسميه حدادا ، وكأنّه حارس يمنع الناس عن هذا الكنز الثمين ، ويختار شاعرنا دنّا أو خابية ضخمة من الخمر ، وتبدأ المساومة على الثمن بعد ان يشير اليها الشاعر ويدور الحوار بين الخمّار البخيل بخمرته وهذا الشارب الذي قتله الشوق والظمأ الى شرب ما في تلك الخابية ، وتبدأ المساومة ويغالي الخمّار في الثمن ، وقد رأى شوق هؤلاء الى خمرته وحرصهم على الحصول عليها ، ويصر شاعرنا على الحصول على تلك الخابية ذات الخمر المعتقة ويبذل النقود والدراهم بسخاء من اجل ذلك ، واخيرا يضيء الخمار سراجه ويصب لهم الخمر في ابريقه لتسري في جسدهم فتكسبهم المتعة دون أن تفقدهم الرشد .. الخ

وأبيض مختلط بالكرا	م لا يتغطى لانفادها (٩٣)
أتاني يؤامرني في الشمو	ل ليلا فقلت له غادها (٩٤)
أرحنا نباكر جدّ الصّبو	ح قبل النفوس وحسّادها (٩٥)
فقمنا ولمّا يصح ديكنا	الى جونة عند حدادها (٩٦)

(٩٣) لا يتغطى : لا يتساكر اذا نفدت لئلا يشتري .

(٩٤) آمره : شاوره . الشمول : الخمر . غدا على الشيء : بكر اليه . هذا اصله ثم استعمل في الذهاب والانطلاق في اي وقت كان .

(٩٥) أرحنا من الاستراحة . جد الصبوح : الجد : العجلة . الصبوح : خمر الصباح .

(٩٦) جونة : سوداء ، يقصد خابية الخمر . حدادها : صاحبها الذي يحد الناس ، أي يذودهم عنها لنفاستها .

تنخلها من بكار القطاف | ازيرق آمن اكسادها (٩٧)
فقلنا له هذه هاتها | بأدماء في حبل مقتادها (٩٨)
فقال تزيدونني تسعة | وليست بعدل لاندادها
فقلت لمنصفنا أعطه | فلما رأى حضر شهّادها (٩٩)
أضاء مظلّته بالسّرا | ج والليل غامر جدّادها (١٠٠)
دراهمنا كلّها جيّد | فلا تحبسنا بتنقادها (١٠١)
فقام فصبّ لنا قهوة | تسكننا بعد ازبادها
كميتا تكشّف عن حمرة | اذا صرّحت بعد ازبادها (١٠٢)
كحوصلة الرأل في دنّها | اذا صوّبت بعد اقعادها (١٠٣)
فجال علينا بابريقه | مخضّب كف بفرصادها (١٠٤)

---

(٩٧) تنخلها : تخيرها • بكار القطاف : اول ما يقطف • أزيرق : هو الخمار جعله ازرق لانه علج ليس عربيا • آمن كسادها لجودتها •

(٩٨) ادماء : ناقة بيضاء •

(٩٩) الشهاد : الدراهم • الشاهد : الحاضر والمبذول والسريع • والمنصف : الخادم •

(١٠٠) مظلّته : خباؤه • الجدّاد : الهدب يبقى أسفل النسج •

(١٠١) نقد الدراهم : ميزها ونظرها ليعرف رديئها وجيدها •

(١٠٢) كميت : حمراء تضرب الى السواد • صرّحت : ذهب زبدها •

(١٠٣) الرأل : ولد النعام ، اي انها تناقصت لطول مكثها في الدن حتى صارت في اسلفه كحوصلة الرأل • صوّبت : صبّت • اقعادها : طول بقائها في الدّن •

(١٠٤) الفرصاد : التوت ، وهو أحمر • انظر : ديوان الاعشى ص١١٩ قصيدة رقم ٨ • ومثلها قصيدة للاسود بن يعفر في المفضليات ص ٢١٦ ، ولعبد المسيح بن عسلة ، المفضليات ايضا ص٢٧٨ ، الاسود بن يعفر ايضا ديوانه ص٦٣ ضمنها قصة من قصص الحب والذكريات وايام اللهو والندمان وشرب الخمرة •

ومن القصص الاجتماعية ما يتوسع فيه الشاعر ليشمل قبيلته كما فعل النابغة الذبياني واستعان بالمثل ليؤكد هذه الصورة ويجسّدها وهو (قصة الحيّة وضاربها . فقصيدته تقسم الى قسمين :

الاول : قصة الشاعر وقبيلته ذبيان .

الثاني : قصة المثل . اما ما يربط بينهما فهو التشبيه . وفي المشهد الاول ، او بالاحرى القصة الاصلية يقول الشاعر في اسلوب الخطاب المباشر الذي يوجهه الى قومه :

ألا ابلغا ذبيان عنّي رسالة
فقد اصبحت عن منهج الحقّ جائره

اجدّكم لم تزجروا عن ظلامة
سفيهاً ولم ترعوا لذى الودّ آصره(١٠٥)

فلو شهدت سهم وافناء مالك
فتعذرني من مرّة المتناصره(١٠٦)

لجاؤوا بجمع لا يرى النّاس مثله
تضاءل منه بالعشيّ قصائره

ليهنيء لكم ان قد نفيتم بيوتنا
مندّى عبيدان المحلّىء باقره(١٠٧)

فهو اذن يلقى منهم جفاء لا يستحقه ، ويجد في ذلك جورا وخروجا عن الحق والعدل ، وموقفهم هذا منه يشبه ما جرى بين الحيّة وصاحبها .

---

(١٠٥) أجدكم : مالكم . الآصرة : القرابة .
(١٠٦) سهم بن مرة ، مالك بن مرة ، من ذبيان .
(١٠٧) ليهنيء لكم : هنيئا لكم . المندّى : من التندية وهي الرعي بين السقيين عبيدان : رجل من قوم عادله حديث .

لقد اتفقا على العيش بسلام بعد ان قتلت أخاه وكانت تدفع له دينه من المال يوميا وقد اقسم لها على عدم قتلها او خيانتها ، واتفقا على ذلك وتراضيا .

واستمرا على هذا المنوال الى ان اصبح موسرا ولم يعد بحاجة اليهـا فتذكر ثأره وزيّن له الشيطان الغدر فأخذ فأسا وبدأ يحدّها ، وبعد أنّ تمّ له ما أراد ، صعد فوق بناء عال وحاول قتلها بضربة من ذلك الفأس فوقاها الله ذلك وخاب أمله وفشل في أخذ ثأر أخيه وندم على ذلك اشدّ الندم لأنه بعمله ذاك خان يمين الله وعهدها معه فضلاً عن خسارته للمال الذي كانت تدفعه له ، وكم حاول استرضاءها بتجديد اليمين والعهد باللّه الا انها أبت ذلك لئلا يعود الى فأسه وغدره فيقتلها بهما :

وانّي لألقى من ذوى الضغن منهم
وما اصبحت تشكو من الشجو ساهره
كما لقيت ذات الصّفا من حليفهـا
وكانت تديه المـال غبّا وظاهـره

فقالت له : أدعوك للعقـل وافـرا
ولا تغشينّي منك بالظّلم بـادره
فواثقهـا باللّـه حتى تراضـيا
وكانت تديـه المـال غبّـا وظاهره

تذكـر أنى يجعـل اللّـه جنّـة
فيصبح ذا مال ويقتـل واتـره
فلـمّا توفـىّ العقـل الاّ أقلـّه
وجارت به نفس عن الحقّ جائـره

فلمّا رأى أن ثمرّ اللّه مـالـه
وأثّـل موجـودا وسدّ مفاقـره
أكبّ على فـأس يحـدّ غرابهـا
مذكّـرة مـن المعـاول بـاتـره
فقام لها من فوق حجـر مشـيّد
ليقتلهـا او تخطـيء الكـفّ بـادره
فلمّا وقاها اللـه ضـربة فأسـه
وللبـرّ عـين لا تغمّض ناظـره
تنـدمّ لمّا فـاتـه الذّحـل عنـدهـا
وكانت له اذ خاس بالعهـد قاهره
فقال : تعالي نجعـل اللـه بيننـا
على ما لنـا او تنجزي لي آخـره
فقالت : يمين اللـّـه أفعل أنّنـي
رأيتك مسحورا يمينـك فاجـره
أبى لـي قبـر لا يـزال مقـابلـي
وضـربة فأس فـوق رأسـي فاقـره

وهذا الاسلوب القصصي الذي يعتمد المثل ويرويه لتأكيـد وابـراز حادثة تتعلق بالشاعر ، فضلا عن طرافته فهو يحوي قصة متكاملة من حيث الحركة والشخوص وسلاسة الحوار ووضوحه(١٠٨) .

ومثل هذه القصص كثير منها ما يمجدّ صفة الوفاء عند العرب كما ورد في قصة للاعشى (١٠٩) .

---

(١٠٨) ديوان النابغة الذبياني ص٢٠٧ ، ت . د . شكري فيصل .
(١٠٩) ديوان الاعشي ص٢٢٩ رقم ٢٥ ، قالها يمدح شريح بن حصن بن عمران ابن السموؤال بن عاديا لمذكرا اياه بقصة جده المشهوره .

ممّا مرّ بنا يمكننا القول ان القصة في شعر ما قبل الاسلام بكل الاغراض التي ذكرناها تتحد في اساليبها سواء في السرد القصصي او اعتماد الوصف والتشبيه او الاستعارة وغير ذلك من الاساليب البلاغية التي تأتي ضمن تلك القصص هذا فضلا عن ان تلك القصص تكاد تكون صورة لحياة العرب في شبه جزيرتهم سواء في مجال الحرب او السلم في الصحراء المنعزلة او في المجتمع القبلي ، ولهذا ايضا كان الشعر الجاهلي مصدرا مهما لدراسة حياتهم وتاريخهم •

والقصة في شعر ما قبل الاسلام ايضا رغم عفويتها وبساطتها وواقعيتها تؤكد ملامح القصة الشعرية وتعتمد عليها كوضوح الحدث والفكرة مع توافر البيئة الزمانية والمكانية لها • أما ابطالها فهم الشاعر نفسه او قومه او ما يحيط به من حيوان او جماد فضلا عن الحوار الذي تختلف اشكاله واساليبه حسب القصة ، فهو اما حوار مع الطلل او النفس أو المرأة او الحصان او الآخرين يضمنه الشاعر الاحداث التي يعرضها • ولا يخفى علينا ان بساطة تلك القصص وواقعيتها يعودان الى كونها تعبّر عن بيئة بسيطة سهلة غير معقدة وهي ارض العرب ، وهي ايضا التي حددت اخيلتهم باطارها فلم يخرجوا عنها •

وهذا لا يعني بالنتيجة ان تكون في بعض اغراضها قصصا اخبارية تاريخية وذلك لانها تعتمد العاطفة والشعور اكثر من اعتمادها الحقائق العلمية • وعلى هذا تكون القصة في شعر ما قبل الاسلام حكايات فنية غير مقصودة ، عكس بها الشاعر واقعه سواء وهو يحب او حينما يقاتل او وهو يراقب الحيوان الضعيف يغالب الموت ، وعبّر عن ذلك بالاسلوب الذي ساعده في تجسيم الصدق والحقيقة في كل ما قال وفعل •

الفصل الثالث

القصة الحربية في صدر الاسلام



القصة الحربية فى صدر الاسلام

مرّ بنا فى الحديث عن القصة الشعرية الجاهلية ان الشاعر العربي عرفه القصة الشعرية في أول عصور الادب وكانت تلك القصة تحكي حياة الشاعر وقبيلته وقومه بكل دقة وبساطة وتعكس واقعه الذي عاش فيه بشكل يجمع بين جمال التعبير الشعري وبساطة الحدث وصدقه وامانته .

وعندما جاء الاسلام سطع نور جديد في شبه الجزيرة العربية واندفع نداء الحق في كل الارجاء ليعلن هذا الحدث الشامخ بكل هدايته ليشمل كل ركن غمره ظلام الجهل والشرك والوثنية والعصبية القبلية .

لقد كانت الدعوة الاسلامية ثورة دينية واجتماعية وسياسية غيّرت مفاهيم الحياة السائدة آنذاك فقضت اولا على الوثنية والشرك وعبادة الاصنام عندما دعت الى التوحيد وعبادة الاله الواحد ، كما قضت على العصبية القبلية والتناحر عندما جمعت العرب تحت راية الاسلام والدين الواحد بعد أن كانوا قبائل متفرقة يجمعهم رباط العصبية القبلية وتسودهم المفاهيم القبلية الجاهلية كالثأر والحروب المستمرة . كما الغت الفوارق الاجتماعية والاقتصادية عندما دعت الى المساواة أمام الله وجعلت المسلمين سواسية كأسنان المشط افضلهم عند الله اتقاهم (١) . وبهذا الاساس الجديد

(١) سورة الحجرات ، آية / ١٣ . قال تعالى : « يا ايها الناس انّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا انّ اكرمكم عند الله اتقاكم » وقال ايضا : « إنما المؤمنون اخوة » (الحجرات / ١٠) .

للمساواة وهو التقوى ، التقى السادة بالعبيد والاغنياء بالفقراء فكانت العدالة الاجتماعية بداية الحياة الجديدة الصحيحة للعرب والمسلمين في كل الارجاء التي شملها نور الاسلام • وقد تحدّث الاستاذ احمد الشايب في موضوع اثر الدعوة الاسلامية في تنظيم حياة العرب الدينية والدنيوية فأكد ان ذلك التنظيم كان هو الركن الرئيس الذي قامت عليه الدعوة الاسلامية ، ثم قال : (لقد كان الرسول (ص) يدعو الناس جميعا ليصلح ما بينهم من صلات لتتوافر لهم حياة منظمة عادلة آمنة ، وليعلمهم شعائر دينية اخرى قوامها التوحيد والعبادة وانتظار الدار الآخرة ، وهذا معناه انّ الاسلام كان دينا ودولة ، او كان يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية) (٢)•

وجاء القرآن والحديث والسنّة النبوية دستورا للامة بدل النظام القبلي السائد سابقا ، فكانت الشريعة الاسلامية قانونا الهيا متكاملا في كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية •

وجاء القرآن ايضا يحمل من البلاغة والحكمة ما اذهل عقول المشركين وافقدهم صوابهم وتحداهم ان يأتوا بسورة واحدة او بآية مثله فاعجزهم ذلك(٣) • ولهذا اتّهموا النبي بانه شاعر او ساحر او مجنون(٤) ، وبانه يؤلف الاساطير ليخدع الناس ويذهلهم عن دين الآباء والاجداد(٥) • وقد دفع الله

---

(٢) تاريخ الشعر السياسي ـ احمد الشايب ، ص٩٤ •

(٣) قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » سورة الاسراء/ ٨٨ • ومثلها في سورة الطور / ٣٤ •

(٤) قال تعالى : «بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون » الانبياء / ٥ ومثلها في الصافات / ٣٦) ، وفي قوله تعالى : « كذلك ما اتي الذين من قبلهم من رسول الا ّ قالوا ساحر او مجنون » الذاريات / ٥٢ ، ومثلها قوله تعالى : « وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » سورة ص/ ٤ •

(٥) قال تعالى : « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة واصيلا» سورة الفرقان/ ٥ ، ومثلها في سورة القلم / ١٥ وسورة «المؤمنون» / ٨٣•

سبحانه وتعالى عن نبيّه هذه التهم والاقاويل الباطلة بقوله « وما علمّناه الشعر وما ينبغي له ان هو الاّ ذكر وقرآن مبين» (٦) .

ومن هنا بدأ الصراع بين الرسول (ص) والمسلمين من جهة ومشركي قريش من جهة اخرى بالسيف واعلان الحرب والجهاد تارة ، وبالقلم وقول الشعر تارة اخرى ، واستمر الصراع فكانت النقائض الاسلامية الاولى وقد تحدث عن ذلك الصراع كمظهر اسلامي جديد وتأثيره في الشعر الاستاذ احمد الشايب فقال : (هذا الوضع الجديد أثر في الشعر والشعراء من هذا الجانب السياسي ، وكان من مظاهر هذا التأثير ان شعر التناقض والتهاجي بين الاوس والخزرج اخذ ينتهي ويتحول الى قريش في مكة بزعامة ابي سفيان بن حرب هناك ، فبعد ان كان فخرا وهجاء بينهم جاهليا فى سبيل السيادة القبلية ، والمطالب المادية صار فخرا وهجاء اسلاميا بينهم وبين قريش وحلفائهم في سبيل الدين الجديد ودولته ، وذلك من شأنه ان يغيّر اتجاه الشعر ، ويوسع افقه ويسمو بغايته ، ولعل الخزرج كانوا ابعد صوتا من الاوس في ذلك)(٧) .

وجاءت معارك الدعوة النبوية وهي الوجه الثاني لذلك الصراع مثل معركة بدر وأحد ومؤتة وتبوك .. وغيرها . فظهرت معها قصائد الجهاد والدعوة الدينية التي اعتمدت على معان سامية أبرزها سموّ العقيدة والعزوف عن الدنيا وصدق الايمان والرغبة في الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، هذا فضلا عن انصراف الشعراء المسلمين عن الحديث في المعاني الجاهلية كالفخر

---

(٦) يس / ٦٩ .

(٧) تاريخ الشعر السياسي ـ احمد الشايب ، ص٩٩ ، كما تحدث الشايب ايضا عن تلك النقائض وفصّل في اغراضها في كتابه (تاريخ النقائض في الشعر العربي) ، ص١٢٢ . وفي كتاب السيرة النبوية لابن هشام ١٣/٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، نماذج لتلك النقائض في الشعر العربي في صدر الاسلام بين الشعراء المسلمين والشعراء المشركين .

بالقبيلة . والثأر لها ، والتغزل الماجن بالنساء ، وشرب الخمر ، لان القيم الاسلامية الجديدة استحوذت على عقولهم وقلوبهم وملأت عليهم حياتهم وفكرهم ، فتحولوا عن الفخر بالقبيلة الى فخر بالدين الجديد والعقيدة السامية والانتماء الى الجماعة الاسلامية قبل الانتماء الى القبيلة وكان ابرز الشعراء في هذا المجال حسان بن ثابت ، كعب بن مالك ، عبدالله بن رواحه ، الذين كانت قصائدهم سجلا لبطولات اخوانهم المؤمنين وجهادهم في سبيل الله ، كما كانوا يرثون شهداءهم مؤكدين خلود ارواحهم في جنة النعيم التي وعد الله بها عباده الصالحين . اما المشركون فمأواهم النار جزاء لكفرهم واشراكهم بالله . وسنقرأ تفصيل ذلك في النماذج الشعرية القصصية التي اخترناها .

فالشعر اذن كان سلاحا فعالا في معركة العقيدة بجانب سلاح السيف ، والجهاد . ولقد كانت هناك بحوث ومناقشات كثيرة ودراسات متنوعة قديما وحديثا عن موقف الاسلام والقرآن من الشعر ، ولا نجد حاجة لتكرار ما افاض فيه الآخرون (٨) .

ولهذا سنبدأ بدراسة القصة الشعرية في صدر الاسلام ، واولها قصص الحروب والجهاد ، وقد استندت في سبيل ذلك الى الشعراء البارزين اولا والى القصائد التي تؤكد الصورة القصصية السردية للاحداث مع الاشارة الى

---

(٨) طبقات الشعراء ، ابن سلام ، ص١٠ طبعة اوربية ، العمدة ، ابن رشيق ٣١/١ ، في العصر الاسلامي ، شوقي ضيف ٤٢/٢ ومابعدها ، عصر القرآن ، محمد مهدي البصير ، ص٦٤ ومابعدها ، مجلة الاستاذ ـ العدد ١٩٦٩/١٥ ، (موقف القرآن الكريم من الشعر العربي) د . عناد غزوان ، في الشعر الاسلامي والاموي ، عبدالقادر القط ، ص٩ ، اثر القرآن في الادب العربي ابتسام مرهون الصفار ، ص٤ ، شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ، يحيى الجبوري ، ص٤٠ ، تاريخ الشعر السياسي ، احمد الشايب ، ص١٠٣ ، وشعر الفتوح الاسلامية ، النعمان عبدالمتعال القاضي ، ص١٧١ ، التطور والتجديد في الشعر الاموي ، شوقي ضيف ، ص ١١ .

ان بعض تلك القصائد يسودها الوصف الذي جسّدوا من خلاله كل القيم المعنوية السامية التي جاء بها الاسلام .

لقد كانت غزوة بدر اولى غزوات الرسول (ص) واحداثها وتنائجها تحفل بها كتب التاريخ(٩) ، وما يهمنا هنا ليس الرواية التاريخية وانما قصة تلك المعركة كما تناولها الشعراء المسلمون سواء في مجال الفخر والرثاء للقتلى او هجاء المشركين . وهذه المعركة وقعت بعد الهجرة النبوية الى المدينة ، وقد نصر الله فيها دينه ورسوله وخذل المشركين رغم تفوقهم بالعدة والعدد ، وتلتها معركة احد في السنة الثالثة للهجرة(١٠) ، وقد تعاقب فيها النصر والخسارة على المسلمين ، وتعد معركتا بدر وأحد من المعارك الحاسمة في الدعوة النبوية وكانت خسارة قريش فيها جسيمة حيث هلك فيها الكثير من رجالها ومحاربيها ، ورغم مرارة المصاب فقد منعت قريش البكاء على قتلاها حتى تثأر لهم(١١) . وكان ثأرها في معركة أحد التي انتصر المسلمون في اولها ثم خسروا في نهايتها ، واستشهد الكثير منهم من خيرة المحاربين والصحابة وابرزهم حمزة عم الرسول (ص) الذي اوجع النبي (ص) استشهاده وبكاه المسلمون بحرقة ومرارة(١٢) .

ورغم ما لقيه الرسول (ص) والمسلمون من عناء في سبيل تثبيت اركان الدين الجديد في شبه الجزيرة العربية الا انه استمر في بث دعوته ، ولهذا بدأ بارسال الرسل على حدود الجزيرة وكان اولها رسوله الى عامل بصرى على الشام يدعوه فيها الى الاسلام ، ولكن نتيجة لقتل ذلك الرسول حصلت

---

(٩) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٧ ، الطبري ٢/٤٢١ وما بعدها .
(١٠) المصدر نفسه ٣/٦٤ ، الطبري ٢/٤٩٩ وما بعدها .
(١١) المصدر نفسه ٢/٣٠٢ المغازي للواقدي ١/١٢١ – ١٢٣ .
(١٢) المصدر نفسه ٣/١٠١ ، ١٠٤ وما بعدها .

غزوة مؤتة بقيادة زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة وجعفر بن ابي طالب[١٣] لرفع راية الاسلام ، وكانت نتيجتها استشهاد اولئك الابطال وتولى خالد بن الوليد القيادة لتوفير الأمان والسلامة لجيش المسلمين .

وكانت معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة[١٤] ، عقب فتح الرسول (ص) لمكة وقد اشترك فيها الكثير من المسلمين ضد قبيلة هوازن التي جمعت كل قواها من اجل حرب الرسول محمد (ص) ودعوته الجديدة ووقف انتشارها والقضاء عليها ، ولكن خاب مسعاها وهزمتها قوة المسلمين وشجاعتهم ، وبهذا انتصرت دعوة التوحيد وكانت قبيلة سليم على رأس القبائل التي حاربت مع الرسول وساندته في حنين .

هذه صورة موجزة لقسم من المعارك والغزوات التي قام بها الرسول (ص) لبث الدعوة الاسلامية وتثبيت اركانها ، وكان الشعر الاسلامي يسجل حياة المسلمين ومعاركهم وغزواتهم تلك بكل حماسة وايمان وصدق ، ولهذا كان مصدرا مهما اعتمده المؤرخون في توثيق الاخبار التي يروونها ولكن هذا لا يعني عدّ تلك القصائد قصصا اخبارية تاريخية لانها لا تروي قصصا حربية متكاملة منذ بدايتها الى نهايتها كما يرويها المؤرخ ، والا لاكتفى بها المؤرخون ولم يلجأوا الى السرد التاريخي الواقعي للاخبار كما حدثت في زمانها ومكانها ، بينما قصائد الشعراء تعتمد صدق الاحاسيس والعاطفة والخيال بغض النظر عن مطابقتها للاحداث مطابقة تامة . هذا فضلا عن قيود الوزن والقافية وما تفرضه من الايجاز والدقة والاختصار في الاحداث مع وضوح المعنى وجمال الاسلوب الذي يفترض في القصائد الشعرية بشكل عام مما يبعد تلك الحكايات الشعرية عن ان تكون قصصا تاريخية اخبارية بحتة .

---

(١٣) سيرة ابن هشام ٤/١٥ ، الطبري ٣/٣٦ .
(١٤) السيرة ٤/٨٠ ، الطبري ٣/٧٠ وما بعدها .

نماذج وتحليل :

قال حسان بن ثابت في معركة بدر يحكي قصة الصراع بين الايمان والشرك والحق والباطل قصة الحرب التي ارادتها قريش فكانت وبالا عليها مبتدئا ابياته بالغزل التقليدي :

عرفت ديار زينب بالكثيب
كخط الوحي في الورق القشيب
تعاورها الرياح وكل جون
من الوسمّي منهمٌ سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست
يبابا بعد ساكنها الحبيب

ثم ينتقل الى احداث بدر الكبرى بعد تلك المقدمة الطللية التي سادها، كما رأينا طابع الوصف ومحاكاة الاسلوب الجاهلي فقال :

فدع عنك التذكر كل يوم
ورد حزازة الصدر الكئيب
وخبر بالذي لا عيب فيه
بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر
لنا في المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء
بدت أركانه جنح الغيوب
فوافيناهم منا بجمع
كأسد الغاب مردان وشيب

ونلاحظ هنا ان الشاعر استعمل اسلوب الخطاب للغائب مع الوصف والتشبيه لرسم جوّ المعركة التي نصر الله فيها نبيّه محمد (ص) ومن معه رغم جيش المشركين الجرار الذي بدا كأنّه جبل حراء لهوله وضخامته ، لقد انتصر اسود الله بقوة الايمان والعقيدة وحب الله ورسوله :

امام محمد قد آزروه
على الاعداء في لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات
وكل مجرب خاظي الكعوب

ولا ينسى الشاعر ذكر الوحدة الدينية التي جمعتهم وآخت بينهم :

بنو الاوس الغطارف آزرتها
بنو النّجار في الدين الصليب
فغادرنا أبا جهل صريعا
وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجال
ذوى حسب اذا نسبوا حسيب

وواضح من هذه القصيدة انها تلخص احداث المعركة وتفصّل في وصف رجالها واسلحتهم كالسيوف والرماح لاجل اعطاء صورة متكاملة عن عظمة النصر الذي وعد الله به عباده وحققه لهم ، كما نلاحظ انها سريعة في ذكر نتائجها ، حيث تركت جثث سادة قريش مثل عتبة وشيبة وأبي جهل في ارض المعركة وقذفها المسلمون بعد ذلك في قليب بدر :

يناديهم رسول اللّه لمّا
قذفناهم كباكب في القليب

الم تجدوا حديثـي كـان حقـا
وامـر اللـه يأخـذ بالقلـوب
فما نطقوا ولـو نطقـوا لقالـوا
صدقت وكنـت ذا رأي مصيب(١٥)

وبعد هذه النهاية المشرفة للمسلمين وقف رسول الله (ص) يخاطب قتلى المشركين في قليب بدر قائلا : الم تجدوا كلامي صدقا وما وعدني ربّي صار حقا وهو النصر العظيم ؟ لقد كان يخاطب ارواحهم ، لا اجسادهم الميتة ولو اجابوه لقالوا صدقت يارسول الله ، وكنت على حق فيما قلت وفعلت فربحت ، وكنّا على باطل فخسرنا كل شيء .

وكما قلنا سابقا ، فانّ حكايات المعارك الاسلامية لا تروي قصصاً متكاملة وهذا يعني انها تعكس جوانب معينة منها او صورة سريعة لها يحرص الشاعر من خلالها على تأكيد الجوانب الدينية والادبية والجمالية فيها من جهة،والوقائع والاحداث الحربية من جهة اخرى . فحسان بن ثابت مثلا، يتناول حادثة صغيرة وقعت في معركة بدر وهي فرار حكيم والحارث بن هشام من ساحة القتال فيجسّمها ويكررها عدة مرات ليؤكد من خلال ذلك ضعف العزيمة وانهزام المشركين امام قوة الحق وجنده :

نجّى حكيـم يـوم بـدر ركضـه
كنجاء مهـر من بنات الاعـوج(١٦)

---

(١٥) ديوان حسان بن ثابت ، ص٧٠
(١٦) ديوان حسان بن ثابت ، ص١٢٥

النجاء : السرعة . اعوج . اسم فرس كريم تنسب الخيل الكرام اليه ليس في العرب فحل اشهر ولا اكثر نسلا منه .

القى السّلاح وفـرّ عنهـا مهمـلا
كالهبـرزيّ يـزل فـوق المنسـج(١٧)
لمّـا رأى بدرا تسـيل جلاههـا
بكتائب مـلأوس او ملخـزرج(١٨)
صبر يسـاقون الكمـاة حتوفهـا
يمشون مهيعة الطـريق المنهـج(١٩)

وواضح انه لخص الاحداث التي رواها في القصيدة الاولى وهو يروي لنا قصة فرار هذا المشرك ، ونلاحظ انه استعمل التشبيه والوصف والاستعارة الجميلة ، فقد شبه هذا الهارب في سرعته وشدة جريه بفرس اصيل من بنات الاعوج ، ولشدة رعبه وفزعه من جيش المسلمين القى السلاح عنه حتى يكون خفيفا في حركته ، سريعا في ركضه ، وشبهه في ذلك بأحد رماة السهام الفرس فوق ظهر فرسه ، وقد برّر الشاعر هرب ذلك المشرك بأنه قد رأى سفوح بدر ووديانها تموج بجيش المسلمين القوي العزيمة كأنهم السيل العرمرم ، وقد تمكّنوا من القضاء على جيش الشرك في بدر وجها لوجه دون خداع او مواربة ..(٢٠) الخ .

ومن الاساليب الاخرى التي اتبعها الشعراء في تصويرهم للمعارك

---

(١٧) عنها : اي عن بدر . مهملا : اي ضالا كالابل السائبة . الهبرزي : الاسوار من اساورة الفرس (اي : الجيّد الرمي بالسهام) يزل : يسرع . منسج : الفرس .

(١٨) جلاهها : جمع جلهة ـ وجلهتا الوادى : جانباه وهما بمنزلة الشطين . وفي قوله تسيل استعارة جميلة ..

(١٩) صبر : جمع صابر ، صفة للكتائب في البيت السابق . يساقون الكماة : المحاربين المسلحين الشجعان . المهيع : المنهج : واحد وهو الطريق الواضح يريد انهم لايختلون اعداءهم ، ولكن يكاشفونهم .

(٢٠) ومثلها ايضا في ديوانه ، ص١٤٠ ، ص٣٦٣ ، ٣٦٦ . وكذلك ذكرها عبدالله بن رواحة في ديوانه ص٩٨ ضمن رثائه لحمزة بن عبدالمطلب ، شهيد احد .

الاولى أنهم يسردونها في معرض الرد على مشركي قريش مثلا (٢١) ، او في رثائهم لقتلى أحد فيذكرون غزوتي بدر وأحد في القصيدة نفسها (٢٢).

فمثلا نقرأ ما قاله كعب بن مالك في قصيدة يجيب بها ضرار بن الخطاب الفهري في يوم بدر ايضا :

عجبت لامر الله والله قادر
على ما اراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر ان نلاقي معشرا
بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت الينا لا تحاول غيرنا
بأجمعها كعب جميعا وعامر

لقد حشدت قريش كل قواها وجمعت كل احلافها في بدر لحرب الرسول (ص) وتكاثرت الجموع وكانت ارادة الله فوق كل ارادة وكانت قوة العقيدة اشد فتكا من سيوف الاعداء :

وفينا رسول الله والاوس حوله
له معقل منهم عزيز وناصر
شهدنا بأن الله لا ربّ غيره
وانّ رسول الله بالحق ظاهر

---

(٢١) قصيدة كعب بن مالك في بدر ، ديوانه ، ص٢٠٠ ، يرد بها على قصيدة ضرار بن الخطاب الفهري المشرك (السيرة النبوية ٣/ ١٤) .

(٢٢) ديوان كعب بن مالك ، ص١٨٩ ، قال يبكي حمزة (رض) ، ثم يذكر احداث معركة بدر بعد ذلك ..

وجمع بني النّجار تحت لوائه

يمّشون في الماذىّ والنقع ثائر

لقد اجتمع الاوس وبنو النجار ليكونا درعا للّه ورسوله يحمون دينه بأرواحهم وهكذا اصبحت القبائل تلتقي تحت راية الاسلام وتوحيد الله ونصرة نبيه فزالت العصبية الجاهلية وانتهى امرها :

وقد عرّيت بيض خفاف كأنها

مقابيس يزهيها لعينيك شاهر

بهنّ أبدنا جمعهم فتبدّدوا

وكان يلاقي الحين من هو فاجر

فكبّ ابو جهل صريعا لوجهه

وعتبة قد غادرنه وهو عاثر

وشيبة والتيميّ غادرن في الوغى

وما منهم الاّ بذى العرش كافر

فأمسوا وقود النّار في مستقرّها

وكلّ كفور في جهنّم صائر

تلظّى عليهم وهي قد شبّ حميها

بزبر الحديد والحجارة ساجر

وكان رسول اللّه قد قال اقبلوا

فولّوا وقالوا انّما انت ساحر

لأمر أراد اللّه ان يهلكوا به

وليس لامر حمّه اللّه زاجر(٢٣)

---

(٢٣) ديوان كعب بن مالك ، ص٢٠٠ ، السيرة النبوية ٣/ ١٤ .

وبفضل هذه الوحدة واجتماع الكلمة سقطت صروح الكفر واحداً بعد الاخر الى جهنم وبئس المصير ، لقد دعاهم الرسول (ص) دعوة الحق فأبوا وكابروا وسخروا منه واتهموه بالسحر(٢٤) ، وانصرفوا عنه فنالوا جزاءهم الذي اراده الله بهم ولا رادّ لامره سبحانه وتعالى .

ونلاحظ ان كعب بن مالك اعتمد الاسلوب السردي الوصفي مع السهولة والسلاسة كما ابتعد عن المقدمة الغزلية التقليدية ، وكان يسرد الاحداث بتتابع الى ان وصل الى الغاية من سرد قصته وهي نفاذ امر الله وانتصار الحق وخذلان الباطل .

اما معركة مؤته (٢٥) التي وقعت على حدود شبه الجزيرة العربية فلم يشارك فيها الرسول (ص) مباشرة وانما ارسل جيشا بقيادة زيد بن حارثة ومعه جعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة لقتال الروم .

لقد التقى الجمعان ، وكان عدد الروم ومعهم القبائل العربية المتنصرة مائة الف محارب اما المسلمون فكان عددهم ثلاثة آلاف محارب فقط ، ورغم ذلك كان ايمانهم اقوى من كل سلاح ، وفي تلك المعركة قال ابن رواحة يحكي ما جرى لهم :

---

(٢٤) مرّ بنا في مقدمة الفصل في موقف المشركين من الاسلام والرسول (ص) واتهامهم للرسول (ص) بالسحر والجنون .. الخ .

(٢٥) يراجع في حوادثها : الطبري ٣/٣٦ ، سيرة ابن هشام ج٤/١٥ .
وفيها ايضا قال ابن رواحة عند تجهزه مع المسلمين وهو يدعو الله المغفرة والشهادة والجنة حينما قال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردّكم صالحين : (ديوانه ص٨٨) .

لكنني اسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرغ تقذف الزّبدا
او طعنة بيدي حرّان مجهزة	بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مرّوا على جدثي	ارشده الله من غاز وقد رشدا

جلبنا الخيل من أجأ وفرع
تغرّ من الحشيش لها العكوم(٢٦)
حذوناها من الصوّان سبتا
أزلّ كأنّ صفحته أديم
اقامت ليلتين على معان
فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسوّمات
تنفّس في مناخرها السّموم

والابيات السابقة توضح استعداد المسلمين وتهيؤهم للقتال فقد جمعوا الخيل واطعموها بكل عناية ووضعوا الحذوة في ارجلها واراحوها ليلتين في منطقة معان فزاد نشاطها وحيويتها فاقبلت مسرعة بكل حيوية ، لقد اندفع جيش المسلمين رغم قلة عددهم للقتال والدفاع عن عقيدتهم ويقسم الشاعر بأبيه انهم سيواجهون تلك القوة من الروم والعرب النصارى مهما كانت :

فلا وأبي مآب لنأتينها
وان كانت بها عرب وروم
فعبأنا اعنتها فجاءت
عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأنّ البيض فيه
اذا برزت قوانسها النجوم

---

(٢٦) اجأ وفرع : اسم جبل في طي ، وفرع مكان . تغرّ : تطعم . الصوّان : جعلنا لها نعالا من الصوّان وهو من الصون يصون حوافرها . جموم : نشاط . فترتها : ضعفها . معان : موضع بالشام . مسومات مرسلات. السموم: الريح الحارة .

فراضـــية المعيشــة طلقتهـــــا
اسّنتهـــا فتنـــــكح او تئيـــم[27]

لقد اسرعت الخيول بفرسانها وهي تثير الغبـــار فيختلـــط بدموعهـــا كالبريم[28] ، انطلقت بجيش المسلمين وكانت ساحة القتال صاخبة ، لقــد حول الغبار الذي اثارته اقدام الخيل ، النهار ليلا ، فبدت القوانس كالنجوم اللامعة في رؤوس الفرسان يملوءهم الايمان والرغبة في لقاء الله ، كما عبّر عن ذلك ابن رواحة عندما رأى زيدا وجعفرا يسقطان شهيدين والراية مستندة الى كتفي جعفر بعد ان قطعت يداه فأخذها وقال مرتجزا :

اقســـمت يـــانفـس لتنزلنــــه
لتنـــزلنّـــــــه او لتكـرهنّـــــه
ان اجلب الناس وشدّوا الرّنّـــة
مـــالـــي اراك تكـــرهين الجنّـــة
قد طـــال مـــا قـــد كنت مطمئنـــه
هل انـــت الا نطفـــة فـــي شنّـــه

وقال وهو يصول ويجول حاملا الراية :

يانفـــس الاّ تقتـــلي تمـــوتـــي
هـــذا حمام الموت قـــد صليت

---

(27) ديوان عبدالله بن رواحة ، ص102 ، السيرة النبوية 4/17 .
لقد قال الشعراء المسلمون قصائد متعددة في رثاء شهداء مؤتة (زيد ، جعفر ، عبدالله) منهم حسان بن ثابت في ديوانه ، ص178 ، ص182 ، السيرة 4/26 .
كعب بن مالك ديوانه ص260 ، السيرة 4/27 .
(28) البريم : في الاصل : خيطان مختلطان احمر وابيض تشدهما المرأة على وسطها وعضدها وكل ما فيه لونان مختلطان فهو بريم ايضا .

وما تمنّيت فقد اعطيت
ان تفعلي فعلهما هديت[29]

ويقصد بقوله (فعلهما) صاحبيه زيدا وجعفر ، وهكذا هجم حاملا سيفه وتقدم وقاتل حتى قتل . لقد ارتضى هؤلاء الابطال الشهادة واختاروا الموت بسيوفهم ورماحهم ناسين حياتهم واطفالهم ونساءهم في سبيل العقيدة والمبدأ .

اما معركة حنين فقد كان فارسها وشاعرها العباس بن مرداس السلمي وقد نصر الرسول بالف محارب من قومه لمجابهة هوازن ومن معها[30] ، وفي ذلك نقرأ قصيدة له يروي فيها حكاية حنين :

من مبلغ الاقوام انّ محمدا
رسول الاله راشد حيث يمّما
دعا ربّه واستنصر الله وحده
فأصبح قد وفّى اليه وانعما
تماروا بنا في الفجر حتى تبيّنوا
مع الفجر فتيانا وغابا مقوّما

لقد بدأ ابياته كما بدأها كعب قبله بأن الرسول (ص) دعا ربّه وطلب منه العون والنصر فأستجاب الله لدعوة الحق وانعم عليه بالنصر ، وهذه المقدمة يذكر الشاعر فيها تنيجة الاحداث وكأنه يتوقعها ، مما يدلل على رسوخ

---

(29) ديوان عبدالله بن رواحه ص87 ، ص108 .

(30) لقد هدد العباس هوازن ومن معها في ابيات له (السيرة 4/84) :

ابلغ هوازن اعلاها واسفلها ... مني رسالة نصح فيه تبيان
اني اظنّ رسول الله صابحكم ... جيشا له في فضاء الارض اركان
فيهم اخوكم سليم غير تارككم ... والمسلمون عباد الله غسّان
تكاد ترجف منه الارض رهبته ... وفي مقدّمه اوس وعثمان

الايمان والعقيدة في نفسه ومن معه ، لقد بدأ الهجوم في الفجر حيث فوجئت هوازن بهذا الجمع الحاشد وهم يعتلون ظهور خيلهم وقد ارتدوا دروع الحرب وحملوا رماحهم وسيوفهم القاطعة :

على الخيل مشدود علينا دروعنا
ورجلا كدفّاع الاتي عرمرما
فان سراة الحي ان كنت سائلا
سليم وفيهم منهم من تسلما
وجند من الانصار لا يخذلونه
اطاعوا فما يعصونه ما تكلّما
فأن تك قد امرت في القوم خالداً
وقدمته فانه قد تقدما
بجند هداه اللّه انت اميره
تصيب به في الحقّ من كان اظلما
حلفت يمينا برّة لمحمّد
فأكملتها الفا من الخيل ملجما
وقال نبّي المؤمنين تقدّموا
وحبّ الينا ان نكون المقدّما
وبتنا بنهي المستدير ولم يكن
بنا الخوف الاّ رغبة وتحزّما
اطعناك حتى اسلم الناس كلّهم
وحتى صبحنا القوم اهل يلملما

لقد اجتمع الجيش اذن تحت قيادة خالد تتقدمهم سليم بالف محارب من خيرة رجالها ، وبعدهم الانصار اعوان الرسول ومؤيدوه ، وهكذا تآلفت

القبائل تحت راية الاسلام وانمحى الفخر بالقبيلة خارج حدود الدين والعقيدة واصبحت اكثر القبائل نصرا لله ورسوله ، اكثرها قربا منه بدليل انه (ص) سمّى سليم الشعار لقربها منه (٣١) ونصرها السريع له •

والتحم الفريقان ، وحمى وطيس القتال وكانت سليم في المقدمة تدفع عن الرسول غدر هوازن وكيدها وانجلت المعركة عن هزيمة هوازن وتشتت شملها واضطربت ساحة القتال • فالحصان الابلق المميز يغيب فى هذه المزحمة والشيخ الكبير لا يطمئن حتى يعلّم هو وحصانه بعلامة :

يظلّ الحصان الابلق الورد وسطه
ولا يطمئن الشّيخ حتى يسوّما
سمونا لهم ورد القطا زفّه ضحى
وكلّ تراه عن اخيه قد احجما
لدن غدوة حتى تركنا عشيّة
حنينا وقد سالت دوافعه دما
اذا شئت من كلّ رأيت طمرّة
وفارسها يهوى ورمحا محطّما

---

(٣١) وفي ذلك يقول العباس ايضا : (السيرة ٤/١١١) •

نصرنا رسول الله من غضب له ... بالف كمّي لا تعدّ حواسره
وكنا على الاسلام ميمنة له ... وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة ... يشاورنا في امره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدما ... وكنا له عونا على من يناكره

(الشعار : ماولي جسد الانسان من الثياب فأستعاره هنا لبطانته وخاصته) •

وقد احرزت منا هوازن سربهـــا
وحبّ الينا ان نخيب ونحرمـــا(٣٢)

ولقد نهضوا لقتالهم بلهفة وشوق مسرعين كالقطا في وقـت الضحى لايسأل احدهم عن اخيه وهجموا هجمة رجل واحد فهزموهم وسالت دماؤهم وملأت اودية حنين .. ولم يبق في ارض المعركة الا بقايا منهم ، كتلك الفرس التي هوى فارسها ميتا او جريحا ، وذلك الرمح المحطم ، لقد خسرت هوازن حياتها ورجالها وكسبت المال والغنائم واحرزنا النصر والفخر وما اعظم مـا احـرزنا .

لقد رسم الشاعر صورة رائعة للمعركة استعان فيها بالوصف والاستعارة الجميلة ، فأعطى للقصة مزيدا من الحركة والحيوية فكأن القارىء او السامع لها يشاهدها امامه وبخاصة في الابيات الخمسة الاخيرة .

تلك هي نماذج لقصص وحكايات بعض المعارك والغزوات التي حدثت في زمن الرسول (ص) ، وقد لاحظنا انها في اغلبها واقعية حقيقية تتشابه في الاسس العامة والاهداف والنتائج ولكنها تختلف في زمانها ومكانها بعض الاختلاف ، هذا من جهة كما لاحظنا ، اعتماد الشـــاعر ، الســرد القصصي الاخباري مستعينا بالتشبيه والاستعارة والوصف .. وبما انها تحكي احداثا

---

(٣٢) ديوان العباس بن مرداس : ص١٠١ ، السيرة ٤/١١٢ .
وقد ذكر العباس نصرة قومه للنبي (ص) بالف محارب مرات عديدة فـي ديوانه : ص٥٠ ، ٥٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٠٦ .
كما ذكر حسان بن ثابت هذه الحادثة متألما لتقديم النبي (ص) لسليم على الانصار والمهاجرين كقوله :

علام تدعى سليم وهـــي نازحـــة ... امام قـــوم هم آووا وهـــم نصروا
سمّاهم الله انصـــارا لنصـرهـــم ... دين الهـــدى وعوان الحرب تستعر
وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات فما خافوا ومـــا ضجروا

(ديوان حسان ص١٩٨) .

واقعية حقيقية لهذا يمكننا عدّها حكايات حربية لمعارك الرسول كما وقعت بابطالها وزمانها ومكانها ونهاياتها .

القصص الحربية في زمن الخلفاء الراشدين :

ويقصد بها معارك الفتوح او حروب التحرير الاسلامية والتي نشر بها المسلمون دينهم ووسعوا آفاقه خارج شبه جزيرة العرب في العراق والشام ومصر وشمال افريقيا ، ولقد كانت القصائد التي قيلت في تلك الفتوح لا تزيد على مقطوعات صغيرة اغلبها في الحماسة واثارة الهمم لدى المحاربين ، كشعر عمرو بن معد يكرب والقعقاع بن عمرو التميمي فارس القادسية المشهور ، وعمرو بن شأس الاسدي وعبدة بن الطبيب وأبي محجن الثقفي المحارب الشجاع الذي ابلى بلاء حسنا في القادسية (٣٣) .

ورغم اهمية تلك المعارك والفتوح في ارساء دعائم الدولة العربية الاسلامية ونشر الدين الاسلامي الحنيف ، الا ان القصائد والمقطعات التي صدرت بوحي تلك الاحداث لا تعكس في اغلبها روحا قصصية ولا تزيد عن ان تكون حكاية لها بصورة شعرية منمقة بالاوصاف والتشبيهات وهي بهذا تلتقي مع قصص الحروب في وقت الرسول (ص) ولذلك ساختار منها ما يمثل حكاية لتلك الاحداث تجمع بين الحدث والصورة الشعرية الجميلة وفي ذلك نقرأ مقطوعة للشاعر عمرو بن شأس الاسدي يصوّر فيها وقائع من معركة القادسية(٣٤) معتمدا ايضا الاسلوب الوصفي السردي :

---

(٣٣) لقد تحدث النعمان عبدالمتعال القاضي عن ظاهرة قلّة الشعر الذي قيل في الفتوح فقال : (وهذه ظاهرة ينضوي تحتها شعر الشعراء القدامى الذين اشتركوا في الفتوح جميعها في قلّة ما خلّفوا من آثار في شعر الفتح ، وينضوي شعر الفتح كلّه في قلّة عدد الابيات التي تحتويها المقطوعة) ، شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ص٢١٦ .

(٣٤) وقد وقعت بين العرب المسلمين والفرس المجوس سنة ١٤هـ ، وانتصر فيها العرب انتصارا رائعا .. وفي تفاصيلها يراجع : الطبري ٣/ ٤٨٠ .

جلبنـــا الخيـــل من اكنـاف نيــق
الى كسرى فوافقهـــا رعـــالا[35]

تركن لهـــم علـى الاقسـام شجوا
وبالحقوين ايـامـــا طـــوالا [36]

وداعيـــة بفـــارس قـــد تركنـــا
تبكّـــى كلمـــا رأت الهـــلالا

قتلنـــا رستمـــا وبنيــه قســـرا
تثـــير الخيل فوقهـــم الهيـالا[37]

تركنـــا منهـــم حيـث التقينـــا
فئـــاما ما يـريدون ارتحـــالا [38]
وفـــرّ البيـــرزان ولـــم يحـــام
وكـــان على كتيبتـــه وبـــالا[39]

ونجّـى الهرمـــزان حـــذار نفس
وركض الخيـــل موصلـــة عجالا[40]

الحكاية هنا تسرد احداثا سريعة ومختصرة لتلك المعركة ولكنها متتابعة ونهايتها واضحة هي الموت او الهزيمة لقادة الفرس • اما تفصيلاتها فهي :

لقد اجتمع الفرسان الشجعان بكل حماستهم واندفاعهم وضجيجهم في

---

(٣٥) نيق: عين ماء باضم ، واضم : جبل لأ شجع وجهينة وقيل واد لهم • رعال: قطعات من الخيل ، والارعال : سرعة الطعن وشدّته •
(٣٦) الحقوين ، سجال : مواضع •
(٣٧) الهيال : التراب او الرمل المنهال اي المنصب •
(٣٨) الفئام : الجماعات من الناس •
(٣٩ ، ٤٠) رستم والبيرزان والهرمزان : قادة الفرس في يوم القادسية •

اكناف نيق ثم جئنا بهم من هناك لحرب كسرى وقومه ، وقد وجدهم امامه مجتمعين يملؤهم العزم والايمان ، ثم التقت السيوف وبدأت المعركة ، وكان قتالنا وضربنا لهم قاسيا ومريرا ، بحيث تركنا لهم الاوجاع في كل مكان مرّوا به لما يرونه امامهم من كثرة القتلى والجرحى .. لقد جعلنا النساء يبكين كلما رأين الهلال لانه ربما يذكرهن ببداية القتال او موت رجالهن ، لقد حقق الله لنا النصر وقتلنا احسن قادتهم وافضلهم ، مثل رستم وبنيه وتركنا جثثهم ملقاة على الارض بعد ان فر عنها اهلها تثير الخيل فوقها التراب والرمل كلما مرت بها دون ان تجد لها من يواريها الثرى . لقد انهكتهم الجراح والهزائم المستمرة التي الحقناها بهم فخارت عزائمهم وانهارت قواهم فلم يعودوا قادرين على الرحيل أو التفكير به .. اما من نجا من قادتهم وعظمائهم فقد هرب ناجيا بنفسه كالفيرزان الذي هرب دون ان يحاول الدفاع عن نفسه او قومه فكان عمله وبالا على جيشه وخزيا ومذلة لهم،وقد فعل الهرمزان فعل صاحبه ونفذ بجلده هاربا على ظهر حصانه تسرع به رغبته في الحياة والحفاظ على النفس ناسيا ما يعني ذلك من عار ومهانة له ولجنده ، هذا فضلا عن كونه يضعف روحهم المعنوية ويقلل حماسهم واندفاعهم .

اما المحاربون العرب فالموت عندهم اهون بكثير من عار الهزيمة والجبن . وقد برزت ضمن هذا المعنى قصص وبطولات رائعة مثل قصة ابي محجن الثقفي الذي كان سجينا عند بدء القادسية ، سجنه سعد بن ابي وقاص لشربه الخمر وقوله الشعر فيه(٤١) ، ورغم ذلك كان متحمسا للقتال والمشاركة فيه ، وقد طلب من سلمى زوجة سعد ان تطلق سراحه وتعيره البلقاء فرس سعد

---

(٤١) الطبري ٣/٥٤٩ .. يقول انه حبسه لقوله الابيات التالية :

اذا متّ فادفني الى اصل كرمة ... تروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفننّي بالفلاة فانني ... اخاف اذا ما مت الا اذوقها

ليحارب بها مع قومه ، فرفضت في بداية الامر ورجع حزينا كاسف البـــال وهو يقول :

كفى حزنا ان تردى الخيل بالقنـــا
وأتـرك مشـــدودا عليّ وثاقيـــا

اذا قمت عنّـــاني الحديـد واغلقت
مصاريع دوني قد تصـمّ المناديـــا

وقد كنت ذا مال كثيـر واخـــوة
وقد تركوني واحدا لا اخـا ليـــا

ولله عهـــــد لا اخيســـ بعهـــده
لئـن فرجت الاّ ازور الحوانيا(٤٢)

فلما سمعته سلمى افرجت عنه واعطته البلقاء على ان يعود الى سـجنه وقيوده آخر النهار ، وبالفعل خرج الى القتال وكان مقنّعا فابلى بلاء حسنا واذهل سعداً نفسه حتى قال : (والله لولا محبس ابي محجن لقلت هذا ابو محجن وهذه البلقاء) (٤٣) • وعندما انتهى القتال عاد الى سجنه ووضع القيود في رجليه وفاء بعهده لسلمى ، ثم قال :

لقـــد علمت ثقيـف غيــر فخـــر
بأنـــا نحـــن أجودهـــا سـيوفـا

واكـثرهـــا دروعـــا سـابغـــات
واصبرها اذا كرهـوا الوقـوفـــا

---

(٤٢) ديوان ابي محجن الثقفي ، ص٣٧ ، الطبري ٣/٥٤٨ •
(٤٣) الطبري ٣/٥٤٩ •

وانا رفدهم في كلّ يوم

فان غضبوا فسل رجلا عريفا

وليلة قادس لم يشعروا بي

ولم أشعر بمخرجي الزّحوفا

فان احبس فذلكم بلائي

وان اترك اذيقهم الحتوفا(٤٤)

لقد كانت بسالته اسطورية ولم يمنعه السجن ولا القيود من الجهاد والحرب في سبيل الله وتحقيق النصر ، والفرق كبير بين اولئك الفرس الذين هربوا من ساحة القتال ونجوا بانفسهم تاركين جنودهم في حيرة وارتباك وبين هذا الجندي البطل .

وهناك نقطة مهمة تجدر الاشارة اليها هي ان قصص الجهاد والفتوحات الاسلامية صدرت عن شعراء اشتركوا فعليا في تلك الحروب وعاشوا مرارتها وسعدوا بنشوة النصر فيها رغم الغربة والحنين الى الاهل والوطن فهي قصص حقيقية واقعية ، ولهذا تقترب في معناها من الحكاية الشعرية لتلك الفتوح ، واغلب المقطوعات او القصائد التي قيلت فيها تؤكد هذه المسألة كما رأينا ، ومن الشعراء من يبدأ قصيدته بالحنين والشوق للاهل ليؤكد قوة ايمانه وصبره وجلده في كل الملمات كما نقرأ ذلك في مقطوعة لبشر بن أبي ربيعة في معركة القادسية ايضا :

ألّم خيال من اميمة موهنا

وقد جعلت اولى النجوم تغور

ونحن بصحراء العذيب ودوننا

حجازية ان المحلّ شطير

(٤٤) ديوان ابي محجن الثقفي ، ص٤٣ ، الطبري ٥٤٩/٣ .

فزارت غريبا نازحـــا جلّ ما لــه

جواد ومفتوق الغـــرار طـــريـــر

وحلّـــت بيـاب القادسـية ناقتي

وســـعد بن وقّاص عليّ اميـــر

وواضح انه في غربته يتذكر اهله ويشتاق اليهم ولا يملك رؤيتهم الاّ في الاحلام ، وتستمر الذكريات ليقص لنا من خلالها قصة ذلك اليوم عنـدما التقى الجيشان وما حققه العرب من انتصارات ، وهزائم الفرس المستمرة ، رغم الامدادات الهائلة التي كانت تتوالى عليهم بحيث يتمنى احدهم لو يعار جناحي طائر ليهرب بهما من ضربات العرب الابطال :

تذكّـر هداك الله وقـــع سـيوفنـا

ببـاب قديس والمكـــرّ ضـــريـر

اذا بـرزت منهـم الينـــا كتيبـــة

اتونـا بأخـــرى كالجبـــال تمور

فضاربتهم حتى تفرّق جمعهـــــم

وطـــاعنت انّي بالطعـــان مهيـــر

وعمرو ابـو ثـــور شهيد وهاشـم

وقيس ونعمان الفتى وجـريـر(٤٥)

---

(٤٥) معجم البلدان ٤/٢٩١ ٠ وقد ذكر الطبري ٣/٦١٢ أبياتا اخرى لشاعر اسمه زياد بن حنظلة في حرب بين العرب والروم في الشام سنة ١٥هـ ، والمقطوعة فيها عرض سريع لاحداث تلك المعركة ونتائجها :

تذكرت حرب الروم لما تطاولت — واذ نحن فـي عام كثير نزائلـه

واذ نحن في ارض الحجاز وبيننا — مسيرة شـــهر بينهن بـــلابلـه

واذ ارطبون الروم يحمي بـــلاده — يحـاولـه قـرم هنـــاك يساجله

فلما رأى الفاروق ازمان فتحهـــا — سما بجنود الله كيما يصـــاوله

فلمـا احسوه وخـافـوا صوالـه — اتوه وقالـوا انت ممن نـواصله

والقت اليه الشام افـلاذ بطنهـا — وعيشا خصيبا ما تعـــد مآكـله

ومن القادسية ننتقل الى معركة بطولية اخرى هي معركة (واج الرّوذ) وقد وقعت بين العرب والفرس ايضا قرب همذان سنة ٢٢هـ ، وقد انتصر فيها العرب على الفرس الذين كان يقودهم قائد يدعى (موتا) ، وقد تصدى لـه فارس عربي يدعى نعيم بن مقرن ونكل به تنكيلا شديدا . وقد ذكر الطبري تفاصيل تلك الوقعة ثم قال في النهاية : (وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ، ولم تكن دونها ، وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصون ولا تقصر ملحمتهم من الملاحم الكبار) (٤٦) .

لقد روى ذلك الفارس ، نعيم بن مقرن حكاية تلك المعركة في مقطوعة شعرية فذكر كيف استعد هو ومن معه للقاء جند (موتا) النارسي وقد حملوا اسلحتهم وارتدوا دروعهم ونهضوا لقتالهم كأنهم الجبال الثابتة لا يثنيهم شيء عن عزمهم :

لمّـا اتـاني ان موتـا ورهطـه
بني باسل جرّوا جنـود الاعاجم

نهضت اليهـم بالجنـود مساميا
لأ منـع منهـم ذمتـي بالقواصـم

فجئنـا اليهـم بالحديـد كأننـا
جبال ترآءى مـن فـرع القلاسـم

ثم يذكر بعد ذلك قصة اللقاء في (واج الروذ) فيقول انها كانت ملحمة رائعة حيث صببنا عليهم الدواهي المميتة فشتتنا شملهم وتهاوى جمعهم كأنـه

---

(٤٦) الطبري ١٤٨/٤ ـ ١٤٩ ، واج روذ : موضع بين همذان وقزوين . انظر ياقوت ٣٤١/١ .

جدار متهدّم ثم قتلنا قائدهم (موتا) ومن كان معه ، اما من هرب منهم فقد تبعناهم حتى قتلناهم كما تقتل الكلاب الضالة . لقد كانت هزيمتهم عاراً ومذلة لهم ، وكان نصرنا مبعث عزّ وفخر دائمين .

فلمّا لقيناهم بها مستفيضة
وقد جعلوا يسمون فعل المساهم
صدمناهم في واج روذ بجمعنا
غداة رميناهم باحدى العظائم
فما صبروا في حومة الموت ساعة
لحدّ الرماح والسيوف الصوارم
كأنهم عند انبثاث جموعهم
جدار تشظّى لبنه للهوادم
اصبنا بها موتا ومن لّف جمعه
ومنها نهاب قسمه غير عاتم
تبعناهم حتى أووا في شعابهم
نقتّلهم قتل الكلاب الجواحم
كأنهم في واج روذ وجوّه
ضئين اصابتها فروج المخارم(٤٧)

وخلاصة القول ان القصة الحربية التي تحكي معارك الجهاد والدعوة النبوية في عصر الرسول (ص) ما هي الا قصص اخبارية دينية تعتمد الوصف غالبا لتجسيم صور المعارك الاسلامية وقيمة النصر الذي احرزه المسلمون، فضلا عن تركيزها على المعاني الدينية بوصفها سببا مباشرا لتلك الحروب فيتحدثون عن دعوة الرسول (ص) الى عبادة الآله الواحد وعدم الشرك به ،

(٤٧) الطبري ١٤٨/٤ .

ونبذ الاصنام التي كان آباؤهم واجدادهم يعبدونها هذا فضلا عن الدعوة الى المساواة وعدّ التقوى اساسا للمفاضلة بين المسلمين ، ثم مقاومة الكفار لتلك الافكار بالقول شعرا والفعل باعلان الحرب وهكذا يتدرج الشاعر الى ان يصل الى قصة المعركة فيذكر بلاء المسلمين فيها وجهادهم ونصر الله لهم وفشل الكفار في مسعاهم وخذلانه سبحانه وتعالى واخيرا ينهي قصيدته بانتصار ارادة الله ودعوة رسوله الكريم وذهاب الكفار الى النار وبئس المصير .

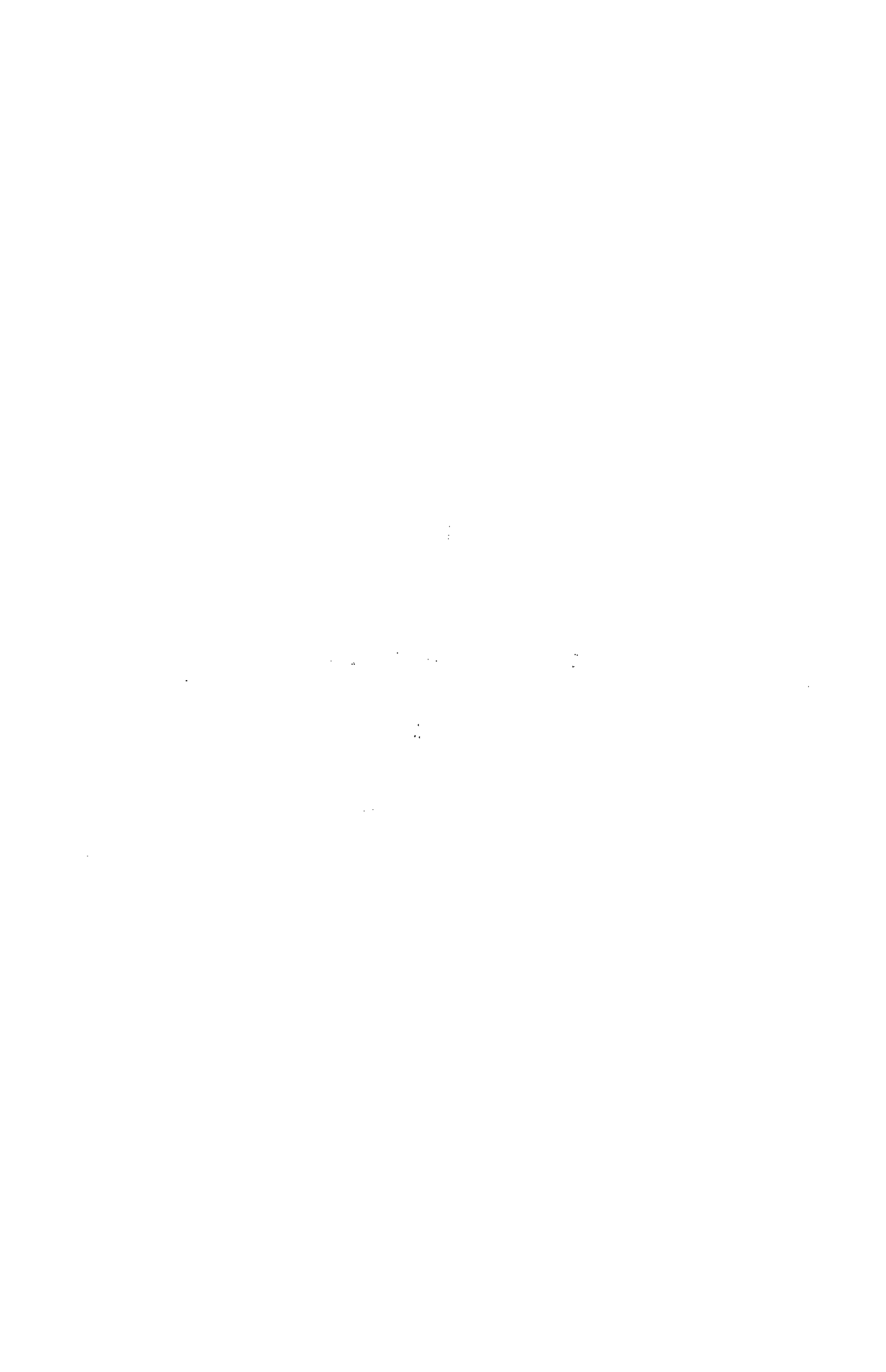
وعلى هذا فان تلك القصص تعدّ حربية دينية لانها تجمع بين الجهاد في سبيل الله والدعوة الاسلامية وهي بهذا الاسلوب متأثرة بشكل غير مباشر بالقصص القرآنية التي تتحدث عن الانبياء والرسل الذين سبقوا النبي محمد (ص) في دعوته فلقوا المقاومة نفسها والاذى نفسه وصبروا وجاهدوا الى ان تحققت ارادة الله وانتصرت دعوة اولئك الانبياء -ع- مثل قصة (يوسف ، عيسى ، نوح) .

اما قصص الفتوحات الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، فقد رأينا أن ما قيل فيها قليل جدا لا يتجاوز المقطوعات القصار كما لا يتناسب مع ضخامة تلك الاحداث وربما كان انشغالهم التام بتلك الحروب وتواجدهم بعيدا عن ديارهم وما يخامرهم من شعور بالحنين الى الاهل والوطن سببا في تقصيرهم الشعري ذاك .

ولهذا السبب اعتمد الشعراء الايجاز في عرض الاحداث مع الوصف والتشبيه ان احتاج الامر الى ذلك علما ان اغلب شعراء الفتوح هم ممن شاركوا فيها وبعضهم كان من قوّادها ، كالقعقاع الذي شارك في معركتي اليرموك والقادسية وغيرها وكان من شعرائها البارزين .

الفصل الرابـع

القصـة الاجتماعيـــة
في
صدر الاسـلام



القصة الاجتماعية في صدر الاسلام

وهي قصص تتعلق بحياة الشاعر او مجتمعه الذي يحيط به بشكل عام ومن ضمنه ايضا نظام الحكم او الدولة التي تسيطر على مجريات الامور في ذلك المجتمع • والمجتمع العربي في ظل الدولة ما بعد الاسلام مجتمع مسلم مجاهد في سبيل بث تلك الدعوة وتثبيت اركانها كما رأينا في دراستنا للقصص الحربية التي وجدنا من خلالها العرب خارج جزيرتهم وهم ينشرون دعوتهم ويقضون على الشرك والوثنية • والمجتمع العربي ايضا رغم ايمانه بالدين الجديد وتفاعله معه في كل مجالات الحياة والواقع ، لا يعدو أن يكون امتداداً لمجتمع ما قبل الاسلام ، وبخاصة فيما يتعلق بالقيم الخلقية الكريمة التي درج عليها ابناؤه ، مثل صفات الكرم والشجاعة والفروسية المتكاملة التي تفاعلت مع الدين الجديد لتعطي لاصحابها صورة الانسان المثالي المتكامل الذي يخاف الله ويلتزم بحدود دينه ولا يخرج عن تعاليمه السامية •

وكان الشعراء المسلمون يصورون جوانب من حياة المجتمع في تلك الفترة من خلال قصصهم أو حكاياتهم الشعرية البسيطة التي تمثل حياتهم الخاصة او حياتهم من خلال تفاعلهم مع المجتمع او السلطة الحاكمة في ذلك الوقت ، وسنستشهد خلال دراستنا لقصص الشعراء او حكاياتهم بأمثلة ونصوص مختارة تمثّل بعض جوانب المجتمع العربي ما بعد الاسلام •

« نماذج وتحليل »

١ – من قصص الكرم :

أ – قصة عمرو بن الاهتم .

ب – قصة الحطيئة .

٢ – من قصص البخل وهجاء الضيف :

قصة المزرد بن ضرار الغطفاني .

هجاء القبيلة للمزرد بن ضرار الغطفاني .

٣ – من قصص الاسرة :

قصة الشماخ بن ضرار الغطفاني .

قصة ابي الاسود الدؤلي .

٤ – من قصص الشاعر والدولة (الشكوى) .

قصة أمية بن الاسكر .

قصة القتّال الكلابي .

١ – من قصص الكرم :

أ – قصة عمرو بن الاهتم .

ب – قصة الحطيئة .

الكرم ، من الصفات العربية الاصيلة التي فخر بها العرب ومارسوها في كل اطوار حياتهم منذ عصر ما قبل الاسلام حتى العصور المتأخرة ، وقد ظهر أثر اعجابهم بتلك الصفة في كل ما صدر عنهم من اقوال وقصائد في تمجيد صفات الشهامة والمروءة ، وأولها صفة الكرم (١) . وقد مرّ بنا في

---

(١) ديوان المعاني ، العسكري ١/١٠٧ (افضل الجود جهد المقل) .

حديثنا عن القصة في عصر ما قبل الاسلام مدى حرص العربي على اكرام ضيفه حتى لو ادى به الامر الى بذل كل ما يملك في سبيل ذلك(٢) ، أو تقديم أعزّ ما لديه واغلاه رغم حاجته الشديدة اليه في حالة كونه فقيرا معدما وبخاصة أن (افضل الكرم عندهم ما كان مع الحاجة (٣) وعلى هذا الاساس فان (اجود الناس عندهم من جاد عن قلّة وصان وجه السائل عن المذلة)(٤) .

وفي الحديث عن الكرم اخترنا قصتين : احداهما لشاعر يملك قابلية الكرم وروحيته ، والاخرى ، لشاعر فقير معدم تماما ، ولكن لديه روحية الكرم أو الرغبة في التعبير عنه .

ففي النوع الاول تطالعنا قصة الشاعر عمرو بن الاهتم التي يبدأها بالغزل التقليدي الذي يهدف من خلاله الى تأكيد تلك الصفة في نفسه امام المحبوبة فهو كما يقول كريم الاصل والطبع يستحق حبها وتقديرها ويكره البخل لانّه يغير اخلاق الرجال ، ويذكر لها في سبيل ذلك قصة من قصص كرمه التي نحن بصددها ، أما مطلع القصيدة فهو :

ألا طرقت اسماء وهي طروق   وبانت على انّ الخيال يشوق

وفي معرض ردّه على التي لامته على الكرم قال :

ذريني فانّ البخل يا أم هيثم
لصالح اخلاق الرجال سروق
ذريني وحطّي في هواي فانني
على الحسب الزاكي الرفيع شفيق

---

(٢) يراجع الفصل الثاني ، القصة في العصر الجاهلي .
(٣) العقد الفريد ١/٢٣٥ .
(٤) المصدر السابق .

واني كريم ذو عيال تهمّني
نوائب يخشى رزؤها وحقوق

وبعد تلك المقدمة العاطفية الخلقية ينتقل الى سرد قصته التي يبدو من تسلسل احداثها أنها وقعت في الشتاء في ليلة مظلمة باردة جدا ، وكان بيت الشاعر هو موقع تلك الأحداث ، وابطالها هم الشاعر واهله وضيفهم الليلي كما نقرأ فيما يأتي :

مستنبح بعد الهدوء دعوته
وقد حان من نجم الشتاء خفوق

يعالج عرنينا من الليل باردا
تلفّ رياح ثوبه وبروق

تألّق في عين من المزن وادق
له هيدب داني السّحاب دفوق

أضفت فلم أفحش عليه ولم أقل
لأحرمه : انّ المكان مضيق

فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا
فهذا صبوح راهن وصديق

وقمت الى البرك الهواجد فاتقت
مقاحيد كوم كالمجادل روّق

بادماء مرباع النعاج كأنها
اذا عرضت دون العشار فنيق

بضربة ساق أو بنجلاء ثرّة
لها من أمام المنكبين فتيق

وقام اليهـــا الجـــازران فأوفـدا

يطيران عنها الجلـــد وهـــي تفوق

فجـــرّ الينا ضرعهـــا وسنامهـــا

وأزهـــر يحبـــو للقيـــام عتيـــق

بقيـــر جــلا بالسيف عنـــه غشـاءه

أخ باخـــاء الصّـــالحـــين رفيـــق

فبـــات لنا منها وللضّيف موهنـــا

شـــواء ســمين زاهـــق وغبـــوق

وبات لـــه دون الصّبا وهي قـــرّة

لحـاف ومصقول الكســاء رقيـــق

وكل كـــريم يتقي الـذّم بالقـــرى

وللخيـــر بـــين الصّالحين طـريق

لعمرك ما ضـــاقت بـــلاد بـأهـلها

ولكنّ اخـــلاق الرّجـال تضيق(٥)

وقصة الكرم هنا كما يرويها لنا الشاعر صورة متكاملة فى أحداثهـا وزمانها ومكانها وحتى في الاجواء النفسية والبيئية التي تمّت فيها ، ونلاحظ ان الابيات الثلاثة الاولى ترسم الاجواء العامة التي حدثت فيها تلك القصة زمانا ومكانا وهي كما يأتي :

في احدى ليالي الشتاء الباردة المظلمة حيث الرياح العاصفة والسحب الكثيفة تغطي وجه السماء يتخللها لمعان البرق وهدير الرعد منذرين بالمطـر الغزير المستمر لعدة ايام ، في مثل هذا الليل البارد الذي جنحت فيه الثريـا للمغيب وتوارت النجوم بكل نورها وبهائها خلف السحب الكثيفة الثقيلـة التي اقتربت من الارض لشدة ثقلها .

---

(٥) المفضليات ، ص١٢٦ .

في مثل هذا الجو الذي يلجأ فيه الكثيرون الى بيوتهم حيث الدفء ، والاطمئنان والطعام والشراب سمعت ضيفا تائها يستنبح لعل أحد كلاب اهل الكرم تجيبه فيهتدي الى من يضيّفه من مصدر صوتها . وكان الرجل متلهفا الى الجواب وهو يصارع البرد والرياح العاصفة المطرة التي كانت تدفعه دفعا فيلتصق ثوبه المبلل بجسده فيفقداه صوابه . واستمرت الامطار ، وازدادت كثافة السحب فطبقت الآفاق ، وكان ليلا موحشا رهيبا والضيف التائه ما زال يستنبح كلاب أهل الكرم فسمعت صوته وخرجت بسرعة ولهفة لاستقباله ، وكنت سعيدا بقدومه قولا وفعلا ولم اعتذر بأي شيء لئلا أحرمه حق الضيافة ، بل على العكس هششت بوجهه قائلا : اهلا بك أيها الضيف الكريم حللت اهلا ونزلت سهلا ، بالغت في الترحيب به قائلا : هذا شراب الصبوح بين يديك وكلّنا اهلك وأصحابك حتى لا يشعر بالغربة والحرج ، وكنت أهش في وجهه مبتسما سعيدا لان ذلك من أولى واجبات الضيافة التي يجب تقديمها للضيف في أول قدومه (٦) .

وبعد ان استقر ضيفي في سكانه واطمأن بالي قمت مسرعا لاعداد الطعام وخرجت الى مربط النوق الساكنة لاختيار الناقة الكريمة الجديرة بضيفي ، وكانت كثيرة وكلها عالية ضخمة الاسنمة ، وعندما اقتربت منها ارتعبت مني واخذت تبتعد وهي خائفة مذعورة ، وقد احست نذر الخطر في نظراتي الحائرة في اختيار افضلها واكرمها ، ولهذا توارت مذعورة خلف ناقة تبدو أكثرهن كرما وأصالة عظيمة السنام ضخمة ، كأنها الفحل من الابل ، بيضاء كريمة تحمل جنينا في شهره العاشر مولده في الربيع ، ورغم كل ذلك اخترتها دون الجميع

---

(٦) تعد هذه الضيافة المعنوية واجبة على المضيف اكثر من الضيافة المادية التي تنحصر في تقديم الطعام والشراب ، وابرزها بشاشة الوجه وطلاقته في استقبال الضيف وغير ذلك من الامور التي يمجدونها في عملية الكرم . يراجع في ذلك المعاني الكبير ، لابن قتيبة ، ١/٢٩١ ، الاشباه والنظائر ، ١/٦٥ .

لتكون طعاما لضيفي ولم اتردد لحظة في ذلك،فاستللت سيفي وعقرتها ، ثم اردفتها بضربة أخرى فجّرت دمها واسقطتها ارضا ثم اسلمتها للجازرين ليكملا المهمة ، ولشدة ضخامتها اعتلياها وبدءآ بسلخ جلدها وهي تجود بآخر أنفاسها ثم اخرجا جنينها الابيض الكريم وهو يحبو بعد ان تحرر من غشائه وكان في صدر مائدة الضيف ثم بدأت القدور والنار المشتعلة تطبخوتشوي هذا الطعام الدسم ، فأكل الضيف الكريم وشرب شراب الغبوق ثم نام هادئا في فراشه الدافيء الناعم وهو يحمل في اعماقه عاطفة الشكر والاعجاب لهذه الضيافة الكريمة ، واطمأن بالي وارتاح خاطري وهدأت نفسي لأنني قمت بواجبي كما ينبغي لي كرجل كريم يتقي الذم باقراء ضيوفه وهذا هو السبيل الصالح لكل انسان كريم الاصل والخلق .

ومن متابعتنا لهذه القصة يمكننا القول ان الشاعر كان رجـلا موسرا يملك ما يمكّنه من اكرام ضيفه بسعة واقتدار وهو ايضا يملك روحية الكرم والرغبة فيه بدليل انه اختار افضل ناقة لديه وأكرمها لتكون طعاما لضيفه ، وهذه شيمة العرب في اكرام الضيف باختيار افضل الابل وعقرها له (لانه لا يمنع عقر الابل حسنها وعزتها لان الضيف أعز) (٧) هذا من جهة . كما انه مهّد لكرمه وجعله في فصل الشتاء والمطر والبرد والرياح العاصفة حيث يعز كل شيء وبخاصة اللحم ، ويقبع البخلاء في بيوتهم بينما ينتظر الكـرمـاء الضيوف ويدعونهم بمختلف الوسائل ويبقون مرهفي السمع لطـارق ليل يستنبح ، وقد عبر احد الشعراء وهو خداش بن زهير عن هـذا المغنى فـي قـولـه :

ومطوية طيّ القليب حبستها   لذى حاجة لم أعي اين مصادره

(٧) المعاني الكبير ، لابن قتيبة ١/٣٩١ ، ويراجع ايضا : ص٣٩٠ ـ ٤٠٦ في الابل المحبوسة للاضياف .

ومثله قول الآخر :

ومطوية طيّ القليب رفعتهـا   لمستنبح بعد الهدوّ طروق(٨)

فكلاهما هنا يرفع سمعه ويرهفه ليسمع مستنبحا فيدعوه ويضيفه ، ولا ننسى أن ضيافة الشتاء تعني منتهى الكرم والجود ، ويسمى ذلك الجـواد هضوما للشتاء ، أي ظالما له ، أو بالاحرى مزيلا لدواعي ظلمه وهي قلّة الطعام وشحته ، وفي ذلك يقول الاعشى واصفا أحد الكرماء :

هضوم الشتاء اذا المرضعـا   تجالت حبائر أعضادها(٩)

اي انه يقرى في الشتاء ويطعم ضيوفه فيذهب بشدته وبخاصة عنـدما تجوع النساء وتهزل فتجول الاسورة بحرية في اعضادهنّ .

وكرم الاغنياء الموسرين يختلف عن كرم الفقراء المعوزين ، ولاشك أنّ افضل الجود ما كان عن قلّة كما يقولون ، وفي هذا المعنى نقرأ قصة للحطيئة تتمثل فيها صورة للكرم رسمتها مخيلة فقير معدم ربما تكون قد حصلت فعلا وربما يتمنى ذلك الشاعر حصولها ليمحو صورة البخل المعروفة عنه أمام نفسه اولا وأمام الناس ثانيا ، اما القصة فهي كما سنرى من تسلسل احداثها أنهـا حدثت في ليلة مظلمة أيضا ومكانها أرض صحراوية جرداء ، او بالاحرى في أحد شعاب الجبال في الصحراء حيث انفرد بطل القصة واهله بالسكن هناك معتزلا الناس والحياة . أما ابطالها فهم ايضاً الشاعر وأهله والضيف الليلي الذي طرقهم . وبعد هذه المقدمة نقرأ القصة كما يرويها الحطيئة على لسان جواد صاحب صيد الوف للفلوات (١٠) :

وطـاوي ثلاث ، عاصب البطن مرمل

ببيداء لم يعرف بها سـاكن رسـما

---

(٨) المصدر السابق ١/٤٠٧ .
(٩) المصدر السابق ١/٥٤٦ .
(١٠) هذا النص ورد في مقدمة القصيدة في ديوان الحطيئة ، ص٣٩٦ .

أخي جفوة فيه من الانس وحشة

يرى البؤس فيها من شراسته نعمى

تفرّد في شعب عجوز ازاءها

ثلاثة اشباح تخالهم بهما

حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملّة

ولا عرفوا للبرّ مذ خلقوا طعما

رأى شبحا ، وسط الظلام فراعه

فلمّا بدا ضيفا تصوّر واهتمّا

فقال ابنه لمّا رآه بحيرة

أيا أبت اذبحني ! ويسّر له طعما

ولا تعتذر بالعدم علّ الذي طرا

يظنّ لنا مالا فيوسعنا ذمّا

فروّى قليلا ثم أحجم برهة

وان هو لم يذبح فتاه فقد همّا

وقال : هيا ربّاه ضيف ولا قرى

بحقّك ، لا تحرمه تا الليلة اللّحما

فبينا هم ، عنّت على البعد عانة

قد انتظمت من خلف مسحلها نظما

ظماء تريد الماء فانساب نحوها

على أنّه منها الى دمها أظما

فأمهلها حتى تروّت عطاشها

فأرسل فيها من كنانته سهما

فخرّت نحوص ذات جحش فتيّة

قد اكتنزت لحما وقد طبقّت شحما

فيا بشره اذ جـرّها نحـو اهلـه
ويا بشرهم لمّـا رأوا كلمهـا يدمى
فباتوا كراما قد قضوا حقّ ضيفهـم
فلم يغرموا غرما وقـد غنموا غنما
وبات ابوهـم مـن بشاشـته أبـا
لضيفهم ، والام من بشرها أمّـا(١١)

القصة هنا ذات ابعاد واسعة تخرجها من اطار الحكاية البسيطة ، فهي تعرض قصة من قصص الكرم مغايرة تماما للقصة السابقة ، وسندرك ذلك عند تحليلنا لهذا النص .

وقصة الكرم هذه من القصص المشهورة للحطيئة وقد اسميتها قصة لا حكاية لاحتمال وجود عنصر الخيال فيها قليلا من جهة ، ولتشعب احداثهـا وتداخلها من جهة أخرى .. والحطيئة هنا لا يروي حكاية كرم وقعت له وكان بطلا لها لانّه رجل بخيل كما هو معروف عنه او فقير معدم لا يملك اطعام نفسه فهو اذن لا يعكس صورة من حياته الحقيقية وانما يتخيّل في ذهنـه حادثة لرجل جعله كريما معدما ووضعه في مكان وزمان وظـروف نفسـية واجتماعية وعائلية ومادية خاصة لا تساعده جميعا في تحقيق عملية الكرم رغم رغبته في ذلك ومع كل ذلك دفعه الى التصرف بشكل معين ضمن ظـروف طبيعية جديدة جعله يبدو من خلالها في منتهى الكرم امام ضيفه أولا ، وامام نفسه واهله ثانيا .

والقصة ذات مشاهد متعددة ، أولها يتحدث عن زمان ومكان وظروف تلك القصة وابطالها .. لقد كان هناك في احدى شعاب الجبال في صحراء موحشة لا أثر فيها للبشر يسكن رجل فقير انفرد بالعيش مع زوجته العجوز وأطفالهما الثلاث ، وكانوا حفاة عراة جائعين لم يعرفوا طعم الزاد منذ زمـن

(١١) ديوان الحطيئة ، ص٣٩٦ .

بعيد ولم يذوقوا طعم الخبز مذ خلقوا وهذا الجوع جعلهم كالاشباح من شدة الهزال وقد عصبوا بطونهم . أما الاب فكان لوضع اطفاله وزوجته الجياع وسكناه في الصحراء الموحشة قد أصبح غليظ الطبع جافيا محبّا للعزلة والابتعاد عن الناس حتى غدت وحشة الصحراء وبؤسها في نظره سعادة ونعيما له .

وفي هذه الاثناء لاح لذلك الاب شبح في ظلام الليل فارتعب وانتبه لئلا يكون عدوا يقصده بسوء ، ولكن عندما عرف أنّه ضيف استعدّ للقائه واكرامه :

رأى شبحا وسط الظلام فراعه　　فلمّا بدا ضيفا تصوّر واهتما

ولكن أين الطعام وحالة الرجل ونفسيته كما رأينا ، وكيف سيتمكن من اكرام ضيفه ضمن تلك الظروف وهو لا يملك اطعام اطفاله وزوجته .. وبهت الرجل المسكين وحزن حزنا شديدا وشعر بالمرارة والالم واللوعة ، لانه لا يستطيع القيام بواجبه تجاه ضيفه ، ترى ماذا يفعل وكيف يواجه هذا الموقف؟ وهنا يقف الابن ليخفف عن أبيه الحائر ويرفع عنه ذلك العبء قائلا : لا تحزن يا أبي ها أنذا أمامك فاذبحني واجعلني طعاماً لضيفك ، ولكن ايّاك أن تعتذر له بالفقر وقلّة المال فلعل الذي طرقنا الساعة لا يصدق مقالتك ويظن اننا نملك مالا ونمنعه عنه ونخفيه فيهجونا اشد الهجاء .. وهنا تردد الاب قليلا وفكر بهدوء ، وكاد وهو في ظل محنته أن يذبح ولده او لعله هم بذلك ، وفي غمرة ذلك الصراع توجه الى السماء الى الله الكريم الرزاق قائلا : يا الهي هذا ضيف يطرقني وانا انسان فقير لا أملك ما اكرمه به وهو موقف صعب لي لا استطيع تحمله بحقك لا تحرمه في هذه الليلة حقه كضيف من الطعام واللحم وساعدني على اكرامه بكرمك .

وقال هيا رباه ضيف ولا قرى　　بحقّك لا تحرمه تا الليلة اللّحما

والى هنا ينتهي مشهد وصل فيه الشاعر الى قمة المعاناة والصراع ترى ما هو الحل الذي وضعه الحطيئة في قصته لمساعدة ذلك الرجل الفقير الكريم الذي انسته رغبته في اكرام ضيفه جوعه وجوع اطفاله ، وكادت ان تدفعه الى ذبح ولده كما رأينا .

وعند هذه المرحلة يبدأ المشهد الاخير من القصة وهو الحل الذي تخيله الشاعر ليساعد به بطل قصته ، يقول :

فبينا هم عنّت على البعد عانة
قد انتظمت من خلف مسحلها نظما

ظماء تريد الماء فانساب نحوها
على انّه منها الى دمها أظما

وهكذا ساقت اليهم الطبيعة والاقدار ، كما أراد خيال الشاعر قطيعا من حمر الوحش تسير بانتظام خلف قائدها (مسحلها) وهو الفحل وكانت عطشى فاقتربت من الماء لتشرب وترتوي فانّسل نحوها بهدوء وحذر وهو مشوق الى شرب دمها اكثر من شوقها الى شرب الماء فأمهلها قليلا حتى شربت وارتوت ثم صوب اليها سهما من كنانته فسقطت واحدة منهنّ وكانت سمينة فتية مكتنزة شحما ولحما ، واندفع نحوها بسعادة وفرح افتقداه صوابه وكان وجهه يطفح بالبشر والسعادة وهو يسحبها نحو اهله وضيفه ، وما اعظم سعادتهم وسرورهم بمرآها ودمها يجري ، لأن هذا يعني لهم الطعام واكرام الضيف منتهى الكرم .

وهنا يبدأ الشاعر باختصار الاحداث فلا يذكر قدورا تغلي ولا نارا موقدة للطبخ والشوي ولا طبّاخين يشرفون على كل ذلك ، وانّما وصل الى النهاية بسرعة قائلا ما اسعد اولئك الناس في تلك الليلة اذ قاموا بواجب الضيافة كما يجب دون ان يخسروا شيئاً ، بل بالعكس كسبوا الثناء العاطر

والعرفان بالجميل من ضيفهم الكريم وتغيّرت نفسية ذلك الرجل الفقير من تلك الغلظة والجفوة في الطبع الى رقّة ودماثة وبشاشة وسعادة بحيث شعر الضيف أنه بين أب كريم احاطه بكل رعاية وحب وأم حنون غمرته بعطفها واغدقت عليه الكثير من حنانها .

هذه القصة الشعرية رغم أنها قيلت في ذلك العصر المتقدم من عصور الادب ، الا أنها تبدو قصة متكاملة من حيث السرد القصصي وتسلسل الاحداث والتناسق بين ابطالها في الافعال والاقوال ، ويتضح فيها عنصرا الزمان والمكان والصراع او المعاناة اللذان عاشهما ابطال القصة من خلالهما ثم حلّ ذلك الصراع بتلك الطريقة التي بدت قريبة جدا من واقع الحياة والاحداث بابراز تلك الاتن ومسحلها قرب مكان الاحداث ثم صيد احداهنّ ، كما رأينا كل ذلك من اجل تأكيد وتحقيق عملية الكرم في نفس الشاعر ووجدانه حتى لو كان فقيرا معدما وفي صحراء موحشة .

من قصص الكرم الرمزية :

وهي قصص شعرية خيالية أولع الشعراء بسردها لتأكيد المبالغة في صفة الكرم عندهم او عند من يمدحونهم ، ولا تخرج في ابعد حدودها عن ضيف طارق في أشد حالات الجوع والفقر يقوم الشاعر او ممدوحه باكرامه بكل انواع الضيافة ولكن المبالغة تتضح في كون الضيف حيوانا شرسا مثل الذئب الذي يجعله الجوع ذليلا مستكينا خاضعا للغير يرى اقل الزاد نعمة قد طوى بطنه حتى لحقت بصلبه من الجوع كما عبّر عن ذلك اسماء بن خارجة في قصته (١٢) :

ولقد ألمّ بنا لنقريه
بادي الشقاء محارف الكسب

(١٢) الاصمعيات ، للاصمعي ، ص٥٠ .

يدعو الغنى ان نال علقته

من مطعم غبّا الى غبّ

فطوى ثميلته فألحقها

بالصّلب بعد لدونة الصّلب

فهذا اذن ذئب جائع جاء طارقا يطلب الضيافة وقد اعطانا الشاعر صورة كاملة عن شقائه وعذابه فكأنه يتحدث عن انسان كان في كامل قوته وعافيته ثم عدا عليه الدهر فجعله بهذه الحال وقد ظلّ سعيه فلم يكسب شيئاً مذ شبّ الى أن كبر وشاب :

يا ظلّ سعيك ما صنعت بما

جمّعت من شبّ الى دبّ

لو كنت ذا لبّ تعيش به

لفعلت فعل المرء ذى اللبّ

فجعلت صالح ما اخترشت وما

جمّعت ، من نهب الى نهب(١٣)

وأظنّه شغبا تدلّ به

فلقد منيت بغاية الشّغب(١٤)

اذ ليس غير مناصل نعصا بها

ورجالنا وركائب الرّكب(١٥)

فاعمد الى اهل الوقير فانما

يخشى شذاك مقرمص الزّرب(١٦)

---

(١٣) اخترشت : جمعت واكتسبت ·

(١٤) الشغب : تهييج الفتنة والخصام · تدلّ به : تجترىء ·

(١٥) مناصل : السيوف · نعصا بها : نضرب بها ·

(١٦) الوقير : الغنم · الشذا : الشر والاذى · الزرب : حظيرة الغنم · المقرمص : الداخل في الزرب ·

أحسبتنـــا ممّـن تطيــف بـــه
فأخترتنـــا للأمـــن والخصـــب
وبغيـــر معـــرفـة ولا نســـب
أنّى وشـــعبك ليس مـــن شعبي

ولنقف قليلا عند هذا الحديث الذي يوجهه شاعرنا الى الذئب وهو رمزي أيضا ، فهو كما يوحي المعنى العام للابيات السابقة يلوم الذئب على تهوره وفقدانه الحكمة والحزم في تصرفاته لأنه يهاجم الشاعر وقومه دون تمييز ولا ادراك لخطورة موقفه ولا توقع لنتائج عمله وهل سيجني منه ربحا أم سيخسر كل شيء •

وقد ظن أنه بقدومه اليهم فى صورة المهاجم المرعب مثيرا الشغب والرعب والفتنة سيجني ما يريد من الطعام والراحة ولكن خـاب مسعاه وخانته حكمته :

لـو كنـت ذا لـبّ تعيش بـــه
لفعلت فعـل المـرء ذى اللّـب
فجعلت صالح ما اخترشت ومـا
جمّعت مـن نهـب الى نهـب

لقد جئت الينا كما يقول له الشاعر وستخرج خاسرا لأن مطلبك بعيد عن هذه الديار فنحن اصحاب ابل لا نملك الا سيوفنا التي نقاتل بها وامتعتنا فاذهب فان غايتك عند اهل الغنم الذين يخشون رائحتك ويرتعبون من رؤيتك اذهب فلسنا بغيتك ولا مرماك •

ولكن هذا اللوم او السب على حد تعبير الشاعر توقف عندما تراجع الذئب ذليلا مستكينا وابدى الحاجة الى الطعام معلنا شدة جوعه ملحا في طلب الطعام :

لمـــا رأى أن ليـس نافعـــه
جـــدّ تهـــاون صـــادق الارب(١٧)

وألـــحّ الحـــاحا بحاجتـــه(١٨)
شكوى الضرير ومزجر الكـلـب

ولـوى التـكـلـّح يشتكـي سغبا
وانـا ابـن قاتـل شـدة السغب(١٩)

فـــرأيت ان قـــد نلتـــه بـــأذى
من عـــذم مثلبة ومـــن سـب(٢٠)

ورأيـــت حقـــّا ان أضيـّقـــه
اذ رام ســـلمي واتـّقـــى حربـي

فوقفـــت معتـــامـا أزاولهـــا
بمهنـّـــد ذي رونـق عضـــب(٢١)

فعرضته فـــي ســـاق أسـمنهـــا
فاجتاز بـين الحـــاذ والكعب(٢٢)

فتركتهـــا لعيـــاله جـــــزرا
عمـــدا وعلـّق رحلهـــا صحبي(٢٣)

---

(١٧) تهاون : استخف · الارب : الدهاء ·
(١٨) الضرير : المضرور بمرض او هزال او نحو ذلك ·
(١٩) التكلح : بدو او ظهور الاسنان عند العبوس · السغب : شدة الجوع ·
(٢٠) العذم : الاخذ باللسان واللوم كالمثلبة ·
(٢١) معتاما : مختارا · والاعتيام : الاختيار · ازاولها : يعني الابـل ، يـزاول عرقبتها بسيفه ·
(٢٢) الحاذ : الذي يقع عليه الذنب من الفخذين · يريد أنه عرض سيفه فـي ساقها فعرقبتها بين الفخذ والكعب أي : (غيبت فيها عرض السيف) ·
(٢٣) الجزر : ما جزره ، اراد انه ترك الناقة بعد عرقبتها طعاما لعيال الذئب ، ثم حمل صحبه ما كان عليها من رحل ·

ويعود الشاعر الكريم الى نفسه فيشعر بالندم والحزن لانه رد جائعا وطالب ضيافة وهو ابن الكريم الذي يقتل الجوع في بطون اصحابه مهما بلغت قسوته يعود ليقول لقد قسوت عليه كثيرا وزجرته وأهنته بكل قسوة وها هو يطلب كرمي لا حربي ، ولابد من أداء الواجب تجاه الضيف مهما كان ، وهنا ذهب الشاعر الى مربض الابل واختار اسمن ناقة وعقرها بسيفه ثم رماها لضيفه الذئب وعياله ليأكلوا منها بكل راحة وسعادة بعد ان اخذ رجاله ما على ظهرها من رحل ومتاع (٢٤) .

من قصص البخل وهجاء الضيف :

ورغم ان حكايات الكرم وقصصه الشعرية هي الغالبة في كتب الادب ودواوين الشعراء ، الا ان هناك قصصا طريفة تجمع بين البخل وهجاء الضيف في آن واحد ، وابرزها حكاية المزرد بن ضرار الغطفاني(٢٥) وضيفه المحتال الذي جاءه كما يقول مدعيا فقدان بعير له وهو في الحقيقة يطلب الكرم والضيافة ، وقد كانت النتيجة هجاء الشاعر لضيفه وسخريته منه وفضحه رغم انه قدّم له ما اراد من طعام ، ولنسمع الحكاية كما يرويها صاحبها :

عوى جرس والليل مستحلس الندى
لمستنبح بين الرويشات والخفر
تنوّر فوق الاشفيان وقد أتى
على قطن اغباش ذى حدب خضر
فقال امرؤ فوه من الجوع عاصب
ألم تسمعا نبحا برابية النّسر

(٢٤) لمحات من الشعر القصصي في الادب العربي ، للدكتور نوري حمودي القيسي ، ص١٩ .

(٢٥) ديوان المزرد بن ضرار ، ص٤٩ ، وله في نفس المعنى قصيدة اخرى يهجو بها ضيفا طرقه وهو في حالة يرثى لها من الجوع والتعب ، ص٤٧ .
تنوّر : اتى النار . اغباش : بقايا الليل . الاشفيان : اسم مكان .

فشبّت له ناران : نـار برهـوة
ونار بني عبد المدان لدى القهـر

وشبّت له نـار ابـن طمـر بدا لـه
سناها وأنّى منـه نار بني طمـر

وجـاء على بكـر ثقـال يكـدّه
عصاه اسـته وجء العجاية بالفهـر

فلا غـرو الا حين يضرب موهنـا
ليوقظ اهل البيت سالفـة البكـر

ولنقف قليلا في نهاية تلك الابيات لنفهم ونتخيل حكاية ذلك الشاعر وضيفه الليلي •• يقول : في ليلة من الليالي الحالكة الظلام حيث النـدى يغطي كل شيء والجميع نيام في بيوتهم سمعت صوت كلبنا جرس ينبح في حدود ارضنا بين الرويثات والخفر ، وهو يرد على مستنبح ، أي : طـارق ليلي ينبح فيثير انتباه الكلاب القريبة فتجيبه ويهتدي بوساطتها الى ديـار اهلها ويحظى بضيافتهم ، وكان جرس مستمرا في نباحه ، وذلك الضيـف الليلي مازال تائها يفتش عن بصيص نار وسط ذلك الظلام الدامس الذي غطى كل مكان في ارضنا ، وعندما فقد الامل والصبر بدأ بالصياح قائلا انا امرؤ جائع عاصب بطني فهل من مجيب لندائي ألم يسمعنى احـد وأنـا استنبح الكلاب برابية النسر ؟ وجاءه الرد سريعا عندما شبّت النيران للضيف في كل مكان • وصل اليه ذلك النداء • نار برهوة ، ونار بني عبد المدان ونار ابن طمر التي شع سناها رغم بعدها عنه •• واقبل الضيف مسرعا متلهفا الى الطعام وهو على جمل يدفعه بعصاه في مؤخرته ليوصله بسرعة الى دارنا • وبعد أن انقضى وقت من الليل ، جاءنا وهو يرغي بعيره ليوقظنا من نومنا كما

هي العادة عند العرب ثم ليروي لنا قصة غريبة عن بكره الضائع ، ويستمر الشاعر في هذا الحديث الساخر عن ضيفه متعمدا كما يبدو اذلاله وفضح حيلته ، قبل ان يقدم له واجب الضيافة كحسن الاستقبال اولا ثم اطعامه افضل ما عنده حتى لو كان لايملك الا القليل .. ترى ماذا فعل هذا الشاعر لضيفه وكيف تعامل معه ، لنقرأ ذلك في بقية الحكاية الشعرية :

فقلت له : ما تبتغي قال : ابتغي
قلوصا لنا ورقاء من نعم الخضر

عجبت له اذ يتّقي الكلب بالعصا
ولا يتّقي صمّ الاساود اذ تسري

وما ان احسّ ابنا عبيد كلاهما
ولا عركّي من قلوص ومن بكر

ولكنّه نقّت ضفادع بطنه
أن اخبر اصراما بنخل أولي تمر

فبانت له الشيزى قياما برزقه
الى ان غدا منهنّ كالاتن القمر

فأطمعته حتى حبت حاوياؤه
كحبو الجواري في ملاعبها البجر

اذا شفتاه ذاقتا حر طعمه
ترّمزتا للحرّ كالاسك الشّعر

تخرّ الرفاق المعتفون عليهم
سقوط القطا الكدرىّ في نطف البحر

فقلت لـه لمّـا تجهـز غـاديا
الا كلّ عوفيّ يضيف ولا يقـرى(٢٦)

وواضح من تسلسل الابيات واحداثها ان هذا الشاعر بخيل جدا بشكل يشعر ضيفه بالحرج والمهانة والاذلال ، فهو لم يستقبله بترحاب وبشاشة كما فعل عمرو بن الاهتم ، ولم يهتم ويستعد للقائه واكرامه داعيا الله أن يرزقه ما يكرم به ضيفه دون حرج كما فعل صاحب الفلوات الفقير المعدم عند الحطيئة ، وانمّا بادره بسؤال غريب قائلا له : ما تبتغي ، وما هي حاجتك ؟ فاجابه الضيف وهو في موقف المحرج المتلعثم .. ابتغي قلوصي الضائعة وهي ناقة فتية ورقاء .. وكان اثناء الحديث يطرد كلاب الحي بعيدا عنه بعصاه لئلا تؤذيه وأنا (أي الشاعر) في عجب من أمره اذ كيف يخاف تلك الكلاب ولم يخش الافاعي السامة السارية في ظل ظلام الليل اثناء رحلته في الصحراء ، والشاعر بهذا التساؤل يسخر من ذلك الرجل ويهزأ منه ومن حجته الواهية مؤكدا كذبه وتحايله عندما ادّعى فقدان تلك الناقة،وقد برهن على ذلك في البيت التالي في قوله :

وما ان احسّ ابنا عبيد كلاهمـا
ولا عركيّ مـن قلوص ولا بكـر
ولكنّه نقّت ضفـادع بطنـه
أن اخبرا صراما بنخل اولي تمـر

لقد ارسلت ابني عبيد ليفتشا عن تلك الناقة الموهومة دون جدوى ، اذ

(٢٦) ديوانه ، ص٤٩ ــ ٥١ . (ومثلها قصة للحطيئة في هجاء ضيفه . ديوانه ص٣١٧) . ومن قصص الكرم والضيافة ، وما يدخل ضمن الشاعر والقبيلة قصة لابي زبيد الطائي (ص٢٧ ديوانه) ، وتتلخص في أن رجلا طائيا اضافه واكرمه رجل من بني شيبان وبعد أن سكر تفاخر عليه وادعى انه وقومه افضل الناس جميعا فأضطر المضيف الى قطع يده لأنه قال : (ما مد رجل يدا أطول من يدي) .. فذكر ابو زبيد تلك الحكاية .

لا أثر لها ولا لغيرها ، فهو اذن لم يفقد شيئا على الاطلاق ، والحقيقة انـه مجتال وكاذب يتعلل بذلك لان عصافير بطنه قد صاحت ، اي جاع ، وقد أخبر ان هناك تسرا لذيذا في منطقتنا عند جماعة من الناس كحي ابي بشر وابني زياد بن حابس • وينتقل الشاعر بعد ذلك ليرسم صورة اشد سخرية لضيفه وهو يتناول الطعام بشراهة ونهم شديدين مما يوضح انه كان يراقبه بدقة أثناء ذلك مما يؤكد بخله وعدم رغبته في اكرامه فيقول : لقد ظهـرت الجفان الممتلئة الضخمة امام ذلك الضيف كأنها الاتن في عظمتها فأقبل يأكل بنهم حتى امتلأت بطنه وانتفخت امعاؤه وبرزت كأنها بطن صبية تحبـو ، واستمر مع ذلك يأكل مستمتعا بلذة الطعام وحرارة مذاقه :

اذا شفتاه ذاقتا حرّ طعمـه ترمزتا للحرّ كالاسك الشعر

ويستمر الشاعر في السخرية من ضيفه وهجائه بشكل مضحك الى ان يقول مخاطبا اياه وهو يرحل كأنه يودعه (الآكل عوفي يضيف ولا يقرى) اي : انك طفيلي ككل واحد من قومك وهم بنو سليم تطلبون ضيافة الغير ولكنكم ترفضون اقراء أحد واكرامه • وبهذا القول اللاذع ختم ذلك المضيف البخيل حديثه وهو يودع ضيفه السيء الحظ بعد ان اخـزاه واهانـه وهجـاه •

ومما يلفت النظر أن قصتي الحطيئة والمزرد مختلفتان تماما في الهدف والنتيجة رغم صدورهما عن شاعرين اجتمعا في صفة البخل وهجاء الآخرين والحقد على الناس وحتى على العشيرة واقرب الناس اليهم •

من قصص الشاعر والمجتمع :

وهي قصة حصلت للمزرد نفسه مع قومه بني عبد غنم • فقد اقبل هو ورجل من مزينة يقال له هيثم من المدينة وهما فى حاجة الى المعونة قاصدين قومهما في الكوفة ، وكانت امنياتهما كبيرة وآمالهما عظيمة في أثناء الطريق ،

وعند وصولهما كانت المفاجأة • فقد حصل المزني على ما أراد من قومه ونال كل عطاء وتكريم بينما وجد المزرد الجفاء والبخل والتجاهل مما دفعه الى هجائهم وفضح قصته معهم فقال :

أتيت بني عمّي فضنّوا بمالهم
علي ّ ومن يبخل فانّي عارف

فكنت كمن غرّت افانين هيدب
دنا مشفراه وازلغبّ الزّحالف

وحرّش اخواني عليّ كنايني
وخير النّساء المؤمنات الحنائف

تواكلن رحلي تحت عين مطيرة
من الدّجن حتى لم يربهنّ واكف

وقال جواريهم لعلّ قلوصه
بدار ابن أوفى صبّةً اللّف آلف

تمشي خلال الدور لا يعلفونها
كما طوّفت مفروكة الرّفغ صالف

وواضح من هذه البداية أن الشاعر يحكي حادثة حقيقية وقعت له مع قومه عندما أتاهم وكان في ضائقة مادية ، وكان كما يبدو ، يمنّي نفسه الاماني ويتخيل العطاء والكرم في حديثه مع رفيقه المزني ، وكانت الصدّمة عندما وجد البخل والانكار حتى من النساء حيث تركن راحلته تحت المطر لعدة ايام وكل منهنّ تكل المسؤولية الى الاخرى كما تركن ناقته تدور خلال الطرقات دون علف أو عناية ، ويستمر الشاعر في حكايته المؤلمة وهو مذهول مما يرى ، فيروي كيف اجتمع قومه نساء ورجالا لمساعدته ماديا وكانت النتيجة سراويل خلقة (وخمس ميء منها قسّيّ وزائف) رغم أنهم قوم من

اصل كريم يعيشون في جزيرة عامرة بالخصب والعطاء (بها الذئب والضبعان شبعان خارف) .

وجاءوا جميعا قومهـــم ونساؤهم
بســاكـل ذى رأي لـه متساخف
وقالوا : أقيموا ســنّة لأخيكـم
بني عبد غنـم ليس فيهـا مخالف
فكانت سراويـل وجــرد خميصة
وخمس مـىءٍ منهـا قسي وزائف
اذا قرّبت للسّوق خلـّف نصفهـا
كما خلـّفت يوم العـداد الروادف
ففيـم وانتـم معشر بجـــزيـرة
بها الذئب والضبعان شبعان خارف
تمشـّون بالاســواق بـدّا كأنـّكم
خلايا مـردّات الضروع خــرانف
وقطع دجوجي من الليــل ملبس
على الارض منه أكسر وخوالـف
فهلاّ جمعتـم جمع ثـور لهيثـم
وانتم بنو ماء السما الغطارف(٢٧)

وهكذا هجا قومه الذين استحقوا ذلك لانهم تنكروا له وقت الحاجة رغم ما يتمتعون به من جاه وخصب وعمار بحيث اصبحوا في أتم صحةوعافية عظاما سمان الابدان من الريف والخصب ، ومع ذلك بخلوا عليه بما هو في أشد الحاجة اليه .

---

(٢٧) ديوانه ، ص ٥٢ . الجـرد : الخلـق ، الخميصة : كسـاء مـن خزّ . الروادف : الاتباع ، بدّاً : عظام سمان من النمة . خرانق : غزار .

قصص الشاعر واسرته :

ومن القصص الاجتماعية ايضا ، قصص الاسرة ، وهي التي ترتبط بحياة الشاعر الخاصة وعائلته وهي حكايات حقيقية ، في بعضها ما يستحق الدراسة • وديوان أبي الأسود الدؤلي الشاعر حافل بالكثير من تلك الحكايات مثل حكايته هذه التي تدور حول زواجه من امرأة برزة جميلة ، فقد كان يجلس اليها ويتحدث معها ، ويبدو أنها أغرته واقنعته بالزواج منها لانها كما ادعت له ربة بيت ماهرة مدبرة قانعة بالميسور ، فوافق على الزواج منها ، ولكنه فوجىء بعد ذلك بأنها عكس ما قالت تماما ، مبذرة خانت سره وكشفته ، وهذا ما دفعه للذهاب الى قومها وجمعهم عنده وقال لهم :

أريت امرءا كنت لم ابله
أتاني فقال : اتخذني خليلا

فخاللته ثم أكرمته
فلم أستفد من لدنه فتيلا

وألفيته حين جرّبته
كذوب الحديث سروقا بخيلا

فذكّرته ثمّ عاتبته
عتابا رقيقا وقولا جميلا

فألفيته غير مستعتب
ولا ذاكر الله الاّ قليلا

ألست حقيقا بتوديعه
واتباع ذلك صرما طويلا

فقالوا له : بلى يا أبا الاسود • قال : تلك صاحبتكم وقد طلقتها لكم ، وأنا احب ان استر ما انكرته من امرها ، فانصرفت معهم)(٢٨) •

وهذه الحكايات رغم بساطتها الا انها تمثل تيارا اجتماعياً كان سائداً كما يبدو ، وهو سهولة الزواج والطلاق وتعدد الزوجات وعدم استقرار الاسرة واطمئنانها والزوجة دائما تعاتب زوجها على ذلك(٢٩) ، اما غيرة او حرصا على اموال الاسرة الضائعة ، أو رغبة في الاستقرار والاطمئنان ، اما الزوج فهو رافض لطلبها مستمتع بما يفعل •

افاطم مهــلا بعض لومـي فانمـا
أمتّع نفسي قــد اجــمّ انطلاقيا
تقول حملت الدين عيـّا وعامــدا
تعجّلت مالي وادّكـرت خلافيــا
فان كنـت ابقــاء أردت فأقصري
عليك العنا تبقين ما كــان باقيــا

ويعلل رغبته تلك بأن مصيره الموت وصعود روحه الى السماء فيقول :

أفاطــم مــا تعنـين فيمـا ينوبني
اذا صعدت حتى تمسّ التراقيــا
وقــد ارسـلوا فرّاطهــم فتأثلـوا
قليباً نزوعا لا تبــلّ العراقيا (٣٠)

واغلب الحكايات الخاصة بالشاعر واهله واقعية حقيقية ، وقصائدها

(٢٨) ديوان ابي الاسود الدؤلي ، ص٢٠٣ وهناك حكايات كثيرة بالمعنى نفسه (الخطبة والزواج) ، ص٢٠٦ ، ص١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٢٠ •• الخ ص١٦٣ •
(٢٩) ديوان الدؤلي ، ص١٥٨ ـ ١٦٠ •
(٣٠) ديوان ابي الاسود الدؤلي ص١٥٨ ـ ١٦٠ •

صغيرة الحجم كأنها قصص قصيرة لا تحتوي الا حدثا واحدا وزمنا محددا وشخوصا قليلي العدد .

وللشماخ بن ضرار حكاية من هذا النوع(٣١) ، فقد كان تزوج امرأة من سليم ولكنه اساء معاملتها فضربها مرة وكسر يدها واشتكاه اهلها الى امير المؤمنين عثمان بن عفان (رض) فأنكر ما ادعوا عليه واقسم زورا على ذلك لينقذ نفسه . وقد سجل هذه الحكاية في مقطوعتين في ديوانه ، الاولى يذكر فيها كيف التقت به امرأة من بني سليم يقال لها اسماء وهي لا تعرفه قائلة ما فعل الخبيث الشماخ بصاحبتنا ؟ فقال لها وما تريدين منه ؟ فذكرت له قصته مع زوجته وكسره ليدها فانكر انه يعرفه ، ثم قال في معرض الجواب عن مقولة تلك المرأة مبررا ذلك بأنه أمر طبيعي بين كل زوج وزوجته :

تعارض اسماء الرفاق عشيّة
تسائل عن ضغن النساء النواكح
وماذا عليها ان قلوص تمرّغت
بعكمين او الفتهما في الصحاصح
فانك لو انكحت دارت بك الرحى
وألقيت رحلي سمحة غير طامح
ولم أك مثل الكاهليّ وعرسه
سقته على لوح دماء الذرارح
وقالت شراب بارد قد جدحته
ولم يدر ما خاضت له بالمجادح
أ أسماء انّي قد اتاني مخبّر
بضيقة ينشو منطقا غير صالح

(٣١) ديوان الشماخ ، ص١٧ .

بعجت اليه البطن حتى انتصحته
وما كلّ من يفشى اليه بناصح
وانّي لمن قوم على أن ذممتهم
اذا اولموا لم يولموا بالانافح
وانّك من قوم تحنّ نساؤهم
الى الجانب الاقصى حنين المنائح

بهذه الابيات حكى حكايته وبرر فعلته مؤكدا لتلك المرأة انه فعل ذلك لتأديب زوجته لانها عصت امره ، وانها لو كانت مكانها وكانت ناكحا له لوافقته في كل شيء ، وانه تصرف كرجل عاقل حازم حتى لا يكون مصيره مثل الكاهليّ وعروسه التي دست له السم وقتلته لانها أحبت غيره ، وكان تأديبه لزوجه بناء على اخبار سمعها عنها لاول مرة ، وهو رجل كريم ومن قوم ذوى حسب ونسب وكرم في الخلق وسخاء في اليد .

وقد اكمل الشاعر حكايته مع زوجه في مقطوعة ثانية فذكر انه أقسم كاذبا حتى يبرىء نفسه من التهمة السابقة مشيرا الى جموح زوجه وعصيانها له مؤكدا خسارتها وندمها فى المستقبل على ما فعلت ومبديا دهشته لهروبها منه ونفورها كما تنفر أتان من حمار وحشي قبل ان تراه وتعيش معه ، واشار في ابياته الى مجيء سليم ، قوم زوجه قضها وقضيضها (اي بكامل عددهم) ليسمعوا قسمه وحلفانه وقد أقسم منكرا فعلته (اخادعهم عنها لكيما انالها) . كما يقول ، ولنستمع الى القصة كما جاءت في ديوانه :

الا اصبحت عرسي من البيت جامحا
على غير شيء ايّ أمر بدا لها
على خيرة كانت أم العرس جامح
وكيف وقد سقنا الى الحيّ ما لها
ولم تدر ما خلقي فتعلم انني
لدى مستقرّ البيت أنعم بالها

سترجع ندمى خسّة الحظّ عندنا
كما صرمت منّا بليل وصالها
أعدو القبصّي قبل عير وما جرى
ولم تدر ما خبري وما أدر مالها
وجاءت سليم قضّها بقضيضها
تمسّح حولي بالبقيع سبالها
يقولون لي يا احلف ولست بحالف
أخادعهم عنها لكيما أنالها
ففرّجت همّ النفس عنّي بحلفة
كما قدّت الشقراء عنها جلالها(٣٢)

والقصص الخاصة بالشاعر كثيرة ، وقد تكون خاصة بعمله او المهنة التي يمارسها ، يذكرها الشاعر على سبيل الاستطراد ، واجمل الشواهد على ذلك قصة القوس التي ذكرها الشماخ ضمن قصيدة طويلة(٣٣) ، يصور من خلالها المعاناة النفسية التي عاشها بطل القصة من أجل قوسه النادرة الغالية ، وصراعه مع الطبيعة من اجل الحصول عليها ، ولنبدأ القصة من البداية ، وهي كما قلنا استطرادية يذكر فيها ناقته ويصفها ، ثم يشبّهها بحمار وحشي وينتقل بعد ذلك الى قصة ذلك الحمار واتنه العطشى الى الماء والامان ولكنها لاتجدهما من خلال الخوف والقلق الذي يسببه لها الصائد واسهمه القاتلة وكلابه الجائعة الضارية ، وعندما تجد الماء يفاجئها الصائد ويسميه عامرا أخا الخضر بأحد سهامه القاتلة المنبعثة عن قوسه النادرة فيصيب من احداهنّ مقتلا ، وكان عامر أمهر أهل زمانه في الرماية ولكنه أشدهم حاجة وفقرا ، لايملك الاّ قوسه النادرة وسهامه القاتلة .

---

(٣٢) ديوان الشماخ ، ص١٩ . وللابيات بقية تراجع في الديوان .
(٣٣) ديوانه ، ص٤٣ ـ ٥٠ .

وهنا يبدأ الشاعر برواية قصة تلك القوس منذ أن كانت غصناً في شجرة الى أن اصبحت سلاحا نادرا يعتمد عليه في عيشه ورزقه .. وقبل ان نسترسل مع الشاعر ، نعود الى مقدمة القصيدة فنجدها غزلا تقليديا مألوفا ينتقل بعده الى التحدث عن نفسه فيذكر شجاعته وركوبه المخاطر والطرق الصعبة على ظهر ناقة قوية يشبهها بحمار وحشي صلب يقود اتنه بحثا عن الماء :

عفا بطن قوٍّ من سليمى فعالز
فذات الصفا فالمشرفات النواشز(٣٤)

فكلّ خليل غيرها ضمّ نفسه
لوصل خليل صارم أو معارز(٣٥)

ومرتبة لا يستقال بها الرّدى
تلافي بها حلمي عن الجهل حاجز(٣٦)

وعوجاء مجذام وأمر صريمة
تركت بها الشكّ الذي هو عاجز(٣٧)

كأنّ قتودى فوق جأب مطرّد
من الحقب لاحته الجداد الغوارز(٣٨)

---

(٣٤) قو ، سليمى ، عالز ، ذات الصفا (اسماء اماكن)
المشرفات النواشز : الاماكن المرتفعة .

(٣٥) صارم ، معارز : اي قاطع للوصل .

(٣٦) مرتبة : المقام الشديد . لايستقال : لا تطلب اقالته . الردى الهلاك .
تلافيّ : تدارك . الحاجز : الفاصل . المعنى : رب مقام يؤدي الى الهلاك حال دونه حاجز من حلمي ، اي ربّ اناس كادوا يقتتلون فاصلحت بينهم .

(٣٧) العوجاء : الناقة التي عجفت فأعوج ظهرها . مجذام : سريعة . الصريمة : العزيمة . (ربّ امر صريمة امضاه بهذه الناقة وترك عنه الشك لانه عجز) .

(٣٨) القتود : خشب الرحل . الجأب : الحمار الغليظ . مطرّد : تطارده الحمر كثيرا . الحقب : جمع أحقب وهو الذي في بطنه بياض .
لاحته : اهزلته . الجداد : جمع جدود وهي الاتان السمينة .
الغوارز : التي قلّ لبنها .

طوى ظمئها في بيضة الصّف بعدما

جرى في عنان الشعريين الأماعز(٣٩)

ويستمر في ذكرى مسيرة ذلك الحمار واتنه في بحثهم عن مورد الماء صعودا ونزولا في الارض حتى تهتدي اخيراً الى منبع دائم من مياه الامطار حاولت الاقتراب منه ولكن خوفها من الصائد أخي الخضر عامر منعها من وروده .

وحلأها عن ذى الاراكة عامر

اخو الخضر يرمي حيث تكوى النواحز(٤٠)

وكان رجلا فقيرا كما قلنا لا يملك الاّ قوسه وسهامه .

قليل التلاد غير قوس وأسهم

كأنّ الذي يرمي من الوحش تارز(٤١)

مطلاّ بزرق ما يداوى رميها

وصفراء من نبع عليها الجلائز(٤٢)

فهو اذن يملك رماحا زرقاء اذا رمى بها لا يخطي الرمية ، وقوسا صفراء من شجر النبع الذي يبرهن على اصالتها وجودتها ، ترى كيف اكتشف الشجرة وكيف صنع القوس وماذا فعل بعد ذلك ، هل احتفظ بها أم باعها للآخرين .. سنقرأ القصة في الابيات التالية :

---

(٣٩) : الظمي‌ء : ما بين الشربتين . ان هذا الحمار طوى ظمء اتنه بعد ما جري السراب ، اي اشد الحر .

(٤٠) حلأها : منعها ورد الماء . ذو الاراكة : موضع . عامر : الصياد .

(٤١) قليل التلاد : فقير لا ملك له . تارز : ميّت .

(٤٢) مطلا : مشرفا بطلله ، اي شخصه . زرق : اي برماح زرق .
ما يداوى : ما يعالج . رميها : الذي يرمي بها . صفراء : قوس صفراء .
النبع : شجر أجود ما تتخذ منه القسي .

تخيّرها القوّاس من فرع ضـــالة

لها شذب من دونها وحواجـز(٤٣)

نمت في مكان كنّها فاستوت بـه

فمـا دونها من غيلهـــا متلاحز(٤٤)

فما زال ينجو كـلّ رطـب ويابس

وينغلّ حتى نالهـا وهو بـارز(٤٥)

فانحى عليهـا ذات حـدّ غرابهـــا

عدوّ لا وساط العضاة مشارز(٤٦)

فلمّا اطمأنت في يـديـه رأى غنى

أحاط به وازوّر عمّن يحاوز(٤٧)

فمظّعها عامـين مـــاء لحـــائها

وينظر منها أيّهـا هـو غامـــز(٤٨)

أقـــام الثقـــاف والطريدة درأهـا

كما قوّمت ضغن الشموس المهامز(٤٩)

---

(٤٣) القواس : الذي يبرى القوس • فرع ضاله : اي من اعلى شجرة سدر برى • الشذب : قطع الشجر (الاغصان) •

(٤٤) كنّها : سترها • استوت : اعدلت • متلاحز : مضايق • الغيل : الشجر الكثيف الملتف •

(٤٥) ينحو : يقطع ، وينفلّ : يدخل تحت الشجرة ليأخذها • بارز : ظاهر •

(٤٦) انحى : امال ، ذات حدّ : قدوم • العضاة : الشجر • مشارز : معادى ، اي أمال على النبعة فأسا ذات حد عدوّ لاوساط العضاة لانه يعتاد قطعها •

(٤٧) اطمأنت : سكنت • ازوّر : مال : أي انه لمّا ظفر بهذه القوس رأى انه استغنى عن الناس فازور عن احبابه ومن كان يحتاج اليه •

(٤٨) مضعها : قطعها رطبة ثم وضعها بلحائها في الظل حتى تشرب ماءها لئلا تتصدع وتتشقق • غامز : المعوج منها (ينظر ايها معوج فيسويه) •

(٤٩) الثقاف وهو ما تسوّى به الرماح والقسيّ • والطريدة : القصبة التي فيها حزة توضع على المغازل فتنحت عليها • درؤها : ميلها • الفرس الشموس : الصعبة • المهامز : جمع مهماز وهي حديدة في مؤخر خف الرائض •

بهذه الابيات السبعة روى الشاعر قصة القوس وكيف صنعها بعد ان اختار لها الشجرة المناسبة الكريمة فقال .. لقد ارتقى هذا القواس شجرة سدر عالية الاغصان والفروع واختار أعلى غصن فيها وتمكن من قطعه رغم الحواجز والمصاعب التي صادفها في اغصانها المتشابكة وكانت هذه الشجرة الكريمة قد نمت في غيل ، أي : في ظل اشجار كثيفة متلاحمة في بعضها البعض واكتملت الى أن اصبحت شجرة سدر ضخمة ، ورغم ذلك الغيل المتداخل من الاشجار استطاع الوصول اليها وبدأ الصعود تدريجيا وهو يقطع كل رطب ويابس من الاغصان التي تقف فى طريقه حتى نال مرامه واخذ افضل وارقى فروع فيها . وهنا تناول فأسه الحادة القاطعة لكل شجرة مهما كانت ضخمة ليشذب بها ذلك الفرع النادر من تلك الشجرة ، وبعد أن استوى في يديه واطمأن الى قرب حصوله على تلك القوس اعتزل الناس جميعا حتى من هم في حاجة اليه ليستطيع اكمال مهمته التي اقتضت منه عامين قام في أثنائهما بقطعها وهي رطبة بلحائها في الظل حتى تمتص ماءها ولا تتصدّع أو تنشقق وليتأكد من استقامتها واعتدالها ويقوّم المعوج منها بالثقاف والطريدة(٥٠) كما يقوّم المهماز نفور الفرس الشموس .

واخيرا اكتمل صنع القوس فكانت نادرة رائعة محكمة الصنع متقنة العمل غالية ثمينة ، وبانتهاء عمله انتهى القسم الاول من قصة القوس او مقدمتها ، وهي قصة اعتمدت الوصف والسرد القصصي مع الاستطراد لاعطاء الاحداث حياة متجددة متنوعة وبعد ذلك انتقل الشاعر الى مرحلة جديدة او القسم الثاني منها وذلك عندما ذهب بها الى السوق وعرضها امام الآخرين مباهياً بها وبروعة صنعها وندرتها فأقبل عليه الراغبون المتلهفون للحصول عليها يغرونه بمختلف السبل ويقدمون له ما يريد ليتأكدوا من رغبته في البيع .

---

(٥٠) تم شرحها في الهامش السابق .

فوافى بها اهل المواسم فانبرى
له بيّع يغلي بها السّوم رائز(٥١)

فقال له هل تشتريها فانّها
تباع بما بيع التلاد الحرائز (٥٢)

وهنا بدأت المساومة والزيادة في السعر والقواس متردد امام اغراءات المشترين وزيادتهم في العطاء بين ازار شرعبي ثمين وثمان قطع ذهبية نقية في الصنع والجودة وبردين يمانيين جديدين وتسعين درهما مع جلد ماعز مدبوغ :

فقال ازار شرعبيّ واربع
من السيراء او اواق نواجز(٥٣)

ثمان من الكورى حمر كأنّها
من الجمر ما أذكى على النار خابز(٥٤)

وبردان من خالٍ وتسعون درهماً
على ذاك مقروظ من الجلد ماعز (٥٥)

---

(٥١) وافى : اتى بها • المواسم : مجتمع السوق • انبرى : اعترض البيّع • من الاضداد للمشتري والبائع والمراد الاول • يغلي بها السوم : يسومها سوما غاليا • رائز : مجرب لصاحبها ايبيعها أم لا •

(٥٢) الحرائز : من الابل التي لا تباع نفاسة بها •

(٥٣) الازار : الملحفة : الشرعبي : ضرب من البرود وكذلك السيراء ، وهو ايضا الذهب • الاواق : جمع اوقية • النواجز : الحاضرة التي لا مطل فيها •

(٥٤) الكورى : الذهب • اذكى : أوقد • الخابز : صانع الخبز •

(٥٥) الخال : ثياب تصنع باليمن : وعلى ذاك : اي زيادة على ما مضى • المقروظ : الجلد المدبوغ بالقرظ • الماعز : جلد الماعز ، اي وتعطيني مع هذه الاشياء جلدا محكما يعني عيبة من ادم فيها هذه الثياب •

ترى ما موقف القواس أمام هذا السيل الجارف من المغريات المادية أيبيع قوسه النادرة الغالية أم يبقيها معتزا بها وبأصالتها ، ودار لغط في السوق وقالوا له لا تتردد في البيع وقالت له نفسه العكس ، وفي احدى لحظات الضعف وامام اغراء المادة باع أعز ما يملك ، باع قوسه الغالية ، وعندما أحس أنه فقدها فاضت عيناه بالدموع وحزّت قلبه مرارة الفراق وساوره الندم ، ولكن لات ساعة مندم :

فظلّ يناجي نفسه وأميرها
أياتي الذي يعطي بها أم يجاوز
فقالوا له بايع أخاك ولا يكن
لك اليوم عن ربح من البيع لاهز
فلما شراها فاضت العين عبرة
وفي الصدر حزّاز من الوجد حامز

هذه القصة من قصص المهن الخاصة ، وهي كما قلنا من القصص الاجتماعية الخاصة بالشاعر وحده ، وهي ليست حكاية مطابقة للواقع وانما قصّة ، لانّ الشاعر توسع في احداثها وجعل للخيال دورا فيها هذا فضلا عن كونها مراحل متعددة فهو يتدرج بها من الناقة الى الحمار الوحشي واتنه العطشى ، ثم الصائد الماهر بقوسه النادرة الى ان ينتهي بالتركيز على قصة القوس ولكنه يعود في النهاية ليتذكر الاتن العطشى وهي تريد الماء خلف حمارها الوحشي فيكمل القصة متتبعا المسيرة معهنّ الى ان يردن الماء الآمن وينتهي به المطاف الى هنا(٥٦) . وهذه القصة الخاصة تلتقي مع قصة أوس بن حجر التي مرّت بنا فى القصص الاجتماعية الجاهلية ، الا ان الشماخ توسع فيها اكثر ولم يفصّل في ذكر المعاناة والصعوبات التي لاقاها في سبيل

---

(٥٦) بقية القصة في ديوانه ، ص٥٠ ، وهي من قصص الحيوان .

الوصول الى الشجرة التي تقع في قمة جبل شامخ أملس خطر في الصعود والنزول كما فعل اوس ، وانما ركز على معاناته وصراعه النفسي وهو يبيعها بعد عامين من الصبر والتعب في سبيل اكمال صنعها وباعها وهو مكره ، لأنه فقير معدم بل افقر اهل زمانه ، باعها لانه في اشد الحاجة الى المال ، وكانت المغريات شديدة لم يملك امامها الا الاستسلام واعطاء قوسه الغالية .

والقصة بشكل عام متنوعة الاسلوب تمتاز بالوصف كما قلنا في قسمها الاول وكان الشاعر قد وصل في نهايته الى مرحلة الراحة والاطمئنان وبدأ انفعاله وصراعه النفسي عندما اتسعت ارض الاحداث فكانت المواسم مجال حركته ، وفيها انهى قصته عندما باع قوسه وبكى نادما متحسرا ، ونلاحظ انه اعتمد الحوار والحركة السريعين مع الابتعاد عن الوصف بعض الشيء ودفع الاحداث بشكل سريع الى النهاية التي عرفناها ، اما ابطال القصة فأبرزهم الشاعر نفسه وهو الراوية أيضا لاحداثها ثم تجار السوق الذين ساوموه على بيعها .. وقد اكمل رسم الاحداث بذكر ناقته ثم الحمار واتنه العطشى الذين ابقاهم كذلك الى نهاية قصة القوس ثم عاد اليهم ليتابع قصتهم في النهاية .

من قصص الشكوى :

ومن القصص الاجتماعية ما يتعلق بالشاعر والسلطة الحاكمة ، وابرزها واجملها قصة امية بن الاسكر وابنه كلاّب ، وقد وقعت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب(٥٧) .

اما ملخص تلك الحكاية فيقول ان ذلك الاب الشيخ ، وهو امية بن الاسكر كان له ولد اسمه كلاّب يرعاه وزوجه العجوز ، ثم خرج للجهاد في

---

(٥٧) القصة مفصّلة في الاغاني ١٨/١٥٧ طبعة بولاق (أوفسيت) دار الفكر للجميع ، ١٩٧٠ .

سبيل الله لحرب الفرس في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وترك أبويه العاجزين يبكيان عليه دون جدوى وهو يعدّ الجهاد في سبيل اللّه أهم وافضل (٥٨) ، وقد عبرّ ذلك الاب المسكين عن لوعته لفراق ولده شاكيا ضعفه وحاجته اليه وعجزه متألما لعدم استجابة ولده اليه والبقاء بقربه وقرب أمه العجوز ، فقال :

لمن شيخان قد نشدا كلابا
كتاب الله ان قبل الكتابا

أناديه فولاّني قفاه
فلا وأبي كلاب ما أصابا

اذا سجعت حمامة بطن واد
على بيضاتها دعوا كلابا

اتاه مهاجران تكنّفاه
ففارق شيخه خطأ وخابا

---

(٥٨) أشار الى هذه النقطة النابغة الجعدي في رده على زوجه التي لامته على الخروج ، وناشدته الله ان يبقى قائلا بان لا عذر له في البقاء والقعود عن الجهاد ديوانه ص١٩٤ (الشعر والشعراء ١/٢٩٣) :

باتت تذكرني بالله قاعدة ... والدمع ينهلّ من شأنيهما سبلا
يا بنت عمي كتاب الله اخرجني ... كرها وهل امنعنّ الله ما بذلا
فان رجعت فرب الناس ارجعني ... وان لحقت بربي فابتغي بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني ... او ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

وقد تحدث في موضوع الجهاد ، النعمان عبدالمتعال القاضي في كتابه (شعر الفتوح الاسلامية) فذكر سيطرة الايمان بالله والرغبة في الجهاد والاستشهاد على نفوس المؤمنين المحاربين بحيث ينسون كل واجباتهم الدنيوية ، وحتى اقدسها ، ص٣٧ .

وقد اكدت الدكتورة ابتسام مرهون الصفار هذا الموضوع في بحثها (أثر القرآن في الادب العربي – في القرن الاول الهجري) ص٩٨ .

تركت أباك مرعشة يداه
وأمّك ما تسيغ لها شرابا
تمسّح مهره شفقا عليه
وتجنبه أباعرها الصعابا
فانك قد تركت أباك شيخا
يطارد أينقا شزبا طرابا
فانّك والتماس الاجر بعدي
كباغي الماء يتّبع السّرابا(٥٩)

وحكاية الابيات وصاحبها واضحة بكل مرارتها وعجزها وصورة ذلك الاب الباكي الذي يذكر ولده كلما سجعت حمامة على بيضاتها وتلك الام التي لايلذ لها طعام أو شراب شوقا اليه ويدفعها ذلك الحنين الى الاشفاق على مهره وابعاده عن أذى الاباعر الصعاب ، ويتساءل الاب بعد ذلك : فهل الجهاد يعني أن تترك شيخين في اشد الحاجة اليك والى رعايتك لهما ، وهل في تركهما اجر . ان التماس الاجر في مثل ذلك الموقف كالتماس الماء في سراب الصحراء .. ولكن ما كان ردّ ذلك الابن المجاهد هل ترك الجهاد . كلا لقد بقي في مكانه صاما اذنيه عن بكاء ابويه العاجزين ، مما دفع ذلك الاب للذهاب الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وهو في المسجد وحوله جمع من المهاجرين والانصار ، وهناك بدأ باعلان لوعته وشكا ولده وشكا الخليفة وعذله على عدم ارجاع ولده اليه رغم كثرة توسلاته فقال :

أعاذل قد عذلت بغير قدر
ولا تدرين عاذل ما ألاقي
فاما كنت عاذلتي فردّي
كلابا اذ توجّه للعراق

(٥٩) الأصابة جـ١/٦٥ ، الاغاني ١٨/١٥٧ ، اسد الغابة ١/١١٦ .

ولم اقض اللبانة من كلاب
غداة غد وأذّن بالفراق
فتى الفتيان في عسر ويسر
شديد الرّكن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليت وجدي
ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وابقائي عليك اذا شتونا
وضمّك تحت نحري واعتناقي
فلو فلق الفؤاد قماط وجد
لهمّ سواد قلبي بانفلاق
سأستعدي على الفاروق ربّاً
له دفع الحجيج الى مساق
وأدعو الله مجتهدا عليه
ببطن الاخشبين الى دفاق
ان الفاروق لم يردد كلابا
الى شيخين هامهما زواقي(٦٠)

ويقال ان الخليفة عمر (رض) بكى بكاء شديدا وكتب بردّ كلاب الى المدينة حيث ينتظره ابواه قائلا له : (الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه وصرفه مع ابيه ، فلم يزل معه مقيما حتى مات أبوه) (٦١) .

وهذه الحكاية كما نرى كانت قد وقعت بسبب حروب الجهاد والفتوح الاسلامية ، وكان داعي الجهاد والايمان بالله اشدّ واقوى من داعي الابوة

---

(٦٠) الاغاني ٢١/١٣ ـ ١٥ .
(٦١) المصدر السابق ، ٢١/١٥ .

ورغم ذلك الواجب المفروض على ذلك الابن ورغم اخلاصه فيه شكاه ابوه الى الناس اجمع وشكا حاجته اليه ورفض جهاده ، كما شكا الخليفة امام المسلمين جميعا مثيرا بذلك عواطفه ومحققا غاينه في نهاية المطاف كما رأينا .
وقصة ذلك الاب الذي هجره ولده جهادا في سبيل الله تشبه قصة أبي خراش الهذلي وابنه(٦٢) وقصة المخبّل السعدي وابنه شيبان(٦٣) فقد شكيا بطريقه هجر ابنيهما لهما نفسها بسبب جهادهما في سبيل الله .

ومن قصص الشكوى ايضا قصة القتّال الكلابي الذي حبس في ايام مروان بن الحكم ، حبسه بعض ولاة المدينة وقد استطاع الهرب من السجن بعد أن قتل سجّانه الذي بالغ في تعذيبه جسديا ونفسيا وذكر تلك الحكاية وهو يشكو ما آل اليه امره في سجنه ، فقال من قصيدة طويلة بدأها بمقدمة غزلية ثم حكى في آخر ابياتها ما وقع له ، يقول في مطلع القصيدة :

أميم أثيبي قبل جدّ التزيّل
أثيبي بوصل او بصرم معجّل

أميم وقد حمّلت ما حمّل امرؤ
وفي الصرم احسان اذا لم ينوّل

ثم يذكر حكاية هربه وقتله سجانه بعد معاناته المرة منه كما قلنا فيقول :

ولمّا رأيت الباب قد حيل دونه
وخفت لحاقا من كتاب مؤجّل

رددت على المكروه نفسا شريسة
اذا وطّنت لم تستقد للتذلّل

---

(٦٢) شرح اشعار الهذليين ٣/١٢٤٢ .
(٦٣) شعر الفتوح الاسلامية ، ص٣٧ .

وكالىء باب السّجن ليس بمنتـــه

وكـان مــرادي منـه ليس بمـــؤتلي

اذا قلت رفّهني من السجن سـاعة

تـــداركُ بها نعمى عليّ وأفضـــل

يشـــدّ وثاقـي عابســـا ويتلّني

الى حلقـــات فـي عمـــود مرمّل

أقول له والسيف يعصب رأســـه

أنا ابن ابي اسماء غيـــر التنحـــل

عرفت نداي مـن نداه وجـــرأتي

وريحـا تغشّاني اذا اشتدّ مسحلي

تركت عتاق الطير تحجـــل حولـه

على عدواء كالحوار المجـدّل(٦٤)

وهكذا قتله في نهاية الامر وتركه طعاما للطيور الجارحة ، وبعد ان هرب من ذلك السجن الرهيب ارسل اليه مروان بن الحكم أن أرجع فسخر منه ورفض ذلك بشدة ، لا بدافع العصيان ، ولكن خوفا من عقابه له ، وهـو حتما عقاب شديد ولهذا قرر الهرب واللجوء الى جبل مرتفع شامخ وقد حقق ما أراد ، وسكن في النهاية غارا في احد الجبال يصحبه نمر جعله أخا له رغم شراسته وفضله على البشر فقال :

أيرســل مروان الاميـــر رســـالة

لآتيـــه انّي اذن لمضـــلّل

وما بي عصيـــان ولا بعد منـزل

ولكنني من خـوف مروان أوجـل

(٦٤) ديوان القتال الكلابي ، ص٧٣ ـ ٧٧ .

سأعتب أهل الدين مما يريبهم
واتبع عقلي ما هدى لي أوّل
وألحق بالعنقاء في ارض صاحة
أو الباسقات بين غول وغلغل
وفي باحة العنقاء أو في عماية
أو الادمى من رهبة الموت موئل

وواضح من ابياته انه قرر الهرب والنجاة بنفسه وفضل السكن في أعلى الجبال فرارا من الموت الذي كان سيحيق به لو أنه سلم نفسه الى مروان ابن الحكم ، وهناك في كهف من كهوف تلك الجبال فضل ان يصاحب حيوانا شرسا مرعبا ويتخذه أخا له هو النمر او الجون على مصاحبة البشر او بالاحرى من يريدون له الاذى والشر من البشر :

ولي صاحب في الغار هدّك صاحبا
هو الجون الاّ أنّه لا يعلّل

أما حديثهما فهو بالنظرات الحادة الصامته وطعامهما هو ما يصطاده النمر من انثى الوعل ويأتي بها الى الغار حيث كان القتّال يطبخ منها ما يريد لنفسه . اما النمر فكان يأكله كما هو نيئا ، وأما شرابهما فهو من نقرة ، أي حفرة في الجبل يضل فيها السالك هي موردهما الوحيد من الماء الذي كانا يتناوبان عليه باستمرار ، وقد بقيا هكذا في سلام دون أن يجرؤ أحدهما على ايذاء الآخر لان كلا منهما كان يدرك خطورة صاحبه وشدة اذاه فيقتصد ويتراجع عن ايذائه[٦٥] . أما تفصيل ذلك شعرا فهو :

(٦٥) تفصيل القصة في الاغاني ٢٠/١٦٠ . ومن قصص الشكوى ايضا قصة الشاعر يزيد بن قيس الكلابي عن ظلم عمال الاهواز وجعلها على شكل رسالة شعرية : ابلغ امير المؤمنين رسالة فأنت امير الله في النهي والأمر (فتوح البلدان ٢٧٩ ، الاصابة ج٣/٦٣٦) .

ولي صاحب في الغار هدّك صاحبا

هو الجون الاّ أنّه لا يعلّل

اذا ما التقينا كان جلّ حديثنا

صمات وطرف كالمعابل أطحل

تضمّنت الأروى لنا بطعامنا

كلانا له منها نصيب ومأكل

فأغلبه في صنعة الزاد انّني

أميط الاذى عنه ولا يتأمّل

وكانت لنا قلت بأرض مضلّة

شريعتنا لأيّنا جاء أوّل

كلانا عدوّ لو يرى في عدوّه

محزّا وكلّ في العداوة مجمل

هذه باختصار نماذج من الحكايات والقصص الاجتماعية التي صدرت عن شعراء مخضرمين عاشوا بعض حياتهم في الجاهلية وامتد بهم العمر والزمن الى نهاية العصر الراشدي،واحيانا العصر الاموي،وكانت تلك القصائد كما رأينا لا تزيد على مقطعات واحيانا تتجاوز ذلك بقليل وتمثّل في اغلبها واقعاً حدث لاؤلئك الشعراء فسجّلوه كما حصل في اشعارهم من خلال انفعالهم أو تفاعلهم مع ذلك الواقع ومؤثراته ، وبهذا المنطلق البسيط كانت تلك القصائد حكايات ، وعندما طوّروها وادخلوا فيها بعض الخيال والمبالغة، ثم توسعوا في الاحداث والشخوص اصبحت قصصا من وحي الواقع الذي عاشه اولئك الشعراء وتحت تأثيره ، ولكننا لم نجد توسعا في تلك القصص الى الدرجة التي يمكننا معها أن نعدّها روايات بالمفهوم الذي اوضحناه للرواية وأكدته كتب اللغة عندهم .. كما ان تلك الحكايات والقصص الشعرية كانت تمثل المجتمع من خلال الشاعر في اتجاهين اثنين ، أولهما : ما يدخل ضمن

القصص والحكايات الخاصة بالشاعر واسرته او قبيلته • وثانيهما : ما يدخل ضمن القصص والحكايات التي تتعلق بالشاعر والسلطة الحاكمة بشكل عام ، والمجتمع الذي يعيش ضمنه بشكل خاص •• ولقد وجدنا ان تلك القصص في بعض صورها استمرار لما كان يحدث للشاعر في عصر ما قبل الاسلام كقصص الكرم وقصص المهنة التي وجدناها عند أوس بن حجر ثم الشمّاخ بن ضرار فيما بعد •• وفي البعض الآخر كان للاسلام أثر واضح فيها كقصص الجهاد والفتوح وشكوى الآباء الكبار من ترك ابنائهم لهم بسبب ذلك كما رأينا في قصة أمية بن الاسكر وابي خراش الهذلي وغيرهم ••

الفصــل الخامس

القصة العاطفية في صدر الاسلام

القصة العاطفية في صدر الاسلام :

وهي استمرار للقصص الشعرية الوجدانية في عصر ما قبل الاسلام ، وذلك لانّ كثيرا من شعراء صدر الاسلام كانوا قد عاصروا ذلك العصر وامضوا شطرا كبيرا من حياتهم وشبابهم فيه ، كما اكتملت شاعريتهم ايضا في تلك الفترة ، ولهذا يسمّون المخضرمين ، من الخضرمة وتعني الاتساع والشمول ، أي اتسع فشمل العصرين(١) • ولهذا السبب نفسه نجد في دواوينهم الكثير من الملامح الجاهلية والمعاني والاغراض ذاتها فضلا عمّا قالوه في صدر الاسلام من المعاني الاسلامية ، وابرزهم حسان بن ثابت ، حميد بن ثور ، لبيد بن ربيعة ، الحطيئة ، وبعضهم ترك الشعر ولم يقل الاّ بيتا واحدا بعد اسلامه كما فعل لبيد بن ربيعة (٢) : لان ايمانهم بالدين الجديد ملأ عقولهم وافكارهم فانصرفوا اليه والى قراءة القرآن الكريم

---

(١) العمدة ١/١١٣ (يقال ماء خضرم اذا تناهي في الكثرة والسعة ، ومنه سمّي الرجل الذي شهد الجاهلية والاسلام مخضرما كأنه استوفي الامرين) • وانظر : (شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه – يحيى الجبوري ص٥٣ وما بعدها) •

(٢) الشعر والشعراء ١/٢٧٥ (يقول انه لم يقل في الاسلام الا بيتا واحدا هو :
الحمد لله اذ لم يأتني اجلي حتى كساني من الاسلام سربالا
وقال له عمر بن الخطاب (رض) انشدني (من شعرك) ، فقرأ سورة البقرة ، وقال : ما كنت لاقول شعرا بعد اذ علمني الله (سورة البقرة وآل عمران) وكذلك ورد الخبر في الاغاني ١٤/٩٧ •

عن كل شيء ، واما من هزل ايمانه مثل الحطيئة[3] وسحيم[4] فقد استمر على افكاره الجاهلية وظل متفاعلا معها رغم تظاهره بالاسلام والايمان بمبادئه ويقينه بانه جاء ليهدم ما قبله .

ورغم ان القول بهذه الافكار ليس جديدا ، وان كثيرا من الباحثين قد اشار اليها ضمن بحوثه لهذه الفترة[5] . الا اننا نذكرها هنا تمهيدا للحديث عن قصص الغزل الشعرية موضحين من خلاله سبب وجود الملامح الجاهلية فيها ، وبيان اثر الاسلام في هذا النوع من القصص والاغراض الشعرية .

وعلى هذا يمكننا تقسيم القصص الشعرية العاطفية الى نوعين رئيسيين هما :

آ ـ قصص الحب الاولية التقليدية وتشمل :

اولا : قصص المقدمات الطللية ، وفيها حديث الذكريات والايام الخوالي باسلوب الحوار الرمزي مع الطلل او باسلوب السرد القصصي ، وهي جميعا استمرار للنهج الجاهلي في هذا الموضوع .

ثانيا : قصص رحيل الاحبة .. ولا يفترض فيها وجود الاطلال دائما ، ويروي الشاعر من خلالها قصة الرحيل ومعاناته النفسية والعاطفية اثناء ذلك

---

(٣) الشعر والشعراء ١/٣٢٢ ، يقول ابن قتيبة عن الحطيئة : (كان رقيق الاسلام لئيم الطبع) ، وفي الاغاني ٢/٤٦ قال الاصمعي : (كان الحطيئة جشعا سؤولا دنيء النفس كثير الشر قليل الخير فاسد الدين وما تشاء ان تقول في شاعر من عيب الا وجدته وقلما تجد ذلك في شعره) .

(٤) الشعر والشعراء ١/٤٠٨ ، الاغاني ٢٠/٤ وما بعدها . (تتفق تلك المصادر على انه شاعر ما جن قتله الخليفة عمر (رض) لتشبيبه بالنساء) .

(٥) من تلك الكتب : تاريخ الادب العربي (في العصر الاسلامي) ، شوقي ضيف ، شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه (يحيى الجبوري) ، في الشعر الاسلامي والاموي (عبدالقادر القط) ، عصر القرآن (محمد مهدي البصير) .

باسلوب يعتمد الوصف اساسا ، هذا فضلا عن الذكريات الماضية التي تنبعث في خياله وهو يراقب بيأس مشاهد الرحيل فيرويها ليسلي بذلك نفسه ويصبّرها على التحمل والجلد • وتتجلى تلك الظاهرة في شعر الهذليين خاصة ، وهي ايضا تعد من اغراض الشعر الجاهلي الثانوية كما في شعر امرىء القيس(٦) ، الا انها تبلورت في العصر الاسلامي وتنوعت اساليبها فيه ••

ثالثا : قصص الحب العفيف ، مثل قصة عروة بن حزام وقصة عبدالله ابن علقمة وحبيشة التي جرت في اثناء الرسول (ص) والتي اشار اليها الدكتور عبدالقادر القط في بحثه لهذا الغرض في العصر الاسلامي(٧) •

رابعا : قصص الحب الماجن ، وهي القصص التي صدرت عن الشعراء الذين كان ايمانهم بالاسلام ضعيفا ، وكان مما دعا اليه الاسلام ، العفة في القول والفعل (٨) • كما رفض الرسول (ص) الشعر الذي لا يدعو الى الحق والخير وعده خبيثا (٩) ، ويؤكد ذلك قوله : (لان يمتليء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتليء شعرا) (١٠) فهو بهذا يرفض ذلك الشعر ،

---

(٦) ديوانه ، ص٤٣ ، ٥٦ ، ١٦٨ •

(٧) (يرى الدكتور عبدالقادر القط ان قصة عبدالله من القصص البارزة في الحب والتي يبدو فيها الخيال (الرومانسي) في صورة درامية فاجعة وعناصرها شبيهة الى حد كبير ــ كما يقول ــ بما نجده في اخبار عشاق الدولة الاموية في الشعر الاسلامي والاموي ص٦٣) ، وقد تحدث في قصته ايضا د • عبدالحميد ابراهيم ص١٢٠ (قصص العشاق النثرية)•

(٨) سورة النور / ٣٣ ، قال تعالى : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » ، وقال ايضا : « وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم » ، سورة النور / ٦٠ ، وانظر ايضا : (تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ص١٩١) •

(٩) العمدة ١/٢٧ •

(١٠) العمدة ١/٣١ •

وبسببه ايضا عد امرؤ القيس (صاحب لواء الشعراء الى النار) (١١) لما في شعره من غزل وقصص ماجنة تخدش الحياء والعفة •

وكانت تلك القصص الماجنة سببا مباشرا في عقاب سحيم بالقتل ، كما مرّ (١٢) بنا كما كان هجاء الحطيئة المقذع سببا في سجنه(١٣) ، وشعر المجون وقصصه من الاغراض الجاهلية التي كانت سائدة والتي استمرت عند بعض الشعراء بعد الاسلام كما ذكرنا •

ب ـ القصص الشعرية العاطفية الثانوية •• وهي القصص التي تأتي ضمن النوع الاول ، لتأكيد قوة الحب وشدته عند المحب او لتجسيم مرارة لوعته بعد الفراق ومعاناته منه ، ويستطرد الشاعر الى تلك القصص ، اما للتشبيه او ضرب المثل مؤكدا بذلك ما يشعر به من شوق وحرمان ويأس •

وتلك القصص بنوعيها الرئيس والثانوي في اسسها العامة تابعة للقصص العاطفية في عصر ما قبل الاسلام ولا يمكننا القول بانها من الاغراض الجديدة ، وذلك لانها تعبّر عن عاطفة الحب وهي من الاغراض الانسانية الشاملة في كل مكان وزمان وتعد مشروعة ضمن الاطر الاجتماعية والدينية المتعارف عليها (١٤) • فقصة المرقش الاكبر وحبيبته اسماء(١٥) مثلا

---

(١١) مسند ابن حنبل ٣/٢٢٨ ، جمهرة اشعار العرب ص٣٨ ، الشعر والشعراء ١/١٢٦ •

(١٢) الشعر والشعراء ١/٤٠٨ ، الاغاني ٢٠/٤ وما بعدها • ديوان سحيم ص٥ وما بعدها •

(١٣) الشعر والشعراء ١/٣٢٢ ، الاغاني ٢/٤٣ •

(١٤) وقد اكد هذه الحقيقة الدكتور الجواري في كتابه (الحب العذرى ، ص٣٦)، ثم اضاف ان هذه العاطفة كانت قبل الاسلام بشكلها البسيط في البادية ثم تطورت في العصر الاسلامي والاموي الى الحب العذري •

(١٥) الشعر والشعراء ١/٢١٠ (يروي قصته قائلا : انه احد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وقد مات أثناء رحلته وراء حبيبته اسما بعد ان زوجها أبوها رجلا من مراد اثناء غيابه • كما اورد ابو الفرج ايضا قصته في (الاغاني ٥/١٩٠) هذا وفي المفضليات قصائد شعرية اوردها المفضل الضبي تؤكد قصته تلك (المفضليات ص٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٤٣١) •

من قصص الحب العفيفة في عصر ما قبل الاسلام ، تتشابه مع قصة عروة بن حزام وحبيبته عفراء التي حصلت في العصر الاسلامي (١٦) ، وقصة عبدالله بن عجلان وحبيبته هند التي حصلت في عصر ما قبل الاسلام(١٧) تتشابه مع قصة قيس بن ذريح وحبيبته لبنى التي حصلت في العصر الاموي(١٨) • وقد اشار الى ذلك الدكتور عبدالحميد ابراهيم مؤكدا ان قصص العشق قديمة منـذ عصر ما قبل الاسلام بشكليها الحسي والعذري متمثلا بقصص اولئك العشاق التي وردت فيما مرّ ذكره (١٩) •

اما قصص العشق الحسي او الماجن فابرزها في عصر ما قبل الاسلام ماجاء في قصائد امرىء القيس واهمها قصة دارة جلجل التي مرّ ذكرها في فصل سابق (٢٠) ، وقد استمرت تلك القصص بعد الاسلام عند بعض الشـعراء الذين ضعف ايمانهم بالدين الجديد مثل سحيم •

وبما ان الاسلام كان قد انتشر وتغلغلت المبادىء في نفـوس العـرب المسلمين ورسخت قيمه الروحية في قلوبهم ، لذا كان مجال القول في مثل هذا القصص الماجن قليلا لان ايمانهم وحياءهم كانا مانعين لهم دون ذلك ، وعلى هذا ستكون القصص الشعرية العاطفية التي سنذكرها هنا ممثلة لابرز تلك الانواع واجملها والتي يمكننا استنباط قصة الحب من خلالها ضمن ما تخضع له من اغراض ومعان •

---

(١٦) الشعر والشعراء ٢/٦٢٢ ، يقول انه احد الشعراء الذين قتلهم العشق واخباره في الاغاني (٢٠/١٥٢) •

(١٧) الشعر والشعراء ١/٧١٦ (يقول انه مات عشقا) •

(١٨) الاغاني ٨/١١٢ (كلاهما احب ثم تزوج حبيبته وطلقها بالحاح اهلـه عندما اكتشف انها لا تنجب ثم قتله الحب والندم) • ومن عشاق الجاهلية الذين سعدوا بحبهم في النهاية عنترة الذي تزوج عبلة حبيبته ، وقد انشد اجمل قصائد الحب وحكى اروع قصصه في شعره (ديوانه ص٢١) •

(١٩) قصص العشاق النثرية ، ص١٢١ و٣٢٧ ، ٣٢٨ •

(٢٠) يراجع الفصل الثاني (القصة في العصر الجاهلي) ، وقد ذكر صاحب الجمهرة قصة دارة جلجل في حديثه عن اخبار امرىء القيس ، ص٨٩ ، ٩٠•

١ ـ قصص رحيل الاحبة وهي ايضا من الاغراض في عصر ما قبل الاسلام كما في معلقة امرئ القيس(٢١) • وفي صدر الاسلام تتضح هذه الظاهرة القصصية في شعر الهذليين بخاصة كما في شعر مليح بن الحكم وابي ذؤيب الهذلي(٢٢) • ولا تخرج في اغلبها عن بعض الاحداث الرئيسة وهي مشهد الرحيل والحبيبة من ضمن الراحلين والمحب وهو يرى حبيبته ترحل بعيدا عن ناظريه ، يتخلل ذلك الوصف الذي يعدّ اساسا في تلك القصص ، كوصف النساء الجميلات وابرزهن الحبيبة ، وصف الرواحل وما عليها ، وكذلك الجمال والخيل • ثم تبدأ رحلة اليأس في اعماق الشاعر وهو يتابع مشهد الفراق بقلبه الدامي وعينيه الدامعتين ، فمثلا هذا مليح بن الحكم يروي قصة رحيل الحبيبة فيقول :

ان الخليط الـذي ما دونـه احـد
عندي ولو لم يكن يدري بما اجـد

لم اخش بينهم والـدار ان جمعت
يوما مبدّدة والقرب والبعـد

حتى رأيتهم تعلـو رحالهـم
ملمومة فوقهن النّبيّ واللّبد(٢٣)

فقلّ ما لبثـوا حتى استمرّ بهم
بين كعّط الرّداء العصب منجرد(٢٤)

---

(٢١) ديوانه ص١٠ •
(٢٢) شرح اشعار الهذليين ١/١٦٤ لابي ذؤيب الهذلي •
ومثلها في شرح اشعار الهذليين ٣/١٠١٣ لمليح بن الحكم ٣/١٠٤٢ •
(٢٣) ملمومة : ابل سمان (لمت بالشحم لمّا)•النيي:الشحم • اللبد : الوبر •
(٢٤) منجرد : ذاهب • عطّ : شقّ •

تحدى بهم راجفات الهمّ مجفرة

غلب يشدّ لها اثباجها القحد(٢٥)

لقد رأى موكب الرحيل وهو كالذاهل لا يصدق ما يرى اذ لم يكن يتخيّل الفراق الى ان رأى الجمال تسير في موكبها الحزين تحمل اعزّ الناس اليه ويستمر في وصف تلك الركاب وما عليها الى ان يقول :

فالعير تحمل اشواقا مضعّفة

والعين يكحل فيها الصاب والرّمد

وقلت وهي بعيد واستمرّ بهم

آل يعممهم والقرقر الجرد(٢٦)

ماذا هنالك من شيء فجعت به

وحاجة لك تطوى دونها حصد (٢٧)

شمّاء فيهم وشماء التي تبلت

عقلي او انصدعت من حبّها الكبد

لقد كانت الرحال تحمل حبيبته شماء التي ترك رحيلها في فؤاده جرحا لايندمل وفي عينيه دمعا لا ينقطع ، فكأنها كحلت بالصاب والرمد ، فهو مشوق اليها دائما ، وقد لايكتفي الشاعر بذلك فيتوسع في حديث الرحيل ذاكرا لحاقه بموكب الحبيبة اثناء رحيلها ثم تبادله الحديث الودي معها ،

---

(٢٥) راجفات : متحركات الرؤوس في مسيرها . مجفرة : عظام الجنوب . غلب : غلاظ الرقاب . الثبج : الجنب . القحد : الاسنمة واحدتها : قحدة ويقال القحد أصل السنام . يريد أن الاسنمة تثبت الجنوب وتشدها .

(٢٦) آل : سراب . يعمّمهم : يكسوهم ويلبسهم . القرقر : الارض المستوية . الجرد : الذي لا نبت فيه .

(٢٧) الحصد : اراد الرحال قد احكمت . يقول : تطوى دونها الرّحال . شرح اشعار الهذليين (١٠١٣/٣) ومثلها في ص١٠٢٠ ، ص١٠٣٢ ، ص١٠٣٨ .

وكلاهما على ظهر ناقته فلا نشعر من ابياته مرارة الحب والفراق كما احسسنا بها في القصة السابقة ، من ذلك قصة لمليح بن الحكم ايضا وهو يروي فيها ذكريات حبه الماضية لليلى عندما كانت اما وطفلها الصغير كولد المهاة حسناً وجمالا ثم فرقتهم الايام واصبحت ديارها بعيدة كما يذكر كيف لحق بها في احدى المرات وهي على ظهر ناقتها وجرى بينهم حديث كله ود ووفاء ، اما مقدمة القصة فيقول فيها :

تذكرت ليلى يوم اصبحت قافــلا
بزيزاء والذكرى تشوق وتشغف(٢٨)
غــداة تردّ الدمــع عين مريضــة
بليلى وتــارات تفيض وتــذرف

ولكنه يعود ليستذكر تلك الذكريات لان ليلى بعيدة عنه ومتزوجة ايضا واهلها لا يعرفونه :

وما ذكـــره ليلى وليست بخلـّة
تداني ولا اتباعهــا لــك يعــرف
ولا انت تلقاهــا ولا دار اهلهــا
بدارك الاّ لمـّـة النـّوم تسعف(٢٩)

ورغم بعد دارها فهو يحبها مذ كان طفلها صغيرا :

بتلك علقت الشوق ايام بكرهــا
قصير الخطى في قدعة متعطـّف(٣٠)

---

(٢٨) قافلا : يأتي اهله . زيزاء : ارض خشنة او بلد . الشغف : وجــع في البطن .
(٢٩) تلمّ في النوم . تسعف : تدنو .
(٣٠) قدعة : درّاعة لا تبلغ ساقيه . بكرها : اول ولدها ، والمرأة بكر : اذا ولدت اول ولد .

شبيه باطــلاء المهـا غيـــر انّــه
يصلّ بعطفيه جمـان ورفـرف(٣١)

وقد دفعه حبها الى الرحيل وراءها لرؤيتها والحديث معها رغم ما في ذلك من مخاطرة مميتة :

فمن حبّ ليلى يـوم فيض اراكـة
ويوما بقرن كدت للمـــوت تشرف

غـداة طلبنا الضاعنـين ودونهــــم
رجال العـدى ما عنهـم لك مصرف

وكانت ناقته هي وسيلته الى الحبيبة فيذكرها ويفيض في وصفها ذاكرا كيف حملته وسارت به الى حيث موكب الحبيبة ، ثم يقول بعد ذلك :

دنت ثم ادنتني لليـــلى وجملهـــا
مخاشفة انّي على الهول مخشف(٣٢)
فلمّــا تراجعنا الكـــلام واتلعـت
سوالف رئـم طرفـــه متشـوّف
شكوت العدى من دون ليلى انّــه
يـزيـد هواها النأى عنـدي فيضعف
وخبرتهـا اشـــياء تعلـم انّهـــا
كذاك فقالت كلّ مـا قال نعـــرف
والطفت من شكوى المحبّ مقالة
لليلى وما قالت لنـا بعـد الطـــف

(٣١) يصلّ : يصوّ · رفرف : قرط ·
(٣٢) مخاشفة : لا تهاب الليل ·

فقالت له لو كان للحبِّ منتهى
وللهجر أو لو كان ذو الضغن ينصف
بلغت على رغم الانوف كرامة
اليك ولو مات الغيور المكلّف
ولكن عداني اللوم من ذي قرابتي
ولغب العدى ممّن يجور ويجنف(٣٣)
فقلت لها سيرى فودك ضامن
عليّ ولبّى عندكم متسلّف(٣٤)

ويستمر حديث الهوى والعتاب وتجديد العهود بهذا الشكل ، واخيرا ينتهي بهما الكلام الى توثيق ذلك بالايمان الغليظة ، فيقول :

وقد حلفت ليلى وقد كنت انتهي
الى منتهى ايمانها حين تحلف
بما جمع الحجّاج من كل بلدة
حرام لهم منها مقام ومعكف
وبالوتر مما يلقطون من الحصى
وبالبدن تكبو في الدّماء وتنزف
فهم يحطمون البيت منهم مكبّر
ومستلم اركانه متطوّف

لقد اقسم بالله وبأقدس شعائر الدين الاسلامي وهي الحج موضحا ومؤكدا بذلك اثر الاسلام في هذا الغرض وتغلغل الايمان في نفسه ، اقسم على دوام الود واستمراره مهما لاقي في ذلك من مصاعب كالفراق ولوعته :

(٣٣) لغبهم : كذبهم واكثارهم . يجنف : يميل .
(٣٤) متسلّف : متقدم .

يزال لكم في النفس عندي لو نأت

بك الدار مكنون من الودّ مزلف(٣٥)

فعندي لليلى مثـل ما حلفـت به

عليها وكـلّ حالف متوكـف(٣٦)

فأجسادنا شتّى واهواؤنـا معـا

على ذاك نحيـا او على ذاك نتلف

كل ذلك الحديث واهلها غافلون عنهما مستغرقون في قيلولة هـادئة استعدادا لمواصلة الرحيل ، ترى أيخبرهم بما جرى بينه وبين حبيبته ام يكتم سعادته في قلبه ويتركهم يواصلون رحلتهم في تلك الصحراء الموحشة يتتابع عليهم ليلها ونهارها :

فيا ليت شعري هـل اقـول لفتيـة

سقتهم بكأس النّوم صحراء صفصف

وليـل كاثبـاج البخاتيّ شـائع

على الرّمل يدجي مرّة ثم يسدف(٣٧)

وفي غمرة اطمئنانه ، قرر ان يتركهم يواصلون رحيلهم وهو يتابع حركة سيرهم من بعيد ليصفها بعد ذلك في قصيدته بشكل دقيق ورائع ، نشاهد من خلاله بعين الخيال اولئك الرجال وهم يضربون الابـل بالسياط فتـركض مسرعة كأنها تسبح ثم تصل الى مورد للماء فتمدّ رؤوسها لتشرب منه ثـم يتوقف الجميع للراحة ، ونشاهد الرجال في حركة مستمرة ذهابا وايابا :

فألقـوا عليهنّ السّياط فشمّرت

سعال عليها الميس تملو وتقذف(٣٨)

---

(٣٥) مزلف : مقرّب له زلفة : اي له فضل ٠

(٣٦) متوكف : مجتهد متحرج ٠ يقال اصاب وكفا : اي اثما ٠

(٣٧) شائع : متفرق ٠ يدجي : يظلم ٠ يسدف : يضيء ٠

(٣٨) تملو : تسبح ــ ملا ، يملو : سار سيرا شديدا ٠

فما ان وردن المـــاء حتى توقّدت
رحى الشّمس واستنّ السراب المزفزف(٣٩)

فلمـا وردن المـــاء الفـت لحييهـا
لاســآر انضـاح تسوف وترشف(٤٠)

وحطّ الرّحال القـوم عنها فرائــد
قريبا ومنهـــا قائـم متصدّف(٤١)

وبعد ان شرب الجميع لجأوا الى الراحة والقيلولة فنشروا ملابسهم فوق سيوفهم وعصيّهم كالخيمة وكانت الريح تحرّكها كأنها اجنحة العقبان :

وألقوا علـى اســـيافهم وعصيّهم
رواقا لهم ظلت به الريـــح تعصف

من الريط والطيقان تنشر فوقهـــم
كأجنحة العقبان تدنو وتخطف(٤٢)

ثم عادوا لمواصلة الرحيل بعد تلك الراحة واسرعوا في تهيئة الرواحل من جديد ودفعهم ذلك الى الاسراع حتى في الصلاة :

فقالوا قليلا ثـمّ شـدّوا رحالهـم
على ضمّر ظلت معاويذ تصرف(٤٣)

---

(٣٩) المزفزف : المتحرك •
(٤٠) الاسار : بقايا الماء • انضاح : حياض • تسوف : تشم • ترشف : تمص المـــاء •
(٤١) رائد : يذهب ويجيء • متصدف : يتصدف : يعرض •
(٤٢) الطيقان : الطيالسة واحدها طاق •
(٤٣) معاويذ : بروك في موضع واحد • قال (المعوّذ) التي لا تبرك في كـل مكان •

فصلّوا صلاة قدّموها ليركبوا
عجالى وريعان الظهيرة مسنف[44]

وسار الموكب مسرعا حتى وصل صحراء موحشة ، الاّ من الاصداء المخفية :

واصبحن قد جاوزن عرض مفازة
بها البوم والاصداء والجنّ تعزف

ومالا يعدّ الركب من كلّ مهمة
يني دون اقصاه النّجيب المعلّف[45]

ويتوقف الشاعر عند هذا الحد دون ان يحدد نهاية الرحلة ، ويترك ذلك لخيال القارىء ، وعلى العموم فان عرضه لمشهد الرحيل كان هادئا لا نحسّ من خلاله انفعالا بالالم او الحزن رغم وجود الحبيبة ضمن القوم الراحلين ، والسبب واضح ، هو انه التقى بها قبل مواصلة الرحلة واخذ منها العهود والمواثيق وتأكد من حبها له ولهذا هدأ باله واطمأنت نفسه .

اما القسم الثاني من الحكاية فقد اعتمد الشاعر فيه على الوصف المجرد مع استعمال الخيال والالفاظ الغريبة وذلك لان ما يصفه يتعلق بالطبيعة وحيواناتها . اما في حكايته لقصة لقائه ووداعه للحبيبة الراحلة فقد اعتمد فيها الالفاظ السهلة التي تسيل رقة وعذوبة هذا فضلا عن الحوار الذي ضمنه الحدث الذي اراد نقله وكانت مشاعره مطمئنة وعواطفه هادئة مستقرة بسبب اطمئنانه الى الغد الذي رسم خطوطه ووضع اسسه مع الحبيبة في بداية الحكاية .

---

(٤٤) مسنف : متقدم . ريعانه : اوله .
(٤٥) يني : يكسل . المعلّف : المعلوف .
شرح اشعار الهذليين ٣/١٠٤٢ ـ ١٠٤٨ .

٢ ـ قصص الحب العفيف (قصة عروة بن حزام) :

وهي من اوائل قصص الحب العذري بمعناه المتكامل بعد الاسلام ، وقد نشأ هذا الحب في البادية وفيها ترعرع كما يقول الدكتور الجواري ، وقد اشتهر به بنو عذرة في العصر الاسلامي ، عصر الاستقرار السياسي ، فهم على حد تعبيره (يشتهرون بالحب القوي الصادق العفيف الذي يملك الروح وينتظم النفس ويسمو على شهوات الجسد ويشيع هذا الحب فيهم ويعرف به حتى يقال للعاشق الثابت على حبه المخلص في وده المنزه حبه عن شهوة الحس ولذة الجسد انه محب عذري)(٤٦) ، ولذلك فهو يعده (ظاهرة اجتماعية جديدة نشأت عن التطور الذي احدثه الاسلام في نفوس العرب وهي نقطة البدء في تاريخ العواطف في المجتمع الاسلامي)(٤٧) •

وعروة بن حزام هو اول عشاق عذرة بعد الاسلام الذين اوجعهم الحب فألهمهم اجمل الشعر وارق العواطف واصدقها ، ينفثون من خلالها نبضات قلوبهم واشواقها • اما قصته فيفصلها صاحب الاغاني(٤٨) ، ونوجزها فيمايلي :

نشأ عروة بن حزام يتيما في بيت عمه عقال ، وكانت عفراء تربه في طفولته ورفيقته في ملاعب صباه ، ثم جمعهما الحب وربط بينهما وقد وعد العم عقال ابن اخيه عروة بتزويجه اياها ان هو جمع المال اللازم لذلك(٤٩) ، ورحل عروة الى ابن عم له ميسور الحال ليطلب منه المال والنوق التي ارادها عمه مهرا لعفراء ، ويستجيب ابن عمه الى طلبه ويعطيه ما اراد ويعود راجعا

....

(٤٦) الحب العذرى ـ احمد عبدالستار الجواري ، ص٣٦ ، ٤٢ •
(٤٧) المصدر السابق ، ص٥٥ •
(٤٨) الاغاني ٢٠/١٥٢ •
(٤٩) كان يقول له وهو يرى تآلفهما : (ابشر فان عفراء امتك ان شاء الله) فكانا كذلك حتى لحقت عفراء بالنساء ولحق عروة بالرجال (الاغاني ٢٠/١٥٢) •

الى ديار عمه ومعه مهر عفراء ولكنه يفاجأ بالغدر والخيانة . لقد زوجها في غيابه برجل غني ميسور الحال بتشجيع من زوجته التي كانت تكره عروة ثم رحلت عفراء مع زوجها الى دياره في الشام .

وعندما تتأكد لدى عروة هذه الحقيقة يزداد شوقه ويأسه ، وبعد ذلك يشد الرحال الى الشام ليرى عفراء ، وعندما يعرف زوجها انه ابن عمها يكرمه بشهامة وشرف وقد دفع هذا الخلق النبيل عروة الى الرحيل بعيدا عنها اكراما لزوجها وزاده ذلك الفراق وجدا وهياما ، فنحل جسمه واصابه الهلاّس كما يقال فلجأ اهله الى العرّافين لشفائه فاعجزهم ما به ، وذهبت محاولاتهم عبثاً ، وقد حاول اهله اغراءه بالزواج من امرأة اخرى ولكنهم فشلوا في ذلك ايضا لانه كان اسيرا لهواها مخلصا في وفائه لها . وقد بقي على هذا الحال الى ان اهلكه العشق والمرض الذي اصابه (٥٠).

وفي قصيدته النونية الطويلة نقرأ حكاية الحب والوفـــاء والحسرة واليأس والالم يرويها بكل احداثها ابتداء من ذكريات الحب والشوق ثـم الفراق وبعدها قصة غدر عمــه وخيانته وحكمه الجائر عليهما بالفراق ومـا خلفه ذلك في قلبه من مرارة واوجاع . واخيرا قصة العرّافين وجهودهمـــا اليائسة من اجل شفائه .

اما اسلوبه فيسوده طابع الخطاب المباشر المتنوّع . فمثلا في المقدمة قال يخاطب صاحبين له يشكو اليهما ما به من الحب ويناشدهما المساعدة في لقاء عفراء بحمله على ناقة قوية ثم تركه هناك :

خليليّ من عليـــا هــلال بن عامر
بصنعاء عــوجا اليـــوم وانتظراني
ألم تحلفا باللـــه انّي اخوكمـــا
فلم تفعـــلا ما يفعل الاخـــوان

---

(٥٠) الاغاني ٢٠/١٥٢ .

ولـم تحلفـــا بالله ان قد عرفتمـــا
بذى الشّيح ربعا ثـمّ لاتقفـــان
الا فاحملاني بـارك اللـه فيكمـــا
الى حاضر الروحـــاء ثـمّ ذرانـــي
على جسرة الاصلاب ناجية السّرى
تقطّع عرض البيـــد بالوخـــدان

ويدهش هذا الصديقان ، فعفراء متزوجة والنساء كثير ، ولكنه يقول :

ولا تعذلاني في الغـــواني فانّني
ارى في الغواني غير مـــا تريـان
المّـــا علـى عفـــراء انّكما غـــدا
بشـــحط النّوى والبين معترفـــان

لقد اوجعه شوقه الى حبيبته وبرى جسده كما اسقمه قول الوشاة انها متزوجة وسعيدة وانت وحدك تعاني مرارة الحب والفراق :

فيا واشيي عفـــرا دعـاني ونظـرة
تقـــرّ بهـــا عينـــاي ثـمّ دعانـــي
اغرّكمـــا لا بـــارك الله فيكـمـــا
قميص وبـردا يمنـــة زهـــوان
متى تكشفا عني القميص تبيّنـــا
بي الضـــرّ من عفـــراء يافتيـــان
وتعترفـــا لحمـــا قليـــلا واعظمـــا
دقـــاقا وقلبـــا دائـم الخفقـــان
على كبدي من حبّ عفراء قرحـــة
وعيناي من وجـد بهـــا تكفـــان

فعفراء ارجا الناس عنـــدي مودّةً

وعفـــراء عنـي المعرض المتـــواني

فهو اذن واثق من حبها له رغم يأسه وحزنه من لقائه بسبب زواجهـــا وحرصها على كرامتها وكرامة زوجها ، انه يشدّ الرحال اليها من اليمن على ظهر ناقته التي ترفض الانصياع لارادته وهواه وتفضل البقاء في اليمن قرب احبتها ، وعندما يضطرها الى ذلك تنوء بما يحمل من الوجد والشوق فيكون عبئا ثقيلا عليها :

فيا ليت كل اثنين بينهما هـــوى

من النـــاس والانعـــام يلتقيـــان

فيقضي محبّ مـــن حبيـب لبـانة

ويرعـــاهمـا ربّـي فـــلا يريـــان

هوى ناقتي خلفي وقـدامي الهـوى

وانّي وايـــاهـــا لمختـــلفان

هواي عـــراقي وتثنـي زمامهـــا

لبـرق اذا لاح النّجـــوم يمـــان

هواي امـامي ليس خلفي معـــرّج

وشـوق قلوصي في الغدوّ يمـــان

متى تجمعي شوقي وشوقك تفدحي

ومالك بالعـــبء الثقيـــل يـــدان

يقـــول لي الاصحاب اذ يعذلونـني

اشـــوق عراقيّ وانـــت يمـــان

وليس يمـــان للعراقـي بصاحـــب

عسى في صروف الدّهـــر يلتقيـان

لقد جعل ناقته تحس بمعاناته وخاطبها كما يخاطب اعز الاصدقاء ، لقد اشتركا معا في رحلة الحب اليائسة تلك ، التي تحمل فيها عروة الكثير مما لا تستطيع الجبال الثابتة مقاومته ، ولهذا يلجأ الى الله طالبا عونه وعطفه :

تحمّلت من عفراء ما ليس لي به
ولا للجبال الراسيات يدان
فيا ربّ انت المستعان على الذي
تحمّلت من عفراء منذ زمان
كأن قطاة علّقت بجناحها
على كبدي من شدة الخفقان

ونحس من ابياته عمق الجراح التي سببها حب عفراء في قلبه كما نشعر بحرارة دموعه وحرقتها وهو يبكي حبه وامله الضائعين ، ولهذا يمكننا عدّ ابياته تلك مرثاة غزلية فضلا عن كونها قصة حب وذكريات(٥١) •

ثم ينتقل الشاعر الى عمه عقال ليروي قصته معه ، ولكن باسلوب الخطاب المباشر السابق نفسه يذكّره فيه بغدره وخيانته ويدعو له بالبلوى والهوان لما سببه له من حزن والم •

فيا عمّ ياذا الغدر لازلت مبتلى
حليفا لهمّ لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجيّة

(٥١) المرثاة الغزلية ، تأليف دكتور عناد غزوان ، وهو عنوان مؤلفه الذي بحث فيه ضمن هذا التعبير القصائد العاطفية الحزينة التي يبكي فيها الشعراء اشواقهم ولوعتهم وحبهم اليائسين فاطلق عليها تعبير المرثاة الغزلية ، وهي تشابه قصيدة عروة بن حزام ، كما اطلقه ايضا على قصائد الرثاء الحقيقية التي تبدأ بالغزل ، مؤكدا التقاء الغرضين في معاني الفراق والالم واليأس واتحادهما في الشعور الحزين الناتج عن عاطفتي الحب ، الحزن •

فالزمت قلبي دائم الخفقان
وأورثتني غمّا وكربا وحسرة
واورثت عيني دائم الهملان
فلا زلت ذا شوق الى من هويته
وقلبك مقسوم بكلّ مكان

ترى ماذا طلب منه عمّه مهرا لعفراء ؟

يكلفّني عمي ثمانين بكرة
ومالي يا (عفراء) غير ثمان(٥٢)
ثمان يقطّعن الازمّة بالبرى
ويقطعن عرض البيد بالوخدان(٥٣)
فيا ليت عمي يوم فرّق بيننا
سقي السّم ممزوجا بشب يمان
بنيّة عمي حيل بيني وبينها
وضجّ لوشك الفرقة الصّردان(٥٤)

لقد ضجت كل القلوب لفراقهما وكان غدر عمه وخيانته لعهده فوق طاقته ، لهذا يتمنى له القطيعة والاذى جزاء لفعلته ومن اقرب الناس اليه :

فيا عمّ لا اسقيت من ذى قرابة
بلالا فقد زلّت بك القدمان
فانت ولم ينفعك فرّقت بيننا
ونحن جميع شعبنا متدان

---

(٥٢) البكرة : الناقة الفتية .
(٥٣) البرة : الحلقة في انف البعير . والجمع : برى .
(٥٤) الصرد بضم الصاد وفتح الراء : طائر فوق العصفور .

ومنّيتني عفـــراء حتى رجوتهـــا

وشاع الـذي منّيت كلّ مـــكان

لقد تحمل عمه واطماعه ولولا حب عفراء لما بقي معه تحت سقف واحد يساعده في رعي الابل والحفاظ عليها :

فو الله لولا حبّ عفـــراء مـا التقى

عليّ رواقـــا بيتـــك الخلقـــان

خليقان هلهـــالان لاخيـــر فيهما

اذا هبّـــت الارواح يصطفقـــان

رواقان تهوى الريح فوق ذراهمـــا

وبالليل يسري فيهمـا اليرقـــان(٥٥)

ولم اتبع الاضعان في رونق الضحى

ورحـــلي على نّهاضـــة الخديـان

ومع هذا خيب امله ولم يرع فيه حق البنوّة والعمومة وجعله في اسوأ حال مما دفع اهله الى التماس العلاج والشفاء له عند العرّافين ، احدهم عرّاف حجر والآخر عرّاف اليمامة ، وها هو يروي قصتهما وما جـــرى له معهمـا مستعينا بالحوار الذي يضمّنه ذلك الحدث فيقول :

جعلت لعرّاف اليمـــامـة حكمـــه

وعرّاف حجـر ان همـــا شفياني

فقالا نعم نشفي مـن الــداء كلّه

وقامـا مـع العـــوّاد يبتـــدران

فما تركا مـــن رقيـــة يعرفانهـــا

ولا شـربـة ، الاّ وقـــد سـقياني

(٥٥) اليرقان : دود يكون في الزرع ثم ينسلخ فيصير فراشا ٠

فما شفيا الـداء الـذي بـيَ كلّه

ولا ذخـرا نصحـا ولا الوانـي

فقالا : شـفاك الله والله مـا لنـا

بمـا ضمّنت منـك الضلوع يدان

فرحت من العـرّاف تسقط عمّتي

عن الرأس ما التاثهـا بنـان(٥٦)

معي صاحبا صدق اذا ملت ميلـة

وكـانا بدفـي نضـوتي عـدلانـي

وهكذا يئس أهله من شفائه بعد ان عجز اولئك العرّافون فلجـأ الى الامنيات الغريبة يعيش في ظلالها ، بل تمنى الموت نفسه حتى تلتقي روحاهما في القبر ٠

فيا ليـت محيانـا جميعـا وليتنـا

اذا نحـن متنـا ضمّنا كفنـان

وانّي لا هوى الحشر اذ قيل انني

وعفـراء يـوم الحشـر ملتقيان

وياليت انا الدّهر في غيـر ريبـة

بعيـران نرعى القفـر مؤتلفـان

يطـرّدنا الرعيـان عـن كل منهـل

يقولون بكـرا عـرّة جربـان

وهل ابشع من ان يتمنى انسان ان يكون هو ومن يحب بعيرين اجربين ينفر منهما الناس حتى يمكنهما البقاء سوية ، وهما سعيدان متحابان ، وعروة

---

(٥٦) لاث الشيء لوثا : اداره مرتين كما تدار العمامة والازار ٠ ولاث العمامة : عصبها ٠

في كل حالاته يلجأ الى الله فيصلي ويدعو لعله ينسى ، ولكن هل يستطيع ذلك ؟

اصلّي فأبكي في الصلاة لذكرها
لي الويل ممّا يكتب الملكان

وواضح من قوله هذا أثر الاسلام بالفاظه الدينية ومعانيه السامية التي تحتويها والتي تغلغلت في اعماق هذا الشاعر المسلم .

تلك هي صورة من قصص الحب الطاهر ونموذج رائع له ، لقد بلغ من سموّ ذلك الحبّ وتفانيه ان الخليفة معاوية قال بعد ان بلغه خبر موتهما : لو علمت بحال هذين الشريفين لجمعت بينهما (٥٧) .

والملاحظ في قصص الحب العفيف اهتمام المحب بامرأة واحدة وثباته على حبها ووفاؤه واخلاصه لها الى النهاية ، هذا فضلا عن ابتعاده عن تصوير المفاتن الجسدية لها وتجسيد المعاني الانسانية الرائعة في الحب، كالوفاء والعفة والحب الصادق البعيد عن الاغراض الدنيوية الزائلة باعتبار ان العلاقة الروحية العاطفية هي الدائمة ، وعروة بن حزام من امراء العشق المبرزين في صدر الاسلام الذين اتّسمت عواطفهم بالعفة في القول والفعل .

ولا جديد في قصص الحب تلك ، الا ذلك المزج بين هذين المعنيين وهما السمو والعفة في الحب مع شدة الايمان بالله والاستعانة به لتخفيف تلك المحنة ، وقد وجدنا أثر ذلك في استعانته بالله وصلاته وتنميه الموت من اجل اللقاء الاكبر يوم الحشر والحساب ، وهي كلها من آثار الدين الاسلامي في نفس الشاعر ، هذا مع ملاحظة الوحدة الموضوعية في قصائد الحب العفيف تلك ، واقتصار الشاعر على حكاية حبه ومعاناته في سبيله دون ذكر اي غرض آخر معه ..

---

(٥٧) الشعر والشعراء ٢/٦٢٧ .

اما قصص الحب التقليدية فاغلبها يأتي ضمن غيره من الاغراض ، ولا تخرج كما قلنا عن قصص مقدمات طللية او قصص حب وذكريـــات لشباب مضى ، وهي ايضا من الاغراض الجاهلية المعروفة كما في المعلقات التي استمرت بعد الاسلام (٥٨) .

٣ ـ القصص الماجنة :

اما القصص الغرامية الماجنة التي كان امرؤ القيس رائدها في عصر ماقبل الاسلام(٥٩) . فقد كانت تعتمد الغزل المكشوف بمفاتن المرأة وتقص حكايات اللهو والمتعة معها ، فان ابرز الشواهد عليها نقرأها في شعر سحيم ، ومنـــه قصيدته اليائية التي بدأها بقوله :

عميرة ودّع ان تجهــزّت غاديا　　　كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

ورغم يقينه بأن الاسلام ينهي عن الفواحش وذكر النساء بما يخدش الحياء،اذّ انه لا يتوانى في بقية القصيدة عن التغزل الماجن بمفاتن تلك المرأة،ثم

(٥٨) من قصص المقدمات للنابغة الذبياني ، ديوانه ص٢٣٣ .
عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار　　　ماذا تحيون من نؤى واحجار
ولزهير بن ابي سلمى (ديوانه ص٤) :
امن ام اوفى دمنـــة لم تكــلم　　　بحومـــانة الـــدراج فالمتثلم
وديوانه ايضا : ص٥٦ ، ١٤٥ ، معلقة لبيد (الجمهرة ، ص١٢٦) .
عفت الديار محلهـــا فمقامهـــا　　　بمنى تأبّد غولها فرجامهـــا
ومعلقة طرفة بن العبد (الجمهرة ، ص١٤٩) ، ومعلقة عنترة (الجمهرة ص١٦١) ومن قصص الحب التقليدية في مقدمة القصائد بعد الاسلام (للنابغة الجعدي ، ديوانه ص١٤٨ ، ولابي ذؤيب الهذلي (شرح اشعار الهذليين ٢٠٥/١ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ١٤٠ وللشـماخ بـن ضـرار الغطفاني (ديوانه : ص٧٢ ـ ٧٣) ولابي صخر الهذلي (شرح أشـــعار الهذليين ٩٣٤/٢ ، ٦٣٦/٣) .
(٥٩) ديوان امرىء القيس ص١٠ ، ٢٩ ، ومن قصص المجون لجـران العـود النميري :
ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف　　　وراجعك الشوق الذي كنت تعرف
(القصائد المفردات التي لامثل لها ـ لابي الفضل احمد بن ابي طاهـر طيفور ص٤٢) .

ينتقل بعد ذلك الى حكاية مغامرته الغرامية الماجنة ، وسنختار منها ما يمكننا ذكره في هذا المجال(٦٠) قال يصف جمالها (٦١) :

ليـالي تصـطاد القلـــوب بفـــاحم
تـــراه اثيثا ناعـم النـبـت عافيـــا
وجيد كجيـد الريـم ليس بعاطـــل
من الدّر والياقوت والشـذر حاليا
كأنّ الثّريا علّقت فـوق نحرهـــا
وجمر غضى هبّت له الريـــح ذاكيا
تريـك غـــداة البين كفّـا ومعصما
ووجهـــا كدينـار الاعزّة صافيـــا

ولا يكتفي بتلك الاوصاف لجمالها ، وانما يصف عزتها ومنعتها فيجعلها كبيضة النعام التي يرعاها الظليم ويحميها من الاذى والشمس بجناحيه ، ورغم ذلك برزت له عندما شاهدته يعدّ العدة للرحيل مع الركب المسافرين وطلبت منه البقاء ليالي اخرى ثم وعدته الوصل والوداد الدائمين ان بقي :

فما بيضـة بـات الظّليم يحفّهـــا
ويرفع عنهـــا جـؤجـــؤا متجافيـا
ويجعلهـــا بـين الجنـــاح ودفّــــه
ويفرشـها وحفـا من الزّف وافيـا
فيرفع عنهـــا وهـــي بيضاء طلّة
وقد واجهت قرنا من الشمس ضاحيا
باحسن منها يـــوم قالت أراحـــل
مع الركـب ام ثاو لدينـــا لياليـــا

(٦٠) ديوان سحيم ، ص١٦ وما بعدها .
(٦١) ديوانه ، ص١٨ .

فان تشـو لا تملل وان تضـح غاديا

تزوّد وترجـع عن عميرة راضـيا

ومن يك لا يبقى على النـأي ودهّ

فقـد زوّدت زادا عميـرة باقيـا

وبعد هذه المقدمة التي مهد فيها السبيل ويسرها لحكايته الغراميـة الماجنة قال لقد اجبتها الى طلبها وبقيت ليالي اخرى فاسـعدها ذلك واقبلت تتهادى وشبّهها في ذلك بالسيل فى ارض سهلة فهو اسرع لمسيره كناية عن لهفتها وسرعتها في الوصول اليه :

الكنـي اليهـا عمـرك الله يـا فتـى

بآية ما جـاءت الينا تهـاديا (٦٢)

تهـادي سـيـل فـي ابـاطـح سـهلة

اذا ما عـلا صمدا تفرّع واديا(٦٣)

ويستمر ذاكرا تفاصيل مغامراته ثم يقول في النهاية محييا الوادي الذي جمعهما سوية وكذلك منطقتي (الدير والجوّ) اللتين ما زالت فيهما آثـار ذكريات لقائهما الرائعة باقية حتى بعد انقضاء حول عليها :

الا ايها الوادي الـذي ضـمّ سيله

الينـا نوى الحسناء حييّت واديـا

(٦٢) الكني : اي ابلغها عني رسالة ، وهي الالوك . آلاية : العلامة : التهادي : التمايل في المشي .

(٦٣) الصمد : الصلب من الارض . الاباطح : جمع ابطح وهو الارض السهلة بين الجبلين . وقال ابن الاعرابي : الصمد : مكان مرتفع من الارض لا يبلغ أن يكون جبلا .
وتفرع : علا .

فياليتني والعامرية نلتقي

نرود لأهلينا الرياض الخواليا(٦٤)

وما برحت بالدير منّا اثارة

وبالجوّ حتى دمّنته لياليا(٦٥)

ورغم تلك الذكريات الجميلة لمغامرته الماجنة التي ادّعى وتخيّل وقوعها ليسيء الى قوم تلك المرأة التي لم تكن لها معه اية علاقة كما سنرى في ديوانه(٦٦) ، الا انه تمادى في ذلك وادّعى انّه هددها بالفراق وقطع الوصل اذا لم تقبل بمودته كأنّ ذلك المجون هو برغبتها اولاً واخيرا :

فان تقبلي بالود اقبل بمثله

وانْ تدبري اذهب الى حال باليا

الم تعلمي انّي صروم مواصل

اذا لم يكن شيء لشيء مواتيا

وبهذا استحق القتل الذي حكم له به الخليفة عمر (رض)(٦٧) •

اما مغامرته الثانية التي تخيّلها ايضا لينال من شرف وكرامة قوم النساء

---

(٦٤) الرائد : الذي يتقدم القوم ليتخير لهم المنزل •

(٦٥) الدير : لعله يقصد اسم مكان او دير العبادة • الجـوّ : السهل • الاثارة : البقية والعلامة • الدمنة : ما تلبّد من الابوال والابعار ، وجمعها دمن •

(٦٦) سيرد ذكر هذا عند تفصيل الموضوع والقصيدة •

(٦٧) الشعر والشعراء ٤٠٨/١ ، يقول ابن قتيبة (ان عمر بن الخطاب (رض) سمعه ينشد بعض ابياته الماجنة الفاحشة فقال له : انك مقتول ، فسقوه الخمر ثم عرضوا عليه نسوة ، فلما مرّت به التي كان يتّهم بها اهوى اليها فقتلوه) ، علما بان هذا العبد كان قد اشتراه عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي للخليفة عثمان (رض) فرفض اخذه قائلا : (لا حاجة بنا اليه فاردده فانما حظ اهل العبد الشاعر منه اذا شبع ان يشبب بنسائهم واذا جاع ان يهجوهم) •

اللواتي ذكرهن ٠ فيقول فيها : لقد اجتمعت ثماني نساء من اقصى الخيام بكل شبابهن وأقبلن الي انا العبد الاسود يواعدنني ويتلهفن الى لقائي فاثرن جراح قلبي وشوقي الذي اسعرنه بجمالهن وفتنتهن ، ولهذا اتمنى لهن حرقة القلب والكبد ذاتها التي اصبنني بها لانني غافل ولا اعلم ما يفعلن او يدبّرن ، كما اتمنّى موتهن بالسّم لما يسببنه لي من مرارة واذى :

الا نـاد فـي آثارهـنّ الغوانيـــا
سقين سماما ما لهـنّ وماليـــا(٦٨)
تجمّعن من شتّى ثـــلاث واربـــع
وواحـــدة حتى كملـــن ثمـانيـــا
وأقبلن من اقصى الخيـــام يعدنـنـي
نواهد لم يعرفن خلقـــا ســوائيا
يعـــدن مريضـا هـنّ هيّجن داءه
الا انّمــا بعض العوائـد دائيـــا
وراهنّ ربّي مثل ما قــد ورينني
واحمى على اكبادهنّ المكاويـا(٦٩)

ولكننا نحس من خلال قصته تلك التي لا يربط بين احداثها ، وانما يذكر متعمدا صورا منقطعة عن بعضها منها ، اقول نحسّ براءة اولئك النسوة مما نسبه اليهن بدليل قوله :

تبصّر خليلي هـل ترى من ظعـــائن
تحمّلن من جنبي شروري غواديا(٧٠)

---

(٦٨) الغواني : النساء الجميلات ٠ السّمام : جمع سم ٠
(٦٩) الورى : داء يلصق بالرئة فيقتل صاحبه ، وكل امر يحوي منه الجوف فقد وراه اذا اقرحه ، فدعا عليهنّ بذلك ٠
(٧٠) شروري : من بني اسد ، وفي معجم البلدان : وهو جبل مطل على تبوك في شرقيها ٠

تأطرنّ حتى قلــت لسن بوارحــا
ولا لاحقات الحيّ الاّ سواريا(٧١)
اخذن على المقراة او عن يمينهــا
اذا قلت قد ورّعن انزلن حاديا(٧٢)
اشارت بمدراهـا وقالـت لتربهـا
اعبد بني الحسحاس يزجي القوافيا؟ (٧٣)

رأت قتبـا رثّـا وسـحق عبـاءة
واسـود ممـا يملك النّاس عاريا

يرجّــلن اقواما ويتركــن لمّتــي
وذاك هوان ظاهر قـد بـدا ليا(٧٤)

وهذا يوضّح ان اولئك النسوة لا هيات عنه بأنفسهن وبمن معهنّ كما انهنّ متهيئات للرحيل ، ونفهم من حديثهن انّهن فوجئن به امامهنّ وليس في ذلك بأس فهو كغيره من الرجال ولكنه يقول شعرا يدّعي فيه اشياء لم تحصل منهنّ ولهذا اصبن بالدهشة والرعب ، فقالت احداهن وهي تمشط شعرها مشيرة اليه بدهشة : اعبد بني الحسحاس يزجي القوافيا)؟ .

ثم حاول ايهام لآخرين بانّ مظهره المهلهل ولونه الاسود هو السبب في ذلك النفور الذي ابدينه وليس عفتهن وكرامتهن ، ولهذا قال وهـو مغيـظ ونـاقـم :

---

(٧١) تأطرن : تلبثن . والسرى : سير الليل .
(٧٢) المقراة : موضع . ويقال : ورّعت فلانا : كففته ، وورّعت الابل عن الماء : رددتها .
(٧٣) المدرى : الذي تدرى به شعرها (وهو المشط) .
(٧٤) يرّجلن : يمشطن ، من المرجل وهو (بكسر الجيم) وهو المشط .

فلـو كنـــت ورداً لونـــه لعشقنني
ولكـــــنّ ربّــي شــانني بسواديا
فما ضـرّني ان كانت أمّي وليـدة
تصـرّ وتبرى باللّقاح التّواديا(٧٥)

ليوهم الآخرين ايضا بان بساطة عيشته وفقره جعلهنّ يهربن من حبه .. وكان ردّه على ذلك الاهمال والتجاهل قاسياً وظالما حيث لفّق مغامرة غرامية ماجنة بينه وبينهنّ فقال انهنّ جئن اليه ليلا في غفلة من اهلهنّ وقضين معه ساعات جميلة الى ان اشرقت الشمس فذهبن رغما عنهنّ لان داعـي الحـي طلبهـــنّ :

تعاورن مسواكي وابقـين مذهبـــا
من الصّوغ في صغرى بنان شماليا(٧٦)
وقلـن الا يا العبـن ما لــم يردّنا
نعاس فانّــا قـد اطلنـا التنائيـــا
وما رمـــن حتى ارسل الحيّ داعيا
وحتى بدا الصّبح الذي كان تاليا(٧٧)
وحتى استبان الفجر اشقر ســاطعا
كأنّ على اعـلاه سبّا يمانيـــا (٧٨)

وحتى في عودتهن فجرا جعلهنّ فاجرات مذنبات وهو يسخر منهنّ :

---

(٧٥) الصرّار : خرقة تشد على اطباء الناقة لئلا يرضعها فصيلها . والتوادى : عيدان تبرى وتشد على اخلاف الناقة لئلا ترضع . واللقاح من الابل : ذوات الالبان .
(٧٦) ذهبن بمسواكي وابدلن به خاتما .
(٧٧) يعني تاليا للصبح .
(٧٨) وتروى ريطا ، بردا بدل سيبا ويظهر انهما بمعنى واحـد . والريط : الثياب البيض .

فأدبرن يخفضن الشّخوص كأنمـــا

قتلن قتيـــلا او اصبن الدواهيـا

واصبحن صرعى في البيوت كأنمـا

شربن مداما ما يجبن المنـــاديا(٧٩)

اما هو فقد اطمأن باله وهدأت نفسه بعد ان فضـــح اولئـك القـــوم ونساءهم ، ولهذا قال :

فعـزّيت نفسـي واجتنبت غوايتـي

وقرّبت حرجوج العشيّة ناجيا(٨٠)

وواضح انّ هذا الرجل كان اسير عقدتين هما سواده وعبوديته ولهذا صبّ جام غضبه ونقمته على اولئك القوم واهدر كرامتهم بفضح نســـائهم ولهذا يمكننا عدّ مغامرته تلك هجائية في دوافعها ماجنة في اسلوبها واحداثها وحتى غزله تسيطر عليه روح الهجاء والحقد ليس الاعجـــاب والمتعة(٨١) • والفرق واضح بين عاطفة عروة بن حزام ومعاناته ومكابدته الصادقتين ، فضلا عن عفته وطهارة قلبه قولا وفعلا وقد رأينا غدر عمه به وتعذيبه له ومع ذلك

---

(٧٩) أي كانهن سكارى للعبهنّ • والمدام : الخمر •

(٨٠) الحرجوج : الطويلة من النوق • الناجي السريع •• ديـوان سـحيم ص٢٤ ـ ٢٨) •

(٨١) لقد اطلق الدكتور طه حسين تعبير الغزل الهجائي على قصائد عبيدالله ابن قيس الرقيات الغزلية والتي كان يتغزل فيها ببنات الخلفاء ونسائهم ويذكرهن بما يحسن وبما لا يحسن ليعبث بخصومه السياسيين ويثير غيظّهم فكان يخاصم الرجال دون النساء ويتخذ النساء وسيلة الى حرب الرجال ولهذا عدّه غزلا سياسيا ومن الاغراض الجديدة في هذا العصر ، حديث الاربعاء ١/ ٢٥٠ وما بعدها ، وانظر ايضا : الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ـ النعمان القاضي ص٦٩٨) • وارى ان غزل سحيم البعيد عن الحب والصدق اقرب الى الهجاء ولكن في صورته القبلية المحـــددة ويمكننا اعتباره بداية بسيطة للغزل السياسي العام الذي ذكره القاضي اعلاه •

لم ينتقم ولم يحقد ، وكان حتى في ثورته وغضبه مؤمنا بالله مستعينا بـه ، وهذا يؤكد ما قلناه من أنّ مجون سحيم وامثاله يعود الى ضعف ايمانهـم بالدين الاسلامي ، بينما كان عمق ايمان عروة دافعا الى نزاهة قلبـه وشرف لسانه .

اما القصائد الثانوية في الغزل فهي التي تدخل ضمن قصائد الحـب التقليدية وتأتي امّا للتشبيه(٨٢) أو ضرب المثل أو باستعمال اسلوب القصـة الخيالية وذلك لتأكيد عمق العاطفة وصدقها في نفس صاحبها وفي ذلك نقرأ قصيدة للشاعر حميد بن ثور ، ويبدأها بخطاب الى صديقين له يثق بهما ويطمئن الى امانتهما وصدقهما وهو اسلوب عروة بن حزام نفسه في عرض قصة حبه التي مرّت بنا انه يشكو اليهما مصيبة قلبه ويحملهما سرّ حبه أمانة يطلب منهما صونها وعدم فضحها واعلانها لان ذلك يعني خيانة للوفاء والصداقة وفيه معصية واثم كبيرين .

خليـي انّي مشـتك ما أصابني
لتستيقنا ما قـد لقيـت وتعلمـا

(٨٢) مرت بنا قصة من قصص التشبيه لهذا الشاعر في ديـوانه ص٢٤ وهي من قصص الحيوان (وكانت قصة الحمامة الأم التي اكل ولدها الصقر فبكته بلوعة وقد اثار بكاؤها شوق هذا الشاعر العاشق :
وما هـاج هـذا الشوق الاّ حمامة   دعت ساق حرّ ترحة وترنّما
وكلتا القصتين في قصيدة واحدة . ومن قصص التشبيه ما هو استطرادي مثل قصة العسل والخمرة حيث يشبه الشاعر ريق الحبيبة بها ثـم يبدأ برواية قصتها مذ كانت عنبا ثم نبيذا ثم وضعت في الدن ثم ارسلت الى السوق ثم اشتراها واغلى سعرها .. الخ ، او يشبهه بالعسل ثم يبدأ برواية قصة اعداده واحضاره من خلية النحل وما يلاقي مشتريه او من يجمعه من صعوبات ومخاطر سواء في صعود الجبل اليه او في تحمل لسعات النحل وأذاها الى ان يتم له ما يريد .
ونجـد مثـل هذه القصص في شعر الهذليين خاصة في شعر أبي ذؤيب الهذلي (شرح اشعار الهذليين ٤٢/١ ، ١١٥/١ ، ١٤٢/١) .

أملّيكما انّ الامانة من يخن
بها يحتمل يوما من الله مأثما

فلا تفشيا سرّي ولا تخذلا أخا
أبثكما منه الحديث المكتّما

ترى ما هو سرّه ، وما حاجته التي يطلب منهما قضاءها وكتمانها :

لتتخذا لي بارك الله فيكما
الى آل ليلى العامرية سلّما

وقولا اذا جاوزتما آل عامر
وجاوزتما الحيّين : نهدا وخثعما(٨٣)

نزيعان من جرم بن ربّان انّهم
أبو أن يميروا في الهزاهز محجما (٨٤)

هما اذن رسولاه الى الحبيبة ولكن بصورة خفيّة لا يكتشفها أحد ، فهما سيدخلان الحي متنكرين ويدعيان أنهما غريبان من قبيلة جرم التي يأمنها الجميع ولا ثأر لها عند احد فتخشى عواقبه وستحملهما النوق الى هناك مع قوسهما وسهامهما وزادا خفيفا للطريق وقد حذرهما من كشف حقيقتهما ، او قتل احد فيحملا دمه وديته وتفشل مهمتهما . وفي الليل يخفيان نسبيهما ويتلثمان حتى يبقى امرهما سرّا خافيا .

وسيرا على نضوين مكتنفيهما
ولا تحملا الاّ زنادا وأسهما

(٨٣ و ٨٤) يأمر خليليه ان ينتسبا الى جرم ، لان العرب تأمنها ولا تخافها وليس عندهم ترة لها ، فلا تطالبهم بذحل . وهذا من اخبث الهجاء لجرم .
والهزاهز : يريد بها الفتن والخطوب والحروب .
محجما : بقدر المحجم من الدم .

وزادا غريضـــا خفّقـاه عليكمـــا
ولا تفشيا سراً ولا تحمـــلا دمـــا
وان كـــان ليـــلا فالويـا نسبيكما
وان خفتما أن تعرفـا فتلثمـــا(٨٥)

وزيادة في التخفي ، طلب منهما أن يدعيا أنهما تاجران تأخرت بضاعتهما التي تركاها في منطقة تثليث قرب مكة فاذا ما وصلت فانهما سوف يساعدان بها كل من يجدانه في حاجة الى المعاونة ، كما طلـــب منهما ان يستمرا فـــي المساومة والحديث دون أن يبرما عقدا للبيع يضطرهما الى الالتزام بتنفيذه :

وقولا خرجنا تاجـــرين فأبطـــأت
ركاب تركنـاها بتثليث قـــيّما(٨٦)
ولو قد أتانـــا بـزّنـا ورقيقنـــا
تموّل منكم من أتينـــاه معدما(٨٧)
فما منكـــم الاّ رأينـــاه دانيـــا
الينـــا بحمد الله فـــي العين مسلما
ومدّا لهـم في السّوم حتى تمكّنا
ولا تستلجّا صفق بيـــع فتلزما(٨٨)

واخيرا ، وبعد أن يستقرّ بكما المكان ويطمئن بالكما اذهبا الى الحبيبة وصفا لها حالي وما أعانيه من لوعة الوجد والفراق وأوضحا لها كيف تحايلتما وتخفيتما للوصول اليها وتكبدتما كل هذه الصعاب لانكما وجدتماني على وشك الهلاك من شدة الحب :

---

(٨٥) الويا نسبيكما : اكتماه ٠
(٨٦) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة ٠ الركاب : الابل ٠ قيّما : مقيمة ٠
(٨٧) الرقيق : العبيد ٠ البز في الاصل : الثياب ، والمراد هنا : بضاعتنا ٠
(٨٨) فتلزما : اي لا يلزموكم فيعوقوكم عن حاجتكم ٠

فـــان انتمـــا اطمأننـــتما وأمنتـــما
وأجلبتما مـــا شـــئتما فتكلّمـــــا

وقولا لها مـــا تأمـــرين بصاحـــب
لنا قد تركت القـــلب منـــه متيّما

أبيني لنـــا انـــّا رحلنـــــا مطينـّا
اليك ومـــا نرجـــوه الاّ تلوّما(٨٩)

ترى هل تحقق ما أمّله منهما وهل وفيا بعهدهما له ونجحا في مهمتهما أم رجعا خائبين ، بعد أن كلفاه الكثير من المال والجهد والفكر !؟ :

فجـاءا ولمـّـا يقضيـــا لـــي حاجـة
اليّ ولمـّـا يبرما الامــر مبــرما(٩٠)

فما لهما مـــــن مرسلين لحـــاجة
أسافا من المـــال التــلاد وأعدما(٩١)

لقد رجعا اذن بالفشل واليأس وخيبة الامل بعد أن اهلكا المـــال دون فائدة ونسيا هيامه ولوعة فؤاده اللتين ستقضيان عليه ، لقد دفعـــه اليأس الى التماس اللقاء بعد الموت متسائلا هل ستلتقي اصداؤنا حينذاك في العالـم الثــاني :

ألم تعلما أني مصـــاب فتـذكـــرا
بلائي اذا ما جرف قـــوم تهدّمـــا

ألا هل صدى أمّ الوليد مـــكلّم
صداي اذا مـــا كنـــت رمسا واعظمـا

---

(٨٩) اي تركناه ، وما نرجوه ان يعيش الا حينا يسيرا .
(٩٠) لم يبرما الامر : لم يحكماه .
(٩١) اصاب ابلهما السواف : الموت . اي ما شأنهما هلك مالهما .

ونلاحظ أنّ الخطاب هو الاسلوب الذي عرض به الشاعر قصته • أما ابطالها فهم الشاعر نفسه وصاحباه ، واخيرا الحبيبة التي شغلته بهذه القصيدة الطويلة(٩٢) ، روى خلالها قصة رحيلها (٩٣) ثم احدى قصص الحيوان(٩٤) في سبيل التشبيه والاستطراد واخيرا بعد يأسه من اللقاء لجأ الى تدبير تلك الحيلة بمساعدة هذين الصديقين وبذل لهما المال ، ولكنهما فشلا في النهاية وخاب امله(٩٥) •

ان قصة الحب هذه عمل فني قصصي متكامل رغم عفويته تطالعنا فيه أبرز عناصر القصة وأهمها كالحدث الذي يتطور مع معاناة الشاعر ثم العقدة التي يضعها كما يضع الحلول لها وفيها الاشخاص الذين تصنعهم مخيلته ، ودور كل واحد منهم في احداثها ، هذا فضلا عن عنصري الزمان والمكان اللذين يحيطان بتلك القصة ويوجهان احداثها ، ولهذا ايضا عدّها الاستاذ شكري فيصل (اروع ما جاء عند حميد في هذا الثوب القصصي ، فهي في رأيه ، عمل فني موفق وتؤكد الروح الفنية المتمكنة عنده)،ويرى انها بصورتها هذه تعدّ تطورا في فن الغزل فى صدر الاسلام ، ثم يتساءل قائلا : (ألا يحمل هذا الغزل اثر الحياة الجديدة في اختفاء الشاعر وراء الرسول وتخفيهما وفي حذرهما واحتياطهما ؟) (٩٦) •

ويضيف بعد ذلك فيما يشبه الاجابة : (هذا الاتجاه الى القصص عند حميد في العصر الاسلامي ينبيء عن معنى واضح كبير من معاني تطوّر الغزل في هذه الحقبة من حياة الشعر العربي ، ذلك ان القصة وهي اثمن ما في شعر

---

(٩٢) عدد أبياتها ١١٩ بيت •
(٩٣) قصة الرحيل (وصف الركب ، الابل ، النساء ، الحبيبة ص٨ـ٢٣) •
(٩٤) قصة الحيوان ، ص٢٤ •
(٩٥) قصة التاجرين المتنكرين ، ص٢٨ ـ ٣٠ •
(٩٦) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ـ شكري فيصل ص ٢١١ وما بعدها •

عمر بن أبي ربيعة في العصر الاموي بعد ذلك لم تكن أثر عمر وحده ولا أثر ابتداع عمر ، وانما نلمح هنا ، في الشعر الغزلي ، ثمارا طيبة منها)(٩٧) ، وبعد ذلك يقول ان القصة وجدت منذ عصر ما قبل الاسلام في شعر امرىء القيس وطرفة(٩٨) ، ويضيف (غير ان القصة عند هذين الشاعرين الجاهليين والقصة عند حميد نسيج مختلف ، وأبرز ما يبدو من خلاف انها حكاية واقعة عند امرىء القيس وطرفة ، وانها تخيل وتمثل عند حميد ـ وأنها كانت (غرضا) واضحا مباشرا أراد الشاعر أن يطرقه ، وانها هنا (اسلوب) غير مباشر احتمى وراءه الشاعر ـ وانها هناك جزء اصيل من الحديث ، وانها هنا جزء أصيل من تطويل الحديث وتشقيقه(٩٩) .

ومن قصص التشبيه ، وضرب المثل الخيالية الجميلة تطالعنا قصص تتشابه في اطارها العام وتختلف في النتائج والاساليب وكلها يعتمد الحب الصادق والفراق واللوعة الدامية اساسا ينطلق منه في رواية قصته ، وتدور في الغالب حول امرأة تزوجت بعد أن فاتها سن الزواج ويئست منه ، ثم يشاء الله أن تحمل ، وتضع في النهاية طفلا ذكرا يصبح قرة عين لها ولعشيرته اذ يكون فارسها في مستقبل حياته والمدافع عنها ، وتشاء الظروف أن يكون قائداً لمعركة يدافع بها عن قومه ضد عدوان قائم ، وتختلف تلك القصص في رسم نهاية

---

(٩٧) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ، ص٢١٤ .

(٩٨) في معلقته التي يقص فيها مغامرته الغرامية في دارة جلجل ، ديوانه ص١٠ـ١٨ .

(٩٩) وفي ديوان طرفة بن العبد ص١٢٦ حينما عقد المشابهة بين حبه لسلمى وحب المرقش لاسماء ، فقص قصته وقصة المرقش معا . (تطور الغزل ص٢١٤) .

وقد ذهبت سلمى بعقلك كله	فهل غير صيد احرزته حبائله
كما احرزت اسماء قلب مرقش	بحب كلمع البرق لاحت مخايله
فوجدي بسلمى مثل وجد مرقش	باسماء اذ لا يستفيق عواذله
قضى نحبه وجدا عليها مرقش	وعلقت من سلمى خيالا أماطله

البطل اذ يطعنه فارس آخر ويتوهم قومه موته(١٠٠) في بعضها ، أو يموت حقيقة فتبكيه أمه بلوعة دامية في البعض الآخر ، والشاعر في كلا الحالين يشبه حاله بحال تلك الام ووجده لفراق الحبيبة بوجدها لفراق ولدها أو أشدّ منه وأوجع ، وكذلك فرحته بلقاء حبيبته بفرحتها بعودته سالما .

وقد اخترنا لتمثيل تلك القصص اجملها وابرزها في نظرنا وهي قصة لحميد بن ثور ايضا ، ويبدأها بالقسم الموّثق بالله بانه لن ينسى حبيبته جملا ، ولن يتراجع عن حبها لو أعطيت له الدنيا أو ما يعادلها ، بل لن يتغير حبه لها حتى لو كانت لغيره وذلك لانها تستحق حبه وتقديره ، لانها مخلصة وفيه تكره الخيانة والغدر :

حلفت بربّ الرّاقصات الى منى
رميقا وربّ الواقفين على الجبل(١٠١)
لو أنّ لي الدّنيا وما عدلت به
وجمل لغيري ما اردت سوى جمل(١٠٢)
أتهجر جملا ام تلمّ على جمل
وحمل عيوق الرّيق جاذبه الوصل(١٠٣)

ويلجأ الشاعر الى الخيال يستعين به ليرسم قصة تؤكد حبه ولوعته يضمنها حكاية تلك الأم مذ كانت فتاة يائسة من الزواج الى ان أصبحت أما

---

(١٠٠) منها قصة حميد بن ثور ص١٢٣ ، وقصة لابي ذؤيب الهذلي التي يموت الفارس فيها وهو وحيد امه ايضا (شرح اشعار الهذليين ١٨٣/١) ، وقصة ابي صخر الهذلي ايضا يموت فيها الفارس وتثكله امه وتفجع به ، شرح اشعار الهذليين ٩٥٩/٢ .

(١٠١) الراقصات : الابل تخب في سيرها .

(١٠٢) عدلت به : سويت به . يقول : لو اعطيت الدنيا وما سويت به فلا تقع عندي موقع جمل ، فجمل عندي كل شيء ، فلا اريد سواها .

(١٠٣) الريق : الباطل . يقول : هي شديدة الكره للباطل .

سعيدة بولدها تحبه الى درجة لا توصف ، ويربط بين حكايته وحكايتها باسلوب المشابهة فيقول :

فوجدي بجمل وجد شمطاء عالجت
من العيش ازمانا على مرر القلّ(١٠٤)
فعاشت معافاة بأنزح عيشة
ترى حسنا ان لا تموت من الهزل(١٠٥)

لقد كانت فتاة كبيرة السن شاب شعرها ، تعاني من ضيق العيش والوحدة واستمرت على ذلك زمنا طويلا تغالب الوحدة والفقر والخوف من الموت جوعا ، ولكن ارادة الله شاءت لها الزواج ثم الحصول على ولد كما اسلفنا :

قضى ربّها بعلا لها فتزّوجت
حليلا وما كانت تؤمّل من بعل
وعدّت شهور الحمل حتى اذا انقضت
وجاءت بخرق لا دنيء ولا وغل(١٠٦)
فهفّ اليها الخلّ واجتمعت لها
عيون العفاة الطامحين الى الفضل(١٠٧)

وكبر ابنها وأصبح فارسا بطلا كريما ، وذات يوم اقبل رجل غريب على ظهر ناقة سريعة يحمل اليهم نبأ الحرب وينبههم الى الاستعداد لها بالفين من اشداء الرجال الابطال . وبهت القوم وفكرّوا مليا ثم قرروا التهيؤ لرد ذلك

---

(١٠٤) القلّ : ضد الكثر . ومرر القل : كناية عن ضيق العيش .
(١٠٥) بانزح عيشة : باضيق عيشة ، فهي تكتفي من العيش بما يدفع عنها الهزال .
(١٠٦) الخرق من الفتيان : الظريف في سماحة ونجدة . الدنيء : الخسيس الدون الذي لا خير فيه . الوغل : الضعيف الساقط المقصّر في الاشياء .
(١٠٧) العفاة : طلاب المعروف .

العدوان واتفقوا جميعا على تسليم مقاليد الامور لذلك الفتى البطل ليقودهم في تلك المعركة فوافق على اختيارهم ولكنه طلب منهم ان يتعاونوا معه ولا يخذلوه :

اذا راكب تهوى به شمرّيّة
غريب سواهم من أناس ومن شكل(١٠٨)
فقال لهم كيدوا بألفي مقنّع
عظام طوال لا ضعاف ولا عزل(١٠٩)
فشكّوا طبيقا أصلهم ثمّ أسلموا
بكفّ ابنها أمر الجماعة والفعل(١١٠)
وقال لهم حمّلتموني أمركم
فلا تتركوني لاشتراك ولا خذل(١١١)

وبدأت الاستعدادات لتلك الحرب فارتدى القائد بزّتها وحمل لواء قومه ومهمة قيادتهم بشجاعة وحزم ثم اعتلى ظهر حصانه وانطلق معهم والتقى الجمعان وكان قتالا داميا رهيبا توالت فيه طعنات الموت ثم دارت الدائرة اخيرا على قومه وبدت لهم في الافق علامات الهزيمة والفشل ، رغم ما ابدوه من شجاعة وحماسة ، فاضطربوا وجمدت عيونهم من الفزع ثم قرروا الفرار من ساحة القتال فلووا أعنة خيولهم طلبا للنجاة . أما هو فقد بقي في ساحة

(١٠٨) شمرية : سريعة . يقول : هذا الراكب غريب عنهم فهو ليس من ناسهم ولا من شكلهم .

(١٠٩) كيدوا : من الكيد وهو الاحتيال ومعالجة الامر . والمقنع : المتغطي بالسلاح ، (عليه بيضة الحديد) . العزل جمع اعزل ، وهو الذي لاسلاح معه .

(١١٠) طبيقا : مليّا يريد : فكروا مليا في امرهم .

(١١١) الاشتراك هنا : اضطراب الرأي والتباسه . والخذل : القعود عن النصرة . يريد : لا تتركوني لذلك الاضطراب والخذلان .

المعركة رغم فرارهم وهزيمتهم ليدافع عن محارمهم واحسابهم مؤكـــدا لهـم ثباته وصموده حتى النهاية :

فلما اكتنى في بزّة الحرب واستوى
على ظهر شيحان القرا نبل عبل(١١٢)
وساروا فأعطوه اللّـواء وجرّبـوا
شمائل ميمون نقيبتــه مثــلي(١١٣)
فسار بهم حتى لــوى مرجحــنّة
تضيق بها الصحراء صادقة الفتل(١١٤)
فلمّا التقــى الصّفان كـان تطارد
وطعن به أفــواه معطوفة نجـل(١١٥)
نهارا طويلا ثـمّ دارت هزيمــــة
بأصحابه من غير ضعف ولا خذل(١١٦)
فقال لهم والخيــل مدبرة بهــم
وأعينهم ممّا يخافون كالقبـل(١١٧)

---

(١١٢) اكتنى : استتر . البزّة : الثياب والسلاح . الشيحان : الطويل ، يريد فرسا طويل الظهر . القرا : الظهر . والنبل هنا : النبيل الجسم . العبل: الضخـم .

(١١٣) النقيبة : النفس والعقل والمشورة..الخ . ميمون النقيبة : مباركالنفس مظفر بما يحاول .

(١١٤) المرجحنّة : الناقة السمينة ، أي لوى زمام ناقة سمينة . صادقة الفتل : مفتولة المرفق .

(١١٥) افواه معطوفة : يريد افواه طعنة معطوفة ، اي غير مستقيمة . نجل : واسعة الشق .

(١١٦) الخذل : القعود عن النصرة . يقول : لم تكن هزيمة اصحابه عن ضعف او قعود .

(١١٧)القبل : اقبال سواد العين على الانف مثل الحول ، وانما كانوا كذلك لشدة الفزع حين دارت الدائرة عليهم .

على رسلكم انّي سأحمي ذماركـم
وهـل يمنع الاحساب الاّ فتى مثلي

وفي أوج حماسته واندفاعه برز له فارس وطالب للثأر فطعنه طعنة نافذة في اضلاعه أسقطته أرضاً ، وعادت خيله بعد ذلك وهي تبكيه ، وتثني على بطولتـه :

فبيناه يحميهم ويعطـف خلفهـم
بصير بعورات الفوارس والرّجل(118)
هوى ثائـر حـرّان يعـلم أنّـه
اذا ما توارى القوم منقطع النبـل(119)
فلم يستطع من نفســه غير طعنـة
سوى في ضلوع الجوف نافذة الوغل(120)
فخـرّ وكرّت خيلـه يندبـونه
ويثنون خيرا في الاباعـد والاهل

وعادوا أخيرا الى حيهم ، وعند اقترابهم منه سمعت الام وهي في منزلها هاتفا يعلن موته وينعاه الى الجميع فصعقت لهول المصيبة ودفعها ثكلها وفجيعة أمومتها الى محاولة ذبح نفسها بموسى :

فلمّا دنوا للحـيّ أسمع هاتـف
على غفلة النسوان وهي على رحل(121)
فقامت الى موسـى لتذبـح نفسـها
وأعجلها وشـك الرزيئـة والثـكل

(118) الرّجل : جمع راجل · وهو الذي لافرس معه ·
(119) الثائر : الطالب الثأر · او هو الذي لا يبقي على شيء حتى يدرك ثأره ·
(120) الوغل : اذا ذهب وابعد · يريد طعنه ابعدت في الجوف ·
(121) الرحل : مركب للبعير ، ويحتمل ان يراد به المنزل والمأوى ، أي علمت خبره وهي في منزلها او وهي على رحلها ·

وكانت المفاجأة المذهلة عندما تناهى اليها صوت ابنها الجهوري مدويا ، وكانت سعادتها اعظم من أن توصف بعد ذلك الشقاء المميت واليأس الرهيب ، فوجدي بجمل وجد تلك الأم بابنها ولوعتي لفراقها كلوعتها وفرحي بلقائها بعد ذلك الحزن واليأس كفرحة تلك الأم اليائسة بعودة ابنها سالما :

فما برحت حتى أتاها كما بدا
وراجعها تكليم ذى حلق جزل(١٢٢)
فوجدي بجمل وجد تيك وفرحتي
بجمل كما قد ـ بابنها ـ فرحت قبلي

ومما لاشك فيه ان هذه القصة التي رسمها خيال الشاعر وعكس من خلالها أسمى صور الحب وأصدقه :

لو أن لي الدنيا وما عدلت به
وجمل لغيري ما أردت سوى جمل

تؤكد الروح القصصية المتكاملة في ذات الشاعر وهي ايضا كسابقتها تضمّ عناصرها ، ولكنها متنوعة الاساليب ففيها السرد القصصي للاحداث يتخلله الحوار المناسب ، هذا فضلا عن تصاعد الاحداث تدريجيا وتتابعها بشكل منطقي الى أن كانت العقدة في نبأ الحرب المفاجيء ، ثم يكون الحل الحاسم لها بتتابع الاحداث السريع نحو النهاية عندما تولىّ ذلك الفتى قيادة المعركة وامسك بزمام الامور الى ان طعنه احد فرسان العدو بضربة ثأر مميتة وكانت المفاجأة المذهلة عندما عاد سالما في النهاية الى امه وهي تهم بقتل نفسها

---

(١٢٢) الحلق : (بضمتين) جمع حلق ، وانما جمعها ليدل على جهارة صوته ٠
والجزل هنا : الرجل القوي الشديد ٠ يقول : ان وجدي بجمل كوجد هذه المرأة حين علمت بموت ولدها ، وان فرحتي بجمل كفرحة هذه المرأة حين اتاها ولدها وكلمها بصوته الجهوري الذي تعهده ٠
ديوان حميد بن ثور ص١٢٣ ـ ١٢٦ ٠

ويمكننا بعد ذلك جعل تلك القصة في مشهدين ، الاول يبدأ بقصة المرأة التي تزوجت وانجبت بعد يأسها من ذلك الى أن رزقت بولدها الذي أصبح حديث الناس يقصدونه طلبا لمعروفه واحسانه :

فهف اليها الخل واجتمعت لها   عيون العفاة الطامحين الى الفضل

والثاني عند وصول نبأ الحرب والعدوان الى نهاية القصة .

وقصص الحب التي مرت بنا بنوعيها الرئيسي والثانوي تسود القصائد فيها روح السلاسة والوضوح ، وهو أمر طبيعي لان حديث العاطفة يقتضي البساطة والوضوح لانه أصدق الحديث واجمله وسرعة استجابة الآخرين له تدل على وضوحه وبعده عن التعقيد اللفظي والمعنوي ، بينما رأينا في قصص الحيوان والقصص الحربية ، وكذلك في القصص العاطفية التي تصور مشاهد الرحيل والتي تعتمد الوصف لابراز شخوص القصة واحداثها رأينا الغرابة والتعقيد المتعمدين ، لان مادة الحديث تقتضي ذلك وهي الصحراء ، الحيوان ، الطبيعة .

أما الاسلوب فهو الاسلوب نفسه الذي اعتمده شعراء ما قبل الاسلام في سرد قصصهم ولكن بعد الاسلام يظهر أثر الدين في استعمال معانيه كالصبر والاستعانة بالله واللقاء في الآخرة بعد الموت يوم الحساب .. الخ . وبخاصة في الشعر العفيف هذا فضلا عن الاساليب البلاغية ذاتها التي اعتمدوا عليها ، وهي الوصف والتشبيه والاستعارة والتمثيل .

الفصل السادس

قصص الحيـــوان



قصص الحيـــوان

قصص الحيوان والطبيعة في صدر الاسلام امتداد او استمرار للقصص في عصر ما قبل الاسلام في اغلب صورها وأساليب عرضها وتسلسل أحداثها وحتى في مقدماتها ونتائجها ، ولهذا يمكننا عدّها غرضا تقليديا قديماً استمر منذ ما قبل الاسلام الى العصور التي تلته .

وهذه القصص كما ذكرنا(١) ليست قائمة بذاتها وانما تأتي خلال القصائد بشكل استطرادي قد ينساق اليه الشاعر انسياقا عفويا(٢) أو مقصودا ضمن الغرض العام وهو اما مدح أو رثاء او وصف أو غزل .. ولا تخرج في سياق احداثها عن الصراع الابدي بين القوي والضعيف والموت والحياة ، ودائما يبقى الاقوى والادهى حيلة في تلك القصص وهي اما قصص صيد ومتعة أو قصص عبرة وموعظة في الرثاء وفي كلتا الحالتين الصائد هو الانسان ، ولكن هناك قصصا للحيوان يصيد فيها بعضهم البعض الآخر أو يصيد فيها الحيوان

---

(١) الفصل الثاني (قصص الحيوان في العصر الجاهلي) .

(٢) اشار الى ذلك الاستاذ عباس مصطفى الصالحي في بحثه (الصيد والطرد في الشعر العربي ، ص٢٥٦ ـ ٢٦٦) ، فذكر ان شعر الطرد مر بمرحلتين الاولى كان فيها غرضا استطراديا ، والثانية مرحلة استقلال الغرض وذلك عندما انفصل عن اغراض القصيدة واستقل مكوّنا مصطلح (الطرديات) ، ويذكر ان المرحلة الاولى تشمل الشعر الجاهلي الى اواسط العصر الاموي . اما الثانية فتبدأ بعد تلك الفترة وحتى كمال نضجه على يد ابي نؤاس .

انسانا ويأكله ويطعم عياله عندما يكون هو الاقوى والادهى كما في قصتي الاسد والكلب ، او الاسد وجماعة مسافرين واللتين رواهما ابو زبيد الطائي(٣) .

نماذج وتحليل :

من قصص العبرة والموعظة في الرثاء :

لعل اشهر القصائد فى هذا الباب قصيدة ابي ذؤيب الهذلي في رثاء ابنائه الخمسة التي بدأها بمقدمة حزينة ذكر فيها مصيبته بأبنائه وما حل به بعدهم ومحاولاته اليائسة لانقاذهم ودفع الموت عنهم ، ففي ذلك يقول (٤):

أمن المنون وريبها تتوجّع
والدّهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك شاحبا
منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا
الاّ أقضّ عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما بجسمي أنّه
أودي بنيّ من البلاد وودّعوا
أودى بنيّ وأعقبوني حسرة
بعد الرقاد وعبرة لا تقلع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب
واخال أنّي لا حق مستتبع

(٣) ديوانه (الكلب اكدر والاسد ، ص٥٨ ، ٩٤ ، ٨٠) ، (الاسد وجماعة مسافرين) ، (ص١٣٨) .
(٤) شرح اشعار الهذليين ١ / ٤ .

فسبب حزنه اذن هو موت فلذات اكباده وتركهم اياه وحيدا يبكي بحسرة ولوعة مستمرين ، وكم حاول انقاذهم ولكنّ المنية كانت كعادتها هي الاقوى والمنتصرة في النهاية دائما لا تنفع معها التمائم والرّقى ، بل هـي كالسـبع المفترس اذا امسكت بفريستها لا تتركها حتى تقضي عليها :

ولقد حرصت بـأن ادافـع عنهـم
فـاذا المنيـة أقبلـت لا تدفـع
واذا المنيـة أنشبت أظفـارهـا
ألفيـت كـل تميمـة لا تنفـع

ورغم هول المصاب وشدة فجيعته فانه يحاول ان يسلّي نفسه ويصبرها بذكر افاعيل الدهر وحكم المنية الذي لا يتغير على كل كائن حيّ مهما بلغت قـوتـه .

ويختار لذلك ثلاثة امثلة يروي لنا قصة الصراع بين الموت والحياة من خلالها والنهاية المحتومة فيها لكل مخلوق مهما كان ، وهي قصة حمـار الوحش ، الثور الوحشي المحارب الشجاع ، ترى ما هي حكاية هؤلاء الثلاثة الذين يسلي ذلك الاب نفسه بذكرها ، وماذا فعلت بهم الاقدار ؟ للاجابة عن ذلك يسرد لنا أبو ذؤيب الهذلي قصة حمار الوحش ليؤكد ان حوادث الدهر ومصائبه لا تترك احداً دون ان تصيبه بمصائبها ، فيقول كان هناك حمار وحشي له اربع جدائد وكان يعيش معهن في سعادة ومرح وكان كثير الصخب والنهاق لا يأبه لاحد ، ولا أحد يسأل عنه فكأنه عبد مهمل من عبيد آل ربيعة الكثيري العدد :

والدّهـر لا يبقي علـى حـدثانه
جون السراة لـه جدائـد أربـع
صخب الشوارب لا يـزال كأنـّه
عبـد لآل أبـي ربيعـة مسبع

ويستمر الشاعر في سرد قصته مستعملا الوصف ليرسم في هذه الابيات صورة جميلة من حياة ذلك الحيوان ، لقد كانت سعيدة رائعة لان الطبيعة السخية منحته الارض الخصبة المرعة بعشبها الزاهي ومائها الغمر الغزير ، وكان هذا الحمار يأكل العشب الجميم ، اي الطري الكثيف وتتبعه أتان طويلة نشطة ، ويزداد فرحه ونشاطه كلما ازداد عطاء الارض وخصبها من العشب ثم الماء الذي يتجمع فى قيعانها من الامطار الغزيرة المستمرة كأن سحابها ثوب منشق لكثرة تدفق المطر منه وبقائه لفترة طويلة .

اما الاتن فكن يمرحن ويداعبن بعضهن البعض في نشاط وحيوية ، وكان الفحل يشاركهن لعبهن ومرحهن ويكشر عن اسنانه كمن يضحك تارة ، ويلزم الجدّ والهدوء فيبقى ساكنا تارة اخرى :

أكـــل الجميم وطاوعتـــه سمحج

مثل القنـــاة وأزعلتـه الامـــرع

بقـــرار قيعـــان ســـقاها وابـــل

واه فأثجـــم برهـــة لا يقـــلع

فلبثن حينـــا يعتلجـــن بروضـــه

فيجدّ حينـــا في العـــلاج ويشمع

ولكن هل يترك الدهر هذا الحمار سعيدا مع أتنه أم يبدد سعادته ويقضي عليها بأحد اسبابه المدبرة ؟ ويجيب الشاعر بسرد ما حدث بعد ذلك فيقول : ولكن عندما غار الماء ونضب من تلك القيعان ويبس العشب والكلأ وانقطع مورد الرزق الذي كان الحمار واتنه في اشد الحاجة اليه ، بدأ التفكير بأرض جديدة ومورد آخر للماء ، وكانت بداية للشقاء والشؤم فلم يكن يدري أن حينه يقترب منه في ذلك المورد الجديد :

حتى اذا جـزرت ميـــاه رزونـــه

وبـأيّ حـــين مـــلاوة تتقطّـــع

ذكر الـــورود بهـا وشاقى أمـــره

شـــؤما وأقبـــل حينـــه يتتبّع

وهنا بدأت رحلة الموت حيث سار ذلك الحمار الشـّقي وهو يقود أتنه من موضع الى آخر فمرّوا بالسواء قاصدين ماء بثر وعارضهم طريق عريض وكانت الاتن في تجمعهن امام الفحل كالابل التي انتهبت فأجمعت مع بعضها ، وكانت ايضا تبدو أمامه كأقداح الميسر وكان الفحل كلاعب الميسر الذي يضرب القداح فيفيضها ويصكها اي يرسلها ويدفعها امامه مثله . اما الحمار فكان في ركضه وصلابة جسده وشدته كمدوس الصيقل المتقلب (وهي الحديدة التي يجلو بها الصيقل) الا أن الحمار اشد واغلظ منه .

فافتنهـنّ مـن السـواء ومـاؤه

بثـر وعـانـده طـريـق مهيـع

فكأنهـا بالجـزع بـين نبايـع

وألات ذى العرجـاء نهـب مجمع

وكـأنهـنّ ربـابة وكـأنّـه

يسر يفيض على القـداح ويصدع

وكأنّمـا هـو مـدوس متقـلـّب

بالكفّ الاّ أنـّه هـو أضـلع

واخيرا وصل الحمار واتنه الى مورد للماء ، وصلوا في وقت السحر حيث يكون كوكب العيوق خلف النجوم مثل رابيء القداح الذي يجلس خلف لاعب الميسر ليحافظ على نظام اللعب ويراقب الآخرين ، واقتربت الاتن من المورد العذب الصافي وغاصت اكرعهنّ في حصبائه ورمله وقرّبن رؤوسهنّ ليشربن بلهفة وعطش عند ذاك سمعن صوتا من خلف مرتفع قريب وأحسسن شيئاً كأنه قرع قوس ثم همهمة مكبوتة بدت أنها من صائد متلبب اي متحزم بثـوبه كناية عن تحفزه واستعداده وقد وضع قوسه الغليظة العود الرنانة في كفه في حالة استعداد .

فشرعن في حجرات عـــذب بـارد
حصب البطاح تغيب فيه الاكـــرع
فشربـن ثـــم سمعن حسّا دونـه
شرف الحجاب وريب قـــرع يقرع
ونميمـــة مـــن قـــانص متلبـب
في كفّـــه جشء أجش وأقطـــع

وكانت لحظة رعب رهيبة تدافع بعدها الجميع للخلاص من هذا الخطر وتقدمت اتان جسيمة طويلة العنق تزاحم الفحل وتدفعه لتنجو بنفسها وهـو يحاول منعها لينقذ نفسه واخيرا سبقته الى الهرب ، أو بالاحرى الى الموت حيث اصبحت تحت عين الصائد . وهنا رنّ صوت القوس وانطلق أول سهم من سهام الموت لينفذ في جسد تلك الاتان الهاربة ، وكانت حائلا ، أي : لـم تحمل لسنوات ضخمة ، مكتنزة ، وسقطت وسقط السهم وقد تجمّع ريشه وتلبّد من كثرة الدم الذي عليه .

فنكـــرنه فنفـــرن وامترست بـه
عوجـــاء هاديـة وهـــاد جرشـــع
ورمى فأنفـــذ مـــن نحوص عائط
سهما فخـــرّ وريشـــه متصمّع

وجاء دور الفحل حيث رآه الصائد هاربا مفزوعا ورأى خاصرتيه على مرمى منه فاعاد يده الى كنانته واخرج سهما آخر دقيقا حادا كأنه رمح صاعدي وصوبه الى ذلك الحمار فنفذ في جسده واشتملت عليه اضلاعه ولزمته .. وهكذا استمر الصائد يرمي سهامه ليقتل بها الاتن الباقية واحدة بعد الاخرى فمنهن من سقطت على الارض جريحة في انفاسها الاخيرة ، ومنهن من وقعت جثة هامدة لاحراك فيها ، وكانت الدماء تسيل على اذرعهن فبدت كأنها لبست برود بني تزيد وهي برود حمراء اللون :

فبــدا لـه أقــراب هــذا رائغـا
عجـلا فعيّث في الكنانة يـرجـــع
فرمـى فألحـق صاعــديّا مطحـرا
بالكشح فاشتملت عليـــه الاضـلع
فأبدّهـنّ حتوفهــــنّ فهـــارب
بذمـائـه أو بـــــارك متجعـــجع
يعثـــرن في علـــق النّجيع كأنّمـا
كســيت برود بنـــي تزيد الأذرع

وبهذه النهاية الدامية انهى الراثي الحزين قصة هذا الحمار واتنه ، وقد وصل اليها بشكل تدريجي حيث جعل حياته مراحل ، الاولى منها سعيدة لاهية عابثة والدهر غافل عنه ثم حولها الى الشقاء باسبابه الخاصة ودفعه الى المرحلة الاخيرة وهي مرحلة الخطر عندما حاول البحث عن مورد آخر لحياته فكان كالذي سعى الى حتفه بظلفه ، وكان الصائد هو القـــدر المحتـــوم لذلـك الحيوان •

الثور الوحشي :

وينتقل الشاعر الحزين الى المثل الثاني الذي ذكره في بداية ابياته والذي يؤكد من خلاله حتمية الموت والفناء الذي يشمل كل كائن حي ، فذكر قصة ثور مسن يقول أنه قد أذهب لبــه وأرعبه الخوف من الكلاب الضارية وبخاصة عندما يصبح الصباح بنوره فيدفعه فزعه الى الادغال ليحتمي بها ، واذا هبت الرياح العاصفة الندية والمطرة الباردة وضربته بقسوة يحتمي بشجر الارطى من قوتها وشدتها وهو في خوف دائم ينظر بقلق الى المواضـــع البعيدة التي التي لايرى ماوراءها يخاف المجهول منها وهو مطرق يتسمع ، فـــاذا سمع شيئاً رمى ببصره فكان ذلك تصديقا لما يسمع(٥) •

---

(٥) شرح اشعار الهذليين ١/٢٦ •

والدهـــر لايبقـــى علـى حدثانــه
شبب أفــزّته الكـــلاب مــروّع
شعف الكلاب الضاريـات فــؤاده
فـاذا رأى الصبّح المصدّق يفـزع
ويعـــوذ بالارطى اذا مـــا شـــقّه
قطـــــــر وراحتـه بليـل زعـــزع
يرمـي بعينيـه الغيـــوب وطـــرفه
مغض يصـــدق طـرفـــه ما يسمع

وفي الصباح عندما أشرقت الشمس خرج الثور من مخبئه لكي يجفف متنه من رطوبة الليل والندى ، وفي هذا الوقت ظهر موكب الصيد وبـدت الكلاب المتقدمة وهي تتجمع مع بعضها استعدادا للهجوم ، وعندما اقتربت منه الكلاب ملأ الفزع قلبه فأخذ يعدو عدوا شديدا ملأ فروجه لينجو بنفسه من تلك الحيوانات الضارية وكانت ثلاثة احدها مقطوع الاذن والآخران اذناهما سليمتان :

فغـــدا يشرّف متنـــه فبـــدا له
أولى ســـوابقها قريبـــا تـــوزع
فأنصاع من فزع وســدّ فروجـــه
غبــر ضوار وافيـــان وأجـــدع

ولما لم يجد بدا من القتال والدفاع عن نفسه عاد اليها ليطعنها بقرنيـه الحادين الاملسين المسنونين فتلطخا بدمها وظهرا كأنهما مصبوغان لكثرة مـا عليهما من الدماء وكانت الكلاب لا تزال تهاجم ذلك الثور الضخم الغليـــظ القوائم فتعضه ويردها بقسوة ليحمي نفسه ، واخيراً عندما يئست من قتلـه ورأت أنه أصاب بعضها اصابات خطيرة تراجعت تعوي بخوف وألم ، اما الثور

فكان قرناه وهما يقطران من دم الكلاب كسفودي شرب نزعا قبل ان يدرك الشواء فهما يكفان بالدم :

فنحا لهـا بمذلّقـين كأنّمـا
بهما من النّضح المجدّح أيدع
ينهسنه ويذودهنّ ويحتمي
عبل الشّوى بالطرّتين مولّع
حتى اذا ارتدّت واقصد عصبة
منها وقام شريدها يتضوّع
فكأنّ سفّودين لمّا يقترا
عجلا له بشواء شرب ينزع

واخيرا اقترب الصائد وهو يحمل قوسه وسهامه البيض المنزوعة الريش الدقيقة الحادة ، دنا منه ورماه بأحد تلك السهام ليشغله فتفلت كلابه وينقذ من فرّ منها فأصاب السهم جنبه ونفذ في طرتيه فسقط صريعا وجثا فوق ارض مستوية كأنّه فحل أبل ميت الا ان الثاني اضخم سقط ليؤكد حكم القدر وسطوة الاحداث التي لاينجو منها احد :

فدنا له ربّ الكلاب بكفّه
بيض رهاب ريشهنّ مقزّع
فرمى لينقذ فرّها فهوى له
سهم فأنفذ طرّتيه المنزع
فكبا كما يكبو فنيق تارز
بالخبتّ الاّ انّه هو أبرع(٦)

(٦) شرح اشعار الهذليين ١/٣٦ .

وهكذا انهى ذلك الاب الحزين قصته الثانية بالطريقة نفسها فأسقط الثور صريعا وجعله كالجمل الضخم الذي لا ينجو ايضا من الموت رغم ضخامة جسده وقوته وبهذا اكد حكمته التي ارسلها في اول رثائه :

واذا المنيـــة انشـبت اظفـــارهـــا
الفيت كـــلّ تميمـــة لا تنفـــع

ويستمر الشاعر في سرد مثله الثالث وهو قصة المحـارب الـذي كـان سعيدا فرحا مباهيا بقوته وجبروته يصول ويجول مرتديا درعه السابغة متقلدا سيفه القاطع وحاملا رمحه الرديني الكريم ، ويجعل القدر كامنا في شخص محارب ثان له قوة غريمه وعزيمته ثم يدفعهما الى اللقاء والنزال ثم القتـــال وتنتهي حياتهما عندما يتبادلان طعنات الموت النافذة ويسـقطان على الارض صريعين وقد كسبا الشرف والمجد ولكنهما خسرا حياتهما (٧) •

ومن قصص الحيوان التي ترد في مجال العبرة والموعظة ضمن غرض الرثاء ايضا قصص الامومة الحزينة واجملها هي :

قصة البقرة الوحشية التي اكل الذئب ولدها :

وهي من قصص الحيوان التي جسد فيها الشاعر صورة مـــن الصراع النفسي المؤلم الذي يحدث لدى الحيوان الاعجم وهو يجابه مصيبة مفاجئة ، وهي للشاعر النابغة الجعدي في مدح الرسول (ص)(٨) ، وفيها من المـلامـح الانسانية المؤثرة ما يجعلها قصة لكل أم فجعت بفقد ولدها في غفلة منهـــا ولا يمكن عدّها قصة حيوان ، وانما هي قصة انسانية ضمنّ الشاعر فيها من

---

(٧) المصدر السابق ١/٣٣ •
(٨) ديوان النابغة الجعدي ص٣٨ـ٤٠ •

الاحاسيس والانفعالات ما يرقى بها الى مرتبة اعلى مما تتخيل ، ويمكننا عدّها من القصص الاستطرادية ٠

بدأ الشاعر قصيدته بالحكمة والموعظة ، ثم يذكر لقاءه الرسول (ص) وايمانه به وبكاءه لأصحابه الذين هلكوا ، وذكرياته الماضية ، وهو مؤمن بأن لكل شيء نهاية ولهذا يحاول النسيان بالرحيل على ظهر ناقة قوية شديدة النشاط صبورة على قسوة الصحراء ويشبهها في ذلك ببقرة وحشيّة أم لها طفل تركته في مكان ما :

وأرض عليها نسج ريح مريضة
قطعت بحرجوج مساندة القرا (٩)
مروح طروح تبعث الورق بعد ما
يعرّسن شكوى آهة وتذمّرا(١٠)
وتبتزّ يعفور الصّريم كناسه
فتخرجه منه وان كان مظهرا(١١)
كناشطة من وحش حومل حرة
أنامت لدى الذينين بالفاف جؤذرا(١٢)

لقد سار وقطع طريقه على ظهر ناقة ضامرة مرتفعة الظهر كثيرة المرح والصخب توقظ القطا من نومه بآهاتها وتخرج يعفور الصريم من مخبئه حتى

---

(٩) مريضة : ضعيفة ٠ حرجوج : ناقة ضامرة ٠ مساندة القرا : مرتفعة الظهر ٠

(١٠) مروح : التي تمرح ٠ الورق : القطا ٠ تذعرهن آهة : اذا عرسن من آخر الليل فتوقظهن ٠

(١١) يعفور : نوع من الظباء ٠ كناسه : مخبأ الظبي ٠ بحفيف سيرها ينفر الوحش من كنه وقت الظهر ٠

(١٢) الناشطة : البقرة الوحشية التي تخرج من بلد الى بلد ٠ حومل : اسم مكان ٠ جؤذر : ولد البقرة ٠

لو كان في وقت الظهيرة ، انها تشبه بقرة وحشيّة كثيرة التنقل والحركة تركت ولدها في مكان ما •• ولكن ماذا رأى هذا الصغير وما حصل له في ذلـــك المكـــان :

رأى حيث امسى أطلس اللون بائسا
حريصا تسمّيه الشياطين نهسراً(١٣)

طويل القرا عاري الاشاجع شـاحب
كشقّ العصا فوه اذا ما تضوّرا(١٤)

فبـــات يذكّيــــه بغـــير حديـدة
اخو قنص يمسـي ويصبح مفطـــرا
اذا ما رأى فيــه كـراعـــا تحركت
أصـاب مكان القلب منه ففرفرا (١٥)
فلاقت بيـانا عنـد أحـدث معهـد
اهابا ومعبوطا من الجوف احمرا(١٦)
وخـــدّا كبرقـوع الفتـــاة ملمّعا
وروقـين لمـا يعدوا أن تقشّرا (١٧)

(١٣) الاطلس : من الذئاب الذي تساقط شعره وهو اخبث ما يكون • النهسر : الذئب او ولده من الضبع •
(١٤) القرا : الظهر • الاشاجع : عروق ظاهر الكف • تضور : تألم من الجوع •
(١٥) فرفر : مزق • اذا تحركت قائمة من قوائمه غمز بطنه وعضه فلا يـــزال كذلك حتى يموت •
(١٦) الاهاب : الجلد • المعبوط : الدم الطري ، اي وجدت عند احدث معهـــد عهدته فيه ما بين لها ان السبع اكله •
(١٧) برقوع الفتاة : برقعها وهو للدواب ونساء الاعراب • الروقان : القرنان ، شبه خده لما فيه من السواد وردع الدم والبياض ببرقوع فتـــاة ، لان الفتيات يزين براقعهن ، وبقر الوحش لا سواد فيها الا في قوائمهـــا وخدودها واكفالها •

لقد رأى في مكانه ذئبا أو ضبعا شرسا ضخم الجسم طويل الظهـــر ، قد برزت عروق كفّه وكان فمه يبدو كشقّ العصا عندما يؤلمـه الجوع ويلحّ عليه ، لقد امسك هذا الذئب الشرس بذلك الجؤذر المسكين وغرز مخالبه في جسده كأنها الحديد ، فاذا أحس منه حركة في اسفل قدميه ضرب قلبه فمزقه ، واخيراً أكله وترك عظامه واشلاءه ٠ ترى ماذا فعلت تلك الام ، ومـا هـــو شعورها عندما وجدت بقايا جسد ولدها وادركت بغريزتها أنها فقـدته وأن حيوانا ضاريا قتله وأكله :

فلما سقاهـا البأس وارتـــدّ لبّـها
اليها ولـــم يتـرك لهـا متـذكـرا
فجالت على وحشيّهـــا مســـتتبّة
وكان النكير أن تضيف وتجأرا(١٨)
فباتت كـأنّ بطنها طـــيّ ريطـــة
الى نعج من ضائن الرّمل أعفرا(١٩)
الى دفء أرطــــاة تثير كناســـها
تبـــوّأ منها آخــر الليل مجفرا(٢٠)
يزلّ النّدى عن مدرييهـــا كـأنّه
جمان جرى في سلكه فتحدرا (٢١)

(١٨) وصف بقرة وحشية اكل السبع ولدها فطافت ٠ وروى : قامت ثلاثة ايام وثلاث ليال تطلبه ، ولا انكار عندها ولا غناء الا الاضافة ، وهي الجزع والاشفاق ، والجؤار : وهو الصياح ٠ والنكير : الانكار ، اي ما كان عندها حين فقدته الا الشفقة والصياح تضيف من الفعل اضاف ، اي اشفق ٠

(١٩) الرملة الضائنة : البيضاء العريضة (اللينة) ٠ نعاج الرمل : البقـــر ٠ الاعفر : الذي في لون العفر ، اي التراب ٠

(٢٠) الارطاة : واحدة الارطي : وهو شجر ينبت في الرمل ، قال ابن حنيفة : هو شبيه بالغضى رائحته طيبة ، يطول قدر قامة ٠٠٠ الخ ٠

(٢١) مدرييها مثنى مدرى ، وهي حديدة يحك بها الرأس ، ويشبه قرن الثور بها ٠

عندما وجدت تلك الام اشلاء جسد صغيرها ممزقة تأكّـد لديها انّه قد قتل ، وأن حيوانا شرسا افترسه ، لانها رأت جلدا ملطخا بدم طري وخدا فيه بقع من الدم والبياض فبدا كأنه برقع الفتاة المزركش ، هذا فضلا عن قرنين صغيرين ، وكان ألمها ويأسها شديدين وكان شعورها باللوعة رهيبا وفاضت امومتها واشتعل فؤادها ونسيت كل شيء الا هذه المصيبة الرهيبة ، واندفعت بتأثير ذلك الشعور تدور وهي تجأر وتئن معولة والحزن يملأ قلبها ولا تستطيع شيئاً غير البكاء والاشفاق والعويل ثم ذهبت الى صويحباتها من النعاج البيض وباتت وهي تطوي بطنها من الالم واللوعة كما يطوي القماش ، وكانت لا تستقر في مكان واحد ولهذا ذهبت الى ظل ارطأة فأثارت من استكن تحتها من مخبئه دون أن تشعر بما تفعل ، فهي تتصرف بلا وعي وكانت قطرات الندى تتساقط عن قرنيها كأنها اللؤلؤ المنظوم .

لقد اصيبت بالذهول وزهدت في كل شيء ، ولهذا نجدها تتصرف بغرابة وشراسة عندما صادفت ثورا وحشيا حاول كسب مودتها :

فهايجها حمش القوائم سابح
رعي بجواء الجنّ بالصيف أشهرا (٢٢)

أتيح لها من أرضه وسمائه
فلمّا رآها مطلع الشمس بربرا (٢٣)

كبربرة الرّوميّ أوجع ظهره
على غير جرم فاستضاف لينظرا (٢٤)

---

(٢٢) حمش القوائم : دقيق القوائم . الجواء : ارض منخفضة . يصف ثورا وحشيا اثار البقرة .
(٢٣) بربرا : البربرة : كثرة الكلام ، والجلبة باللسان .
(٢٤) استضاف : طلب الضيافة . المضاف : الملصق بالقوم وليس منهم .

فلمّا رآها كانت الهمّ والهوى
ولم ير غمّا عندها متغيّرا(٢٥)

فباهي كفحل الشوّل ينفض رأسه
كما خيّس الوضع الفنيق المجفّرا

فكان اليها كالذي اصطاد بكرها
شقاقا وبغضا أو أطمّ وأهجرا(٢٦)

وجالت بها روح خفاف كأنّها
خذاريف تذرى ساطع اللّون اكدرا(٢٧)

كأصداف هنديين زبّ لحاهما
بدارين يبتاعان مسكا وعنبرا (٢٨)

فلما رأى أن لم يصادف فؤادها
وكان النّكاح خيره ما تيسّرا

كسا جذب رجليها صفيحة وجهه
وروقيه ربعيّ الخزامي المنوّرا(٢٩)

---

(٢٥) لما راى البقرة كانت منيته وهواه ولم ير ما يؤخره عنها ·
(٢٦) أطم : ازيد بغضا · اهجرا : اقبح وافحش · كان الثور عندها في الكراهية والبغضة كالذئب الذي اكل ولدها ، أو أطم : اي ازيد بغضا ·
(٢٧) روح ، ربما هي رحّ وهي أصح جمع أرح : وهو الخفّ المنبسط الواسع · الخذاريف : جمع خذروف:عود مفتوح من الوسط فيه خيط يدور اذا حرك يلعب به الصبيان يشبه به الفرس لسرعته ·
تذرى : تطير · ساطع اللون : التراب ·
(٢٨) كاصداف ، صدفه وهو غشاء اللؤلؤ · زب لحاهما : غزيرة الشعر ·
دارين : موضع بالبحرين ·
(٢٩) ربعي الخزامي : اوله وهو نبات طيب الرائحة · المنوّر : المزهر ·

يمرج كسا القريان ظاهر ليطها
جسادا من القرّاص أحوى وأصفرا (٣٠)
اذا هبطا غيثا كأنّ جماده
مجلّلة منها زرابيّ عبقرا

لقد صادفت وهي في تلك الحالة ثورا وحشيا دقيق القوائم سريع الحركة والركض كأنه يسبح قد اكل من عشب صيفي في ارض منخفضة لأشهر عديدة وعندما رآها واقترب منها أخذ يبربر ويصرخ كأنه معجب بها سعيد بلقياها ، أو كأنه رومي أصيب ظهره بألم أوجعه فطلب الضيافة والمساعدة والثور هنا اوجعه فؤاده من حبها فصرخ مبربرا ، لقد كانت همه وهواه وامنية قلبه ، ولم ير ما يمنعه من حبها فأخذ يتباهى امامها بقوته وفحولته لعلها تبادله شعوره ، ولكنها كانت أسيرة أحزانها وفجيعتها بولدها ، ولهذا نفرت منه بشدة وشعرت بالكراهية والبغض له كقاتل ولدها أو اكثر ، ولهذا أسلمت ساقيها للريح مسرعة هاربة من هذا الفحل الملحاح الكثير الصخب وابتعدت عنه مؤكدة له عدم تجاوبها معه بضربه على وجهه برجليها مما جعل نبات الخزامى يتطاير فيسقط على قرنيه وكانا سوية في أرض خضراء ترعى فيها الحيوانات وتغطيها النباتات الزاهية كانها البسط المخملية الملونة او كأنها ارض الجن لسحرها وبهائها .

وهناك قصة ثانية لأم فقدت وحيدها في غفلة منها جاءت في سبيل المثل والتشبيه في الحب . والشاعر هو حميد بن ثور من قصيدة طويلة جدا . اما الأم فهي حمامة وديعة أكل الصقر فرخها وتركها تبكي ثكلها وفجيعتها به وقد أهاج بكاؤها وحزنها اشواقه ولوعته لفراق حبيبته :

---

(٣٠) المرج : ارض واسعة فيها نبت كثير تمرح فيها الدواب . القريان : مجرى الماء في الارض . الليط : قشر القصب . الجساد : الزعفران ونحوه من الصبغ الاحمر والاصفر . القراص : نبت حامض يقرص اذا أكل منه .

وما هاج هـذا الشوق الا ّ حمامة
دعت ساق حر ّ ترحة وترنّمـا (٣١)

من الورق حمّاء العلاطين باكـرت
عسيب أشاء مطلع الشمس أسحما (٣٢)

اذا هزهزته الريح أو لعبـت بـه
أرنّت عليـه ماثـلا ومقو ّما (٣٣)

تبارى حمام الجلهتـين وترعـوى
الى ابن ثلاث بين عودين أعجما (٣٤)

تطوّق طوقا لم يكـن عن تميمة
ولا ضرب صو ّاغ بكفيـه درهمـا

بنت بيتـه الخرقـاء وهـي رفيقـة
بـه بـين أعـواد ، بعلياء معلمـا (٣٥)

ترشّـح أحوى مزلغبًا تـرى لـه
انابيب من مستعجل الرّيش حمحما (٣٦)

---

(٣١) ساق حر : ذكر القماري لصوته كانه يقول ساق حر ، ساق حر ٠ ترحة : حزنا ٠ ترنم : صوت لا يفهم غناء كان أو نواحا ، يقال تغنت الحمـامة وناحت ٠

(٣٢) العلاطان : الرقمتان في اعناق الطير ٠ العسيب : الغصن ٠ الاشاء : صغار النحل ٠ حماء : سوداء ٠

(٣٣) ارنت : صاحت ٠ ماثلا ومقوما : حالان من العسيب ٠ الماثل من الاضداد ، يقال للاطىء بالارض أي الملتصق والقائم ٠

(٣٤) الجلهتان : جانبا الوادي ٠ ابن ثلاث : الفرخ ابن ثلاث ليـال ٠ بين عودين : يعني انه في عشه ٠

(٣٥) الخرقاء : من صفة الحمامة ٠

(٣٦) ازلغب الريش : شوّك ، المزلغب : الفرخ طلع ريشه ٠ الجون : الاسود اليحمومي ٠

كأنّ على اشـــداقه نـــور حنـــوة
اذا هو مدّ الجيد منه ليطعمـــا(٣٧)

لقد اثار شوقه نواح هذه الحمامة التي يرتسم على رقبتها طوق أسود فلقد اقبلت مبكرة ووقفت على غصن شجرة في وقت طلـــوع الشمس اذا حركت الريح الغصن الى اعلى أو اسفل صاحت فزعة كما يبدو وكانت سعيدة وهي تفاخر حمام الوادي وتسابقه في الطيران ثم تعود مسرعة الى عشها حيث وضعت صغيرها وهو ابن ثلاث ليال • انه جميل جدا في رقبته طوق من صنع الخالق وليس بيد صائغ أخذ أجره دراهم أو هو تعـــويذة لحمايته من الاذى ، انها لا تغفل عنه فقد بنت له عشّا من اعواد ثـّم وضعت عليه علامة في مكان مرتفع وها هو يكبر وبدأ ريشه ينمو ويصبح كالشوك مغطيا جسده الصغير فيبدو عندما يمد رقبته ليأكل كأن على فمه نباتا لكثرة ما عليه من الريش •• ترى ما هو مصير هذا الصغير المسكين بعد أن كاد ريشه يكتمل ويصبح قابلا للطيران والخروج مع أمه :

فلما اكتسى ريشا سخاما ولم يجـــد
له معها في باحة العشّ مجثما(٣٨)

أتيح لـــه صقر مسفّ فلـــم يـــدع
لها ولـــدا الاّ رميمـــا وأعظما(٣٩)

فأوفت على غصن ضحيّا فلم تدع
لباكيـــــة فـــي شجوها متلوّما(٤٠)

---

(٣٧) نورحنوة : نبات •
(٣٨) سخاما : لينا • المجثم : موضع جثوم الطائر •
(٣٩) المسف : الذي يدنو من الارض في طيرانه •
(٤٠) متلوما : ملامة •

مطـوّقة خطبـــاء تصدح كلّمـــا
دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما(٤١)

اذا شئت غنّتني بأجـزاع بيشـــة
أو النّخل من تثليث او من يبنيما(٤٢)

عجبت لها أنّى يكـون غناؤهـــا
فصيحا ولم تفغر بمنطقها فمـا (٤٣)

فلم أر محزونا له مثـل صوتهـــا
ولا عربيـا شاقه صـوت أعجمـــا

كمثلي اذا غنّت ولكـنّ صوتهـا
له عولة لو يفهم العود أرزمـا (٤٤)

لما اكتمل نمو هذا الطائر واكتسى جسده ريشا ناعما ضاق به العش فاندفع خارجا وهنا فاجأه صقر اقترب من الارض فجأة وبلمح البصر لم يبق منه الاّ بقايا عظام وريش ، وعندما جاءت الام الى عشها في الضحى ووجدت صغيرها قتيلا بكت كما لم تبك أم قط ، ومنذ ذلك الوقت اصبحت رفيقة للاحزان تبكي وتصدح كلما اقترب الصيف وذهب الربيع ، واكاد اسـمع غناءها الحزين في كل مكان ، في (اجزاع بيشة ، تثليث ، أو يبنيما(٤٥) فهي تصدح وتعول اينما ذهبت وتثير الاشجان اينما حلّت رغم أنها لـم تنطـق

---

(٤١) انجال وانجم : اقلع • خطباء : هي الحمامة لان في جناحيها لونين من السواد والبياض •

(٤٢) يبنيما : واد شجير قبل تثليث • بيشة : واد في طريق مكة • وتثليث : موضع بالحجاز قرب مكة •

(٤٣) تفغر : تفتح •

(٤٤) ديوان حميد بن ثور ، ص٢٣ (القصيدة طويلة جدا فيها مقدمة غزل تقليدية ووصف للصحراء وحيواناتها ثم بعد ذلك ينتقل الى صورة المحب الذي اثارته هذه الحمامة) •

(٤٥) اسماء اماكن •

بكلمة واحدة ، وهذا ما يثير دهشتي ، والغريب انني لم اسمع أو أشاهد محزونا له صوت مؤثر مثلها ولا انسان مثلي يبكيه حيوان أعجم كهـــذه الحمامة وخاصة اذا غنت فان لغنائها نغمة حزينة موجعة (٤٦) •

ومن قصص الامومة الغريبة والمؤلمة حقا ما يقلب الاحداث فيجعل الام هي المقتولة ويترك صغارها وحيدين لا معين لهم الا خالقهم ، وهذه الام هي عقاب أورد قصتها الشاعر صخر الغي في رثاء أخيه مؤكداً أن حوادث الدهر لاتترك احدا في سلام وقد حكى قصتين أولاهما لوعل كبير الســن منفرد بنفسه مبتعد عن الاخطار فأجأه صائد فقتله رغـم حذره وشــدة يقظته(٤٧) ، والثانية قصة هذه العقاب التي اعتادت ان تطعم فراخها لحـوم الارانب والطيور وجاءها حتفها عندما اصطادت غــزالا في غفـــلة مـــن أمــه (٤٨) :

وﷲ فتخــــاء الجناحـــين لقـوة
توسّد فرخيها لحــوم الارانب(٤٩)
كأنّ قلوب الطير في جوف وكرها
نوى القسب يلقى عند بعض المآدب(٥٠)

---

(٤٦) في الامالي جـ٢/٢٣٧ قصة مماثلة لابي صفوان الاسدي فـي مقصورته حيث يتغزل بليلى ويذكر لوعته ثم يروي قصة الحمامة التي اهاج بكاؤها حزنه وشوقه للحبيبة وهي حمامة أم اكلت العقاب صغيرها فبكته بحرقة •

(٤٧) شرح اشعار الهذليين ، ١/٢٤٥ •
اعيني لا يبقى على الدهر فادر بتهيورة تحت الطخاف العصائب

(٤٨) المصدر السابق ١/٢٥٠ •

(٤٩) اللقوة : العقاب • فتخاء الجناحين ، الفتخ : استرخاء الجناحين وهو لين في جناحيها • توسد فرخيها • تطعمهما •

(٥٠) اراد كثرة القلوب كتمر قد أكل وألقي نواه ، فأراد ان يكثر لها مـــن الصيد ، فالقلوب كثيرة ملقاة •

فخاتت غزالا جاثمـــا بصرت بـــه

لدى سلمات عند أدمـاء سارب(٥١)

فمـرّت على ريد فأعنــت بعضهـــا

فخرّت على الرّجلين أخيب خائب(٥٢)

بستلفة قفـــر كـــأنّ جناحهـــا

اذا نهضت في الجوّ مخراق لاعب(٥٣)

لله ما فعلت حوادث الدهر بهذه اللقوة ، اي العقاب المسترخية الجناحين التي أشبعت اطفالها من لحوم الارانب والطيور حتى بدت قلوب تلك الطيور لكثرتها كتمر قد أكل وألقي نواه في احد المآدب ، وقد صادفت في احـد المرّات غزالا رابضا قرب شجرات وكان وحده حيث دخلت ظبية كانت معه في موضعها ، او ربما ذهبت الى المرعى وخلفته فجاءت العقاب وصادته وبعد ذلك طارت به مرتفعة الى اعلى الجبل ولسوء حظها اصطدم جناحها بنتوء بارز في عرض الجبل فانكسر وبقي معلقا في جسدها وسقطت هاويـة فـي ارض مقفرة موحشة مخيفة عاجزة عن الطيران ، ولو حاولت النهوض لتقلبت في الهواء . أما جناحاها فقد كسر أحدهما وبقي الآخر متدليا كأنه في طيرانها مخراق لاعب اذ لاسيطرة لها عليه . كل هذا والفرخان ينتظران أمهما الغالية وهي تحمل لهما الصيد المنتظر :

---

(٥١) خاتت غزالا : انقضت على غزال . جاثما : رابضا . سلمات : شجرات عند ادماء : عند ظبية . سارب : قد سربت في موضعها فدخلت .

(٥٢) على ريد : وهو الحرف يندر في الجبل . أعنت بعضها : اصابه بعنت ، كسر أي كسر جناحها فخرت .

(٥٣) يقول : مرت على ريد بمتلفة : اي بمكان تلف . نهضت : طارت . مخراق لاعب : كأن جناحها اذا نهضت مخراق لاعب ، من سرعة تقليبهـا فـي لعبها به .

وقد ترك الفرخان في جوف وكرها

بيلدة لا مولى ولا عند كاسب(٥٤)

فريخان ينضاعان في الفجر كلما

أحسّا دوّي الرّيح أو صوت ناعب(٥٥)

فلم يرها الفرخان بعد مسائها

ولم يهدآ في عشّها من تجاوب(٥٦)

فذلك ممّا أحدث الدّهر أنّه

له كلّ مطلوب حثيث وطالب(٥٧)

اذن بقي هذان الصغيران ينتظران في جوف الوكر ولا أحد يقوم بأمرهما ، أو يعينهما على الحياة ومصائبها ، لقد كانا يتحركان كلما طلع الفجر أو احسّا دوّى الريح أو سمعا صوت غراب ناعب ، والشاعر هنا يصور لهفة الطفل الصغير الى أمّه فهو لا يفقد الامل ابدا ويتطلع بكل حواسه متسمعا لأقل صوت أو حركة متخيلا انها جاءت اليه وهي تحمل الحب والحنان والحماية والاطمئنان ، ولكنهما لم يرياها منذ ذلك المساء ، كما لم ينقطعا عن الصياح ، فاذا سكت أحدهما أجابه الثاني وهما يريدان بذلك جلب الطمأنينة لنفسيهما ، وهكذا يفعل الدهر بمصائبه التي تشمل كل كائن حي سواء أكان أما أم ولدا طفلا ام شيخا كبيرا .. الخ .

اما قصص صيد الحيوان للانسان فاشهرها كما قلت قصة الاسد وجماعة مسافرين تربص لهم واصطاد أحدهم ثم أكله بعد أن ارعبهم وشتت شملهم ، يقول في مقدمة القصيدة محذرا من الأسد :

---

(٥٤) ليس لها مولى يقوم بامرهما . والمولى : القريب وهو هنا ابن العم ، قال : تركتهما ولم تقدر على النهوض اليهما .

(٥٥) ينضاعان : يتحركان كلما طلع الفجر او سمعا صوت ناعب : وهو الغراب

(٥٦) يهدآ : يسكنا . تجاوب : يجيب كل واحد منهما صاحبه .

(٥٧) يقول : ليس يبقى على الدهر شيء .

فلا يعلقنكم مهصر النـاب عنبس عبوس له خلـق غليظ غضنفر

مبنّ بأعلى خلّ زمّان مخدر عفرني مذاكي الاسد فيه تحجّر

يقول : (اياكم ان تلتقوا أو تعلقوا بحيوان كهذا الاسد المرعب العبوس الغليظ الخلق الذي اتخذ له مكانا في جبال رمان وجعل أجمته سترا له ، فهو شديد الشراسة ، ضخم ، مسنّ • ويستمر الشاعر ابو زبيد الطائي في سرد صفات هذا الأسد المخيفة في مقدمة قصته كأنه يرسم بذلـك الجـو النفسي الرهيب الذي عاشه ابطال القصة عندما هاجمهم مثل هذا الحيوان المفترس • فيقول بعد أن انتهى من تلك الصفات أنه قد قتـل الكثيرين وتجمعت بقايا اجسادهم النتنة حول عرينه وبعض اسلحتهم ، لأنه قد اعتاد صيد الناس وافتراسهم :

يظل مغبّا عنـده مـن فرائس
رفات عظـام أو غريض مشرشـر(٥٨)

وخلقان درسـان حوالـي عرينـه
ورفـض سـلاح أو قنـان مقتّر

وقد شاء سوء طالع جماعة من المسافرين ان يلتقوا به عشاء فتوهموا أنّه بغل ضخم مائل الجل اشقر ، ويظهر ان حلول الظلام أوهمهم بذلـك ، ولكن عندما عرفوه أدركوا الخطر الذي يتهددهم :

أقـل فأقـوى ذات يـوم وخيبـة
لأول مـن يلقـى وغيّ ميسّر

فأبصر ركبا رائحـين عشـيّة
فقالوا : أبغل مائل الجـلّ أشقر

(٥٨) مغبا : نتناً • غريض : طري • المشرشر : المقطّع •
ديوان أبي زبيد الطائي ص٥٨ •

بل السبع فاستنجوا وأين نجاؤكم
فهذا وربّ الراقصات المزعفر

اذن فهذا هو الاسد المزعفر فأين المفر وكيف السبيل الى النجاة والهرب :

فولّوا سراعا يندهون مطيّهم
وراح على آثارهم يتقمّر
فساراهم ما ان لحس حسيسه
مدى الصوت لا يدنو ولا يتأخر

لقد اسرعوا يطلبون المطايا ليهربوا على ظهورها من الخطر واخذ يتبعهم في ضوء القمر وهو ينوي صيدهم وكان يسير دون أن يسمع له ادنى صوت مهما تقدم أو تأخر وهذا الهدوء جعلهم يطمئنون ويتصورون زوال الخطر عنهم فارتاحت نفوسهم وهدأ بالهم :

فلمّا رأوا أن ليس شيء يريبهم
وقد أدلجوا الليل التمام وأبكروا
وقد برد الليل الطويل عليهم
ومرّ بهم لفح من القرّ أعسر
تنادوا بأن حلّوا قليلا وعرّسوا
وحفّوا الركاب حولكم وتيّسروا

عندما أحسوا ان ليس هناك ما يدعو الى الريبة والخوف وأقبل الظلام الحالك والليل البارد الطويل برياحه القاسية الشديدة البرودة وهي تلفح وجوههم وهم واقفون للحراسة وانتظار الاسد للدفاع عن أنفسهم قرروا أن يحلوا الركاب ويشدوا الخيام ويعرّسوا في ذلك المكان ويجعلوا مطاياهم محيطة بهم لحمايتهم . وكان الاسد في ذلك الحين قريبا منهم يراقب تحركاتهم

فشاهدهم يحلون الركاب ويعرسون مستقرين في ذلك المكان ، وبدأ الظلام يزول تدريجيا وكاد الصبح يسفر حينئذ هجم الاسد هجمة شـــديدة بكل شراسته ، وكان منتفخ الاوداج من الغضب ، فذهل القوم وأصابهم فـــزع شديد فنادوا يطلبون السلاح والاسد يزداد اقترابا منهم مما زادهم ارتباكا وفزعا وبلبلة وأفلت زمام المطايا فأخذت تتدافع للهرب فمنهم من سبق ومنهم من تأخّر ، ووقعت الحمائل وطارت السيوف والفرش المخملية وتساقطت ارضا وكلهم يهدد ويتوعد ويزجر غيره بصمت • وكان فداء هؤلاء هو أول من حمل سيفه وتقدم يجول به امام الاسد ، وكان رجلا ضخـــم الجسم غليظه ، فأمسكه الاسد وهشّم رأسه بنابيه ودقّ عنقه ، وبهذا فقد أهله الامل بعودته وتحققت مخاوفهم بهذه النهاية المفزعة له •

بعينيه لمـّا عرّســوا ورحالهـــم
ومسقطهم والصبح قد كاد يسـفر
ففاجأهم يســـتن ثـانـي عطفـــه
له غبب كأنّمـــا بـات يمكـــر
فنادوا جميعـا بالســلاح ميّسرا
وأصبح فـي حافاتهـم يتنمّـــر
وندت مطايـاهم فمـن بـين عاتق
ومن بين مود بالبســيطة يعجـــر
وطاروا باسـياف لهـم وقطـــائف
وكلّهـم يخفي الوعيـــد ويزجـــر
فأوّل من لاقى يجـــول بســيفه
عظيم الحوايا قد شتنا وهـــو أعجر
فقضقض بالنابـــين قلّـــة رأســـه
ودقّ صليف العنق والعنق أصعـر

ووافى به من كـان يرجـو ايابه
فصادف منه بعض ما كان يحذر(٥٩)

من خلال قصيدة أبي زبيد هذه والقصائد الاخرى السابقة عند شعراء آخرين يمكن أن نستنتج بأن قصص الحيوان تتشابه في تسلسل احداثها ولكن نهاياتها تختلف كما ذكرت في بداية هذا الحديث ، ففي الرثاء والموعظة تموت اغلب الحيوانات ولكنها تعيش وتفلت من سهام الصائد رغم براعته ولهفته على صيدها في الاغراض الاخرى كالمدح او الفخر مثلا ، مثل قصة الحمار واتنه عند ربيعة بن مقروم(٦٠) ، وقد نأتي قصة الحيوان دون صائد تماما(٦١) ، مع المحافظة على الاسلوب السابق في عرض القصة مما يؤكد

---

(٥٩) ديوان ابي زبيد الطائي ، ص٥٨ ـ ٦٣ ، ومثلها ايضا ، ص٩٤ـ٩٩ ديوانه ، ص٨٠ ايضا . وله قصة اخرى تدور حول كلب له كان يساور الاسد ويمنعه من الفساد حين حطمه الاسد ، واسمه اكدر ص١٣٨ـ١٤٠ .

(٦٠) المفضليات ، ص١٨٠ ، ١٨٧ قصيدتان في الفخر لربيعة بن مقروم فيهما قصتان من قصص الحيوان استطراديتان بنفس اسلوب ابي ذؤيب ولكن النهاية تختلف لاختلاف الغرض ، اذ يموت الحمار عند ابي ذؤيب في الرثاء ، وينجو عند الثاني في الفخر . وفي العبرة والموعظة يموت الحيوان . وهذا ما نقرأه عند امية بن عائذ الهذلي (شرح اشعار الهذليين ٢/٤٩٩) اذ ينجو الحمار ويفر هاربا بينما تقع الاتن في شباك الصائد . ويموت الحمار في الرثاء كما في شعر ابي خراش الهذلي (شرح اشعار الهذليين ٣/١١٩٠)
وقد يكون الصائد حيوانا اقوى كقصة الصقر الذي رأى ارنبا فطارده بكل قواه والارنب الضعيف يجاهد للافلات من قبضة الصقر ولكنه لا يقوى على ذلك فيقع في الفخ لان حكم المنية لا يرحم احدا . (شرح اشعار الهذليين ٣/١١٩٣ ، لابي خراش ايضا في الرثاء) .
وقد تكون قصة الصيد لغرض المتعة ويشترك فيها الحصان بدل كلاب الصيد الضارية . يراجع : (ديوان حميد بن ثور ، ص٤٢) . ويراجع ايضا : ديوان حسان بن ثابت ، ص٢٣٨) .

(٦١) ديوان الحطيئة ، ص٣٧٦ ، ومنها قوله :
وكأنّ رحلي فوق أحقب قارح بالشسّطين نهاقه تعشير

قولنا بأنها تقليدية منذ عصر ما قبل الاسلام الى نهاية العصر الاموي(٦٢) .

ومما تجدر الأشارة اليه ان قصص الحيوان في كلا العصرين اعتمدت الوصف كاسلوب متميز من اساليب العرض للاحداث والربط بينها ، ولهذا فان وجوده ضمن القصة لا يخل بها ولا يغير احداثها فيخرجها من قالبها القصصي الى صورة وصفية لحيوان معين،بل العكس هو الصحيح،فهو يقرب ويجمع شتات احداثها وشخوصها ويدفعها الى امام لتحقق الغرض الاصلي او الهدف من تلك الحكاية او القصة التي يسردها الشاعر . والمثال واضح في قصة أبي ذؤيب التي رثى بها ابناءه الخمسة واستعان بالوصف أثناء سرد قصصه الثلاث ثم جسد في وصفه لابطال تلك القصص صورة متكاملة للكائن الحي القوي النشيط وهو يعيش حياته بكل هناء وسعادة مع اهله تارة كحمار الوحش ومنفردا اخرى كالثور الوحشي ، والمحارب البطل ثم يستعين بالوصف تارة اخرى ليرسم للقدر والموت المحتم على كل حي صورة صياد جائع هزيل تتبعه كلابه المدرّبة الشرسة وتبدأ المطاردة والصراع من اجل البقاء ويتدخل القدر ليحسم ذلك القتال لصالح الصائد ، أو بالاحرى ليؤكد حتمية الموت الذي لاتنفع معه أية تعويذة :

واذا المنية أنشبت اظفارها   الفيت كل تميمة لا تنفع

كذلك استعمل الشعراء في قصصهم تلك ، التشبيه والتمثيل سواء في أثناء الوصف او عند تتابع الاحداث او في نهايتها لتأكيد وتجسيد صفات القوة والنشاط مثلا كما في قصص ابي ذؤيب وامثلته الثلاثة كقوله في حمار

(٦٢) ولابي ذؤيب قصتان أخريان في غرض العبرة والموعظة لحمار وحشي وثور مع بقر وحشي ، الاولى دون صائد ، والثانية بنفس اسلوب قصة الحمار واتنه ، ولكن الشاعر يجعله منتصرا على الصائد وكلابه ، شرح اشعار الهذليين جـ١/٥٦ ، ٦٠ .

الوحش وهو يصف مرحه وصخبه ونهيقه المتواصل كأنه عبد من عبيد آل ربيعة الكثيرين :

صخب الشوارب لايزال كأنّه عبـــد لآل أبي ربيعة مسبع

أو قوله في الأتن اللواتي اندفعن مجتمعات امامه مسرعات الى المـاء كأنهن ابل انتهبت فجمعت الى بعضها :

فكأنّها بالجزع بين ينابع وألات ذى العرجاء نهب مجمع

وقوله في الحمار وهو يدفعها امامه كأنه لاعب الميسر :

وكأنّهنّ ربـــابـــة وكأنّه يسر يفيض على القداح ويصدع

او في الحمار المندفع كأنه الحديدة التي يجلو بها الصيقل :

وكأنّما هو مدوس متقلب بالكفّ الاّ أنّه هو أضـلع

وقوله في قصة الثور وهو يصوّر المشهد الاخير منها عنـدمـا تنتهي معركته مع كلاب الصائد ويهزمها ويشتت شملها ، ثم يصوّب الصائد سهما قاتلا اليه فيكبو ويسقط صريعا جثة هامدة كأنه فحل ابل ميت :

فكبا كما يكبو فنيـق تـارز بالخبت الاّ انّه هو أبرع(٦٣)

وفي هذا التشبيه او التمثيل يهدف الشاعر الى تأكيد سلطان القدر والموت على كل كائن مهما كان قويا ضخما صحيحا ، وهو بهذا يحقق الغرض من ذكر امثلته الثلاثة السابقة ضمن رثائه لابنائه الخمسة (٦٤) ٠

---

(٦٣) شرح اشعار الهذليين ١/٤ وما بعدها ٠ وقد مرّ ذكر هذه الشواهد ضمن قصص الحيوان في بداية هذا الفصل ٠

(٦٤) ومن اسلوب التشبيه والتمثيل ما ورد في قصة صخر الغى عن العقاب :

كأن قلوب الطير في جوف وكرها نوى القسب يلقى عند بعض المآدب

وقوله ايضا في جناحها المكسور :

بمتلفة قفـــر كأنّ جناحهـــا اذا نهضت في الجوّ مخراق لاعب

شرح اشعار الهذليين ١/٢٥٠ ٠

الفصل الســابع

القصة الاجتماعية في العصر الاموي

القصة الاجتماعية في العصر الاموي

المجتمع العربي في العصر الاموي هو امتداد للمجتمع العربي في عصر ما قبل الاسلام وصدر الاسلام حيث كان الطابع العربي هو السمة البارزة للدولة العربية الاموية ، ولهذا فان الصفات الاجتماعية الانسانية الاصيلة التي وجدناها في قصص الشعراء الاجتماعية في العصور السابقة بقيت على نهجها السابق في جميع نواحي الحياة السلبية والايجابية ورغم التوسع في الفتوحات والالتقاء بمجتمعات جديدة والاختلاط معها ، الا ان كل ذلك لم يغير طوابع المجتمعات الاسلامية في ذلك العصر . والدليل على ذلك النصوص الشعرية التي لدينا فيما يتعلق بالقصة الشعرية الاجتماعية ، فهي لم تخرج كثيرا في كل اغراضها عن الموضوعات التي عدّها الشعراء السابقون مادة لقصصهم الاجتماعية ، ويمكننا حصرها فيمايلي :

القصص الاجتماعية الخاصة ـ وهي التي تحكي قصصا عن حياة الشاعر وقبيلته ، ثم الشاعر واسرته واهله .

القصص الاجتماعية العامة ـ وتحكي قصصا عن علاقة الشاعر بالدولة ـ الشاعر والمجتمع ـ الشاعر والطبيعة .

اما الاغراض التي تحتوي تلك القصص فهي اغراض الشعر الاعتيادية ذاتها كالمدح والهجاء والفخر ، والوصف .

وسنختار من تلك النماذج ابرزها في تأكيد الروح القصصية ضمن الحدث الذي ترويه .. ولنبدأ بالقصص التي تخص الشاعر وحياته الخاصة ، وهي لاتخرج في الغالب عن علاقة الرجل بزوجته وظاهرة سهولة الزواج والطلاق التي روينا نماذج لها في شعر صدر الاسلام : في شعر الشماخ بن ضرار ، وابي الاسود الدؤلي ، اما في العصر الاموي فابرز الشواهد لدينا هي : قصة اعشى همدان وزوجته . الاولى وهي ام الجلال التي عاش معها زمنا طويلا ثم دفعه الملل منها الى التماس زوجة اخرى هي جزلة او خولة ، وقد وافقت على طلبه ولكنها اشترطت عليه تطليق زوجته الاولى ام الجلال وفعلا حقق رغبتها فتم زواجه منها ، ولكنها كرهته بعد الزواج . وقد روى حكايته مع زوجتيه الاولى والثانية في قصيدتين مختلفتين ، ولكن احداهما تكمل أحداث الاخرى ، وترويان واقع حياته معهما من وجهة نظره الخاصة فمثلا قال في حكايته مع زوجته الاولى ام الجلال مستعملا صيغة الخطاب الذي ضمنه تلك الاحداث :

تقادم ودّك أمّ الجلال
فطاشت نبالك عند النصال
وطال لزومك لي حقبة
فرثّت قوى الحبل بعد الوصال
وكان الفؤاد بها معجبا
فقد أصبح اليوم عن ذاك سالي
صحا لا مسيئا ولا ظالما
ولكن سلا سلوة في جمال

لقد عاشت معه عمرا طويلا ولزمته حقبة من الزمن ، وكان معجبا بها محبا لها ، ولكنه بدأ يمل عشرتها ويسلوها ويريد مفارقتها ، وكان سبيله الى ذلك افتعال المشاكل معها وتذكر مساوئها ونسيان طيبتها ومحبتها

وتسامحها ، وكانت عين البغض والكراهية تصور له كل محاسنها ومساوئها وكل اقوالها شتائم لا تغتفر :

ورضـــت خلائقنـا كلّهـا
ورضنا خلائقكم كـلّ حـال
فأعييتنـا في الـذي بيننـا
تسـومينني كـلّ امر عضال
وقـد تأمرين بقطع الصّـديق
وكان الصديق لنـا غـير قال
واتيـان ما قـد تجنّبتـه
وليـدا ولمت عليـه رجـالي
أفاليـوم أركـبه بعـدما
علا الشّيب منّي صميم القذال

وواضح من حديثه ان زوجته تعيش معه حياة طبيعية رغم ما يدعيه من انها تسومه الويل ليبرر لنفسه طلاقها مؤكدا لها مع ذلك صلابته وكرم خلقه وعراقة نسبه :

لعمـر ابيـك لقـد خلتني
ضعيف القوى او شديد المحال
هلمّي اسألي نائلا فانظـري
أ أحرمك الخير عنـد السؤال
ألـم تعلمـي أنني معـرق
نماني الى المجـد عمّي وخالي
فبعض العتاب فـلا تهلكـي
فلا لك فـي ذاك خيـر ولا لـي

ولقد حاولت الدفاع عن نفسها فرفض الاستماع اليها مؤكدا عـــدم جدوى ذلك واخيرا طلقهـــا وارسلها الى اهلها مفاخرا بانها لا زالت تحبّــه وتحنّ اليه حنين الابل الحزينة اثر من لا يسأل عنها ولا يبالي بها ، ويشير بذلك الى نفسه مؤكدا انه لن يعود اليها او يرجعها الى بيتها وحياتها معه ابدا ، ثم يقسم انه غير نادم على طلاقه لها :

فلمّا بـدا لـي منهـا البــذا
ء صبحتها بثـلاث عجـــال
ثلاثـا خـــرجـن جميعا بهـــا
فخلّيتهـا ذات بيـت ومـــال
الى اهلهـــا غيـــر مخلـــوعـــة
وما مسّـــها عنـدنا من نكـال
فأمســـت تحنّ حنـــين اللّقا
ح من جـزع اثـر من لا يبالي
فحنّـــي حنينــــك واستيقني
بأنّـــا طـرحناك ذات الشّمال
وأن لا رجوع فـــلا تكذبيـ
ن ما حنّت النّيب اثر الفصال
ولا تحسـبين بـأنّي ندمـــ
ـت كلاّ وخالقنا ذى الجلال(١)

---

(١) الصبح المنير في شعر ابي بصير ، ص٣٣٨ ٠ ولقد اورد الاصبهاني حكايته مع زوجتيه في الاغاني ٥/١٥٦ وقال ان زوجته ام الجلال قالت له بعـد ان سمعت مقالته فيها وتطليقه لها : (بئس والله بعل الحرّة وقرين الزوجة المسلمة انت ويحك اعددت طول الصحبة والحرمة ذنبا تسبني وتهجوني به ثم دعت عليه ان يبغضه الله الى زوجته التي اختارها وفارقته ، فلمـــا انتقلت الى اهلها وصارت جزلة اليه وتزوجها لم يحظ عندها ففركتـــه وتنكرت له واشتد شغفه بها) ٠

وبهذا القسم الغليظ انهى الشاعر حكايته مع زوجته ام الجلال وهي حكاية واقعية صغيرة ذات حدث واحد وزمان محدد بنطاق ذلك الحــدث وتطوره ، اما مكانه فهو بلاشك بيت الشاعر الذي كانت تعيش فيه معه زوجته المطلقة ، اما اسلوبه فهو الحوار الخطابي الموجه الى المرأة دون انتظار اجابتها عليه لان ذلك مرفوض من قبل الزوج بدليل قوله :

فبعض العتاب فلا تهلكي . فلا لك في ذاك خير ولا لي

وقــولــه :

فلما بدا لي منها البذا ءصبّحتها بثلاث عجال

اما الزوجة الثانية او بالاحرى العروس التي زفت اليه بعد رحيل الاولى فقد كرهته بعد الزواج اشد الكره ، ولهذا قال يخاطبها بلهجة العاشق الولهان الذي اذله الوجد وبدأ قصيدته بالتحية والسلام عليها ثم اخذ يحكي حالها من الهجر والصدود معه رغم حبّه الشديد لها وشغفه بها :

حيّيا جــزلة منّي بالســلام
درّة البحــر ومصباح الظـلام
لاتصدّي بعـد ودّ ثــابــت
واسمعي يا امّ عيسى من كلام
ان تدومي لــي فوصلي دائـم
او تهمّي لــي بهجـر او صــرام
او تكوني مثل برق خـلّــب
خادع يلمع في عرض الغمـام

وواضـــح انهـــا ندمت على زواجهـا منه رغم ما اتفقا عليه مـن مواثيق وعهود يتمنى بلهفـــة ان تحــافظ عليهـا ولا تبــدي له الجفــاء

والكراهية بعد ان حقق لها كل ما ارادت فتخيّب ظنه في حبها الذي يبدو له كالبرق اللامع في وسط الغيوم :

فاعلمي ان كنت لمّا تعلمي
ومتى ما تفعلي ذاك تلام
بعد ما كان الذي كان فلا
تتبعي الاحسان الاّ بالتمام
لا تناسي كلّ ما اعطيتني
من عهود ومواثيق عظام
واذكري الوعد الذي واعدتني
ليلة النصف من الشهر الحرام
فلئن بدّلت او خست بنا
وتجرّأت على أمّ صمام(٢)
لا تبالين اذا من بعدها
ابدا ترك صلاة او صيام

ورغم تلك التوسلات والعواطف المتدفقة الا انها تبقى كارهة له ولعشرته وهذا ما يثير ألمه فيتمنى لو تخبره ان كان فعل ما يؤلمها او يغضبها حتى يرجع عنه (٣) .

راجعي الوصل ورديّ نظرة
لا تلجّي في طماح واثام
واذا انكرت منّي شيمة
ولقد ينكر ما ليس بذام

---

(٢) ام صمام : الخيانة والغدر .
(٣) الصبح المنير في شعر ابي بصير ، اعشى همدان ، ص٣٣٩ ، (الاغاني ١٥٧/٥) .

فأذكريها لي ازل عنهـــا ولا

تسفحي عينيك بالدّمع السّجام

واری حبلك رثّـــا خلـــقا

وحبالي جـــددا غيـــر رمـام

ويبدو ان كبر سنه وشيب رأسه هما اساس ذلك الكـــره ، وهمـا جريمته الوحيدة امام زوجته التي كرهته :

عجبت جزلـــة منّي ان رأت

لمّتي حفّت بشيب كالثغـام

ورأت جسمي عـلاه كـــبرة

وصروف الدّهر قد ابلت عظام

وصليت الحرب حتى تركـت

جسدي نظوا كاشلاء اللحام

اما هي فما زالت شابة ناعمة ممتلئة الجسم رائعة الجمال ، ولهـذا تنكرت له وانكرت شيبه وكبر سنه وخانت بذلك عهودها معه :

وهي بيضــــاء على منكبهـا

قطـط جعـد وميّال سـخام

كملت مـــا بـين قـــرن فالـي

موضع الخـلخال منهـا والحزام

فـأراها اليوم لي قد احدثت

خلقا ليس على العهد القـدام(٤)

---

(٤) الصبح المنير في شعر أبي بصير ـ اعشى همـــدان ص٣٣٩ (الاغـاني ٥/١٥٧) .

وتمتاز حكاية الاعشى مع زوجتيه بالصدق والبساطة وسلاسة الالفاظ والمعاني فضلا عن الربط بين اجزاء الحدث فيها بشكل منطقي سليم ، كل ذلك ضمن اوزان وموسيقى شعرية خفيفة قريبة المأخذ رغم انها تدور حول مشكلة عائلية يعاني منها الشاعر ، الا انه تعمد روايتها وعرضها بهذا الاسلوب السهل حتى يفهمها الجميع ليشاركوه معاناته ويساعدوه في حلّها ان امكن ، وحكايته هذه حكاية انسانية لانها تصلح لكل زمان ومكان ، ولانها تلائم كل زوجين يواجهان نفس الظروف التي واجهها الاعشى وزوجته، وهي أيضا درس بليغ لكل منهما (٥) .

ومن قصص الاسرة ايضا حكاية صغيرة لعبدالله بن معاوية يذكر فيها خطبته لامرأة رفضته وفضلت غيره عليه مما جعل زوجة عبدالله تشمت به فندم على فعلته ورجع الى زوجته وهو يقسم بأنه لن يسوءها ابدا ما عاش ، أما حكايته فقد رواها في مقطوعة صغيرة باسلوب الخطاب لزوجته مع السرد القصصي :

سلا ربّة الخدر ما شأنها
ومن أيما شأننا تعجب

(٥) وللفرزدق حكاية أسرية مماثلة مع زوجته النوار التي تزوجها برغم ارادتها فكرهته وارادت فراقه ولكنه كان يحبها ويرغب في الحفاظ عليها ، ومع ذلك طلّقها ثم ندم على فعلته وقال قصائد كثيرة في ذلك منها : (ديوانه ١/٦٠٣) .
ومن قصص العائلة والزواج حكاية لكثير عزّة .. فقد أحب امرأة وطلب الزواج منها فوافقت على ان يعد المال اللازم لذلك ، وفي الطريق اليها صادف غرابا يفحص الترب برجله ، وظباء سوانح فتشاءم كعادة العرب وسأل خبيرا بهذه الامور فقال له انها اما أن تكون قد ماتت او تزوجت غيرك . (ديوان كثير عزة ، ص٤٦٩) .

فقلت له مـاذا ترى في سوانح ... وصوت غراب يفحص الوجه بالترب
فقال جرى الظبي السنيح ببينها ... وقال غراب : جدّ منهمر السكب
فألاّ تكن ماتت فقد حال دونها ... سواك خليل باطن من بني كعب

فلســـت بـأول مـــن فاتــه
علـــى اربـــه بعض مـا يطـلب
وكـائن تعرض مـــن خاطـــب
فـزوّج غيـــر التـــي يخطـــب
وأنكحهـــا بعـــده غيـــره
وكانـت لـــه قبـــله تحجـــب
وكنـّا حديثا صفيين لا
نخـــاف الوشـاة ومـا سـبّبوا
فان شطـّت الدار عنـــا بهـــا
فبانت وفـــي النـاس مسـتعتب
وأصبح صدع الذي بيننـــا
كصـــدع الزجـاجة ما يشـعب
وكالدّر ليست لـــه رجعـــة
الى الضّرع من بعـد ما يحلب(٦)

ومن قصص الاسرة ما يرمز الى قوة الرابطة الزوجية وثباتها مهما كانت الظروف واجمل الشواهد على ذلك قصة عبدالله بن الحر وزوجته أم توبة ، وكان ابن الحر من فتّاك العرب وأبطالهم المشهورين بالشجاعة والفروسية وشدة البأس وكان يقود جماعة من الفرسان الشجعان يسلبون وينهبون في منطقة السواد ، وعندما جاء المختار (وعلم ما يصنعه بالسواد أمر بامرأته أم سلمة

---

(٦) شعر عبدالله بن معاوية ص٢٨ ، ومن قصص الاسرة ايضا حكاية القتّال الكلابي مع زوجته (ديوانه ، ص٤٧) ، يروى فيه طلاقه لزوجته بعد أن وجد عندها رجلا غيره (وهو جرير بن الحصين) :

ولمّـــا أن رأيت بنـــي حصـــين — بهـم جنف الى الجـــارات بـاد
خلعت عـــذارها ولهيـــت عنهـا — كما خـلع العذار عـن الجـواد
وقلت لهـا : عليـــك بني حصين — فما بيني وبينك من عواد ٠٠ الخ

الجعفية فحبست ، وقال : والله لاقتلنّه أو لاقتلنّ اصحابه ، فلما بلغ ذلك عبدالله بن الحر أقبل في فتيانه حتى دخل الكوفة ليلا ، فكسر باب السجن ، وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه . فبعث اليه المختار من يقاتله ، فقاتلهم حتى خرج من المصر)(٧) .

لقد استعاد ابن الحر زوجته الغالية ، وثأر لكرامتها المهدورة حيث قاد مائة وثمانين فارسا يحملون الفؤوس والكلاليب وهاجم بهم السجن وانقذ زوجته ومن معها ، فخرجت شامخة مرفوعة الرأس يشرق جبينها بنور الحرّية وتملؤه الثقة بفارسها البطل الذي افتداها بنفسه وكاد يموت في سبيلها ، ولنسمعه يروي حكاية البطولة والشهامة والنجدة والبأس في قصيدته الرائعة التي أودع فيها احاسيسه المتدفقة نحو زوجته،وكانت مناجاة رائعة تغنّى بها فارس شهم لأعز انسانة لديه :

ألم تعلمي يا أمّ توبة انني
انا الفارس الحامي حقائق مذحج
وأنّي صبحت السجن في سورة الضحى
بكلّ فتى حامي الذّمار مدجّج
فما أن برحنا السّجن حتى بدا لنا
جبين كقرن الشّمس غير مشنّج
وخدّ اسيل عن فتاة حيية
ألا فسقاها كلّ مزن مبعّج

لقد اوجع قلبه ما فعل بها اولئك الاشرار(٨) ، فكان انتقامه رهيبا

---

(٧) الطبري ٦/١٢٩ .

(٨) اشار الى ذلك في قصيدة طويلة له (شعراء أمويون ١/١٠٢) منها قوله :

هم هدموا داري وقادوا حليلتي — الى سجنهم والمسلمون شهودي
وهم اعجلوها أن تشدّ خمارها — فيا عجبا هل الزمان مقيدي
فما أنا بابن الحرّان لم ارعهم — بخيل تعادي بالكماة اسود

(الطبري ٦/١٣٠) .

وغضبته جامحة دمرت كل من وقف في طريقه ، كل ذلك لاسترجاع رفيقة حياته وحبيبته ومنية نفسه لتعود الى ايامهما حلاوتها وصفاؤها :

فما العيش الا ان ازورك خاليا
كعادتنا من قبل حربي ومخرجي

وما انت الا منية النفس والهوى
عليك سلام من حبيب مسحَّج

وما زلت محرونا بحبّك واجما
وانّي لما تلقين من بعده شجي

ان صرخة الفروسية في كيان هذا البطل تدفعه للاستماتة في سبيل صيانة المحارم وابقائها عزيزة بحد السيف وسفك الدماء ، وهذه المثل الكريمة هي من صفات الفارس العربي الاصيلة منذ عصر ما قبل الاسلام لم تستطع التطورات الاجتماعية والنقلة الحضارية سلبها اصالتها وعمقها ونقاءها ، ولهذا اندفع هذا البطل بتأثير تلك المبادىء والمثل الى اقتحام السجن وانقاذ زوجته :

فبا الله هل ابصرت مثلي فارسا
وقد ولجوا عليك من كل مولج

ومثلي حامي دون مثلك انني
أشدّ اذا ما غمرة لم تفرّج

اضاربهم بالسيف عنك لترجعي
الى الامن والعيش الرفيع المخرفجِ

اذا ما احاطوني كررت عليهم
ككرّ أبي شبلين في الخيس محرج

وفي هذا الموقف المهيب تصرخ الزوجة السجينة وقد رأت السيوف تحيط بزوجها طالبة منه ان يتوقف عن قتالهم وينجو بنفسه ، ولكنه يرفض الهزيمة والتراجع ويصمم على المضي في مهمته ليبقى في نظر فرسانه واتباعه القائد البطل الذي يطيعونه في كل ما يأمرهم به وينفذون كل طلباته :

ولا غرو الا ّ قول سلمى ظعينتي
أما أنت يا ابن الحر ّ بالمتحرج
دع القوم لاتقتلهم وانج سالما
وشمّر هداك الله بالخيل واخرج
وانّي لأرجو يا ابنة الخير ان أرى
على خير احوال المؤمّل فارتجي
ألا حبّذا قولي لأحمر طيء
ولابن خليد قد دنا الصّبح فادلج
وقولي لهذا سرْ وقولي لذا ارتحل
وقولي لذا من بعد ذلك أسرج
وسيري بفتيان كرام أحبهم
مغذّا وضوء الصّبح لم يتبلّج
يطيعون متلافا مفيدا معدّلا
به يرتجي عفو الغني كلّ مرتج(٩)

انه يأمل العودة الى حياة الصعلكة والفتك فيقود الفرسان ، يأمر هذا بالسير وذاك بالتوقف وغيره باسراج الخيل يطيعه الجميع دون نقاش ليحقق لهم الحياة الكريمة والمال الوفير .

---

(٩) شعراء امويون ١/٩٩ .

لقد عرض هذا الفارس حكايته كما حصلت بكل امانة ، ولقد كان بارعا في ربط احداثها الداخلية وتنويع الحوار فيها بين الخطاب المباشر او الحديث المشترك ، وقد بدأها كما رأينا بدخول مباشر في الحدث وهو مغامرته او مخاطرته باقتحام السجن وانقاذ زوجته ثم اخذ بعد ذلك يدور حول الحدث ، فيذكر دافعه اليه وهو حبه لزوجته الجميلة الرائعة وحزنه لما اصابها ، وهي منية قلبه ثم رغبته باعادتها الى بيتها وحياتهما المشتركة ليعيشا معا في سعادة ، ومن أجل ذلك هانت عنده تلك المخاطر او يرجع الى الحديث عن تفاصيل تلك المغامرة ومقاومة الحراس له وهجومهم عليه وضربه لهم بالسيف الى شبح الموت المخيم على الجميع والذي حدا ببعض رجاله الى الهرب رغم دعوة ابن الحر له لمعاونته :

دعوت اليّ الشاكريّ ابن كامل
فولّى حثيثا ركضه لم يعرّج
ولو يدعني باسمي كررت عليهم
خيول كرام الضرب اكثرها الوجي

ويركّز الشاعر الفارس على هذا الجانب الخطر في الحدث ليجسّمه اكثر فيقول :

ان خطر الموت دفع زوجته هي أيضا الى ان تطلب منه الهرب والنجاة بنفسه رغم ما تعرفه عنه من فروسية وشجاعة ، ثم يختمها بمشهد جميل من مشاهد التهيؤ للقتال او الهجوم على الاعداء وهو يمثل جانبا رائعا ومتدفقا بالحيوية من حياته اليومية الحافلة بالمخاطر فكأنه بذلك يقول ان ما قمت به من عمل رائع لانقاذ كرامة زوجتي ما هو الا جزء يسير مما اقوم به في حياتي الاعتيادية اليومية مع فرساني ، لانني ابن المخاطر والحرب . ولقد كان هو وزوجته ابطال الحكاية الرئيسيين كما هو واضح من حركة الاحداث ، ومع ذلك فانه اعطى لكل بطل من ابطاله الثانويين دورا حساسا في حكايته

البطولية وجعلهم كالنجوم اللامعة التي تستمد منه ضوءها ، ولكنها تظل تدور في فلكه لتجسّد اهمية وجوده في دائرة الحدث نفسه .

ومن قصص اللصوص والسجناء ايضا قصة رائعة لشاعر من الفتاك أيضا كان الحجّاج قد أمر بالقاء القبض عليه وجلبه حيا او ميتا وهو جحدر ابن معاوية العكلي وعندما قبض عليه جيء به وهو يرسف في قيوده فحكم الحجاج عليه بمنازلة أسد ضار فان قتل الاسد أفرج عنه وكافأه ، وان قتله الاسد كفاه مؤونته ومتاعه . وقد حكى الشاعر تلك الواقعة وهو في القفص مع الاسد يتصارعان من اجل البقاء وعكس مشاعره وحماس واحاسيس المتفرجين حول حلبة المصارعة فكان منهم الخائف او الشامت ومنهم من خنقته عبراته فغص بها وغير ذلك من مشاهد الرعب التي سنقرأها في حكايته هذه التي جعلها بصيغة خطاب الى امرأة سماها جمل ، وهو يزهو امامها ببطولته وصموده ثم أخيرا قتله للأسد وقطعه لرأسه بحد سيفه :

ياجمل انك لو شهدت كريهتي
في يوم هول مسدف وعجاج

وتقدميّ لليث أرسف موثقا
كيما أكابره على الاحراج(١٠)

جهم كأنّ جبينه طبق الرّحى
لمّا بدا متعجّر الاثباج(١١)

أقبلت أرسف بالحديد مكبّلا
للموت نفسي عند ذاك أناجي

(١٠) الاحراج : مفردها الحرج وهو ما يلقى للكلب من صيده . ارسف : امشي بالقيد .
(١١) الاثباج : جمع ثبج ـ ما بين الكاهل الى الظهر .

والناس منهم شامت وعصابة
عبراتهم بي في الحلوق شواجي
قرنان محتضران قد محضتهما
أم المنيّة غير ذات نتاج
نازلته ان النزال سجيتي
انّي لمن سلفي على منهاج
وعلمت انّي لو أبيت نزاله
انّي من الحجّاج ليس بناج
ففلقت هامته فخرّ كأنه
أطم هوى متقوّض الابراج
ثم انثنيت وفي قميصي شاهد
ممّا جرى من شاخب الاوداج(١٢)

والقصة هنا ايضا حكاية حدث واحد ابطالها هم الشاعر الفارس والاسد وجمهور المتفرجين ، مجالها محدود هو حلبة المصارعة او القتال ، وقد رأينا نهايتها كما أوضحها الشاعر ، وهي قتل الاسد وتلطخ قميص الشاعر بدمه الغزير .. الخ وهي حكاية واقعية بسيطة استطاع الشاعر نقلها الى الآخرين باسلوب شائق في احداثه وموسيقاه . أم االفاظه فرغم غرابتها الا انها منسجمة وملائمة للحدث وأبطاله ، كما استعان الشاعر بالوصف لتجسيد قوة

(١٢) شعراء امويون ١/١٧٠ . (ويقال انه ارتجز في هذه المناسبة الابيات التالية :

ليث وليث في مجال ضنك	كلاهما ذو حنق ومحك
وبطشة في صولة وفتك	ان يكشف اللّه قناع الشك
بظفر من حاجتي ودرك	فذا احق منزل بترك

الضنك : الضيق . المحك : اللجاج . الدرك : الوصول .
(شعراء امويون ١/١٧٨) .

الاسد وشراسته ووحشيته حتى يؤكد للسامعين بشكل غير مباشر بطولته وصلابته كفارس عنيد استطاع قتل مثل ذلك الحيوان المفترس رغم انه مكبل بالقيود ..

ورغم ان الشاعر حكى تلك الحادثة الا انني اشك في النهاية التي وضعها لها ، فمن غير المعقول ان يستطيع قتل الاسد وهو مقيد اليدين والرجلين ، بينما الاسد حر طليق ، وضمن هذا التصور يمكنني وضعها ضمن مصطلح القصة لانها اعتمدت الخيال والمبالغة فيه ، والدليل على ذلك أن هناك قصيدة اخرى للشاعر بكى فيها نفسه قبل أن يصارع الاسد ، وودع أهله واحباءه ، واخبرهم بما فعل الحجاج معه ويأسه من الحياة (١٣).

وقصص السجون وتعذيب السجناء ظاهرة واضحة في شعر الشعراء مثل قصة يزيد بن مفرغ الحميري الذي سجنه عبيدالله بن زياد واهانه بأن ربطه الى خنزير وهر ودابة ، ثم سلبه املاكه وأخذ غلامه بردا وجاريته أراكة وذلك بسبب هجائه له (١٤) :

أيها المالك المرهّب بالقتـ
ـل بلغت النكال كلّ النكال

فأخش نارا تشوي الوجوه ويوما
يقذف النّاس بالدواهي الثقال

قد تعدّيت في القصاص وادركـ
ـت ذحولا لمعشر اقتال

---

(١٣) شعراء امويون ١/١٨٢ ، ومن قصص البطولة الفردية حكاية لمالك بن الريب عن قتله لرجل اسود قاطع طريق هاجمه ليلا وهو نائم (شعراء أمويون ١/٣٠) .

(١٤) شعر ابن مفرغ ص١٠٥ (هجاه بحكاية هربه من المعركة وتركه امه وقتله الحسين (رض) ، ص١٠٠ ، ٤١) .

وكسرت السـن الصحيحة منـي
لاتذلـن فمنكـر اذلالـي
وقرنتم مع الخنازير هـر[٣]
ويميني مغلولة وشمالي
وكلابا تنهشنني من ورائي
فكم السجن او متى ارسالي

يغسل الماء ما صنعت وقولي
راسخ منك في العظام البوالي

لو قبلت الفداء أو رمت مالي
قلت : خذه فدى لنفسي مالي(١٥)

ومن القصص الاجتماعية ما يخرج قليلا عن حياة الشاعر الخاصة والعائلية الى حياته العامة فيتحدث عن قبيلته ومفاخرها في الكرم والنجدة والشجاعة وحسن الجوار ٠ الخ من الفضائل الخلقية ٠ وللفرزدق امثلة كثيرة في هذا المجال في غرض الفخر فمثلا من قصص الكرم ٠ نقرأ له قصيدة فيها قصة على غرار قصة عمر بن الاهتم التي مرت بنا في صدر الاسلام ، وهي من كرم الاغنياء كما مر بنا(١٦) ، وكذلك له قصتان فى اكرام الذئب(١٧) ،

(١٥) شعر يزيد بن مفرغ الحميري ، ١٢٤ ، وقوله في ص٧٤ يذكر غلامه بردا وجاريته اراكة ، وفي ص١١٥ : يذكر خروجه من السجن ٠
ومن قصص السجون والتعذيب حكاية للشاعر عبدالله بن الزبير الاسدي عن تعذيب عبدالله بن الزبير لاخيه عمرو بن الزبير حتى مات في سجنه ثم غسل وكفن ودفن ٠ (شعر عبدالله بن الزبير ، ص١٣٣) ٠
(١٦) يراجع فصل القصة الاجتماعية في صدر الاسلام وشواهده في الكرم ٠ ديوان الفرزدق ٢/٨٩١ ـ ٨٩٣ ٠
(١٧) ديوان الفرزدق ١/٤٨٤ ، ومثلها قصته المشهورة مع الذئب (واطلس عسال) ، ديوانه ٢/٨٦٩ ٠

على غرار القصص التي مرت بنا في عصر ما قبل الاسلام وصدر الاسلام ، ومثلها للاخطل في اكرام الذئب والغراب معه في الصحراء(١٨) •

ومن قصص الكرم الطريفة المبتكرة قصة للراعي النّميري وهي من قصص كرم الفقراء(١٩) التي قرأنا نماذج منها في صدر الاسلام ، ولكن هذه القصة تبدو اكثر واقعية وقبولا عند القارىء من تلك القصص • ويحكي فيها قصة القوم الذين طرقوه في احدى الليالي في سنة مجدبة ، وكانت ابل الراعي قد خرجت الى المرعى ولا طعام عنده ومع ذلك تمكن من القيام بواجب الضيافة على أتم وجه :

عجبت من السّارين والريّح قرّة
الى ضوء نار بين فردة فالرحى
يشبّ لركب منهم من ورائهم
فكلّهم أمسى الى ضوئها سرى
الى ضوء نار يشتوي القد أهلها
وقد يكرم الاضياف والقدّ يشتوي(٢٠)

بهذه المقدمة الممهدة بدأ الشاعر حكايته وقد اعطى فيها صورة كاملة عن زمان القصة ومكانها وشخوصها وظروفها العامة ، يقول : لقد أثار دهشتي واستغرابي مجيء هؤلاء القوم في ليلة باردة الريح قاصدين نارنا التي كانت تلوح لهم من بعيد بين منطقتي فردة والرحى ، لقد كنّا في اشدّ

---

(١٨) ديوان الاخطل ١/٢٩٢ ـ ٢٩٤ •

(١٩) وهي على غرار قصة الحطيئة (وطاوي ثلاث •• الخ) مع اختلاف في نهاياتها واساليبها •

(٢٠) يصف تلك النار بانها نار قوم مضرورين مجهودين لا خير عندهم ولا طعام بفنائهم مضطرين الى شيّ القد لانه أعوزهم الى ما هو خير منه ، فتعجب وقد استضافهم هؤلاء السارون ثم قال : وقد يكرم الاضياف مع مجاهدة الفقر ومزاولة الضر ، اذا كان المضيف لطيف الحيلة رفيع الهمة •

حالات الجوع فأوقدنا تلك النار لشيء القد لاننا لم نجد خيرا منه ، ورغم ذلك الجهد وقلة الطعام فان الضيف قد يجد عندنا ما يسعده من الضيافة اذا كان احدنا واسع الحيلة ذكيا راغبا في فعل الكرم . واخيرا دخل اولئك القوم دارنا وأحسوا بحالنا وكانوا مثلنا في سوء الحال فشرحنا همومنا وبكينا سوية وكان دافعنا الى ذلك مخافة اللوم مما قد نتهم به من تقصير تجاه الضيوف بادعاء الفقر والضر ، وبكوا لما مسهم من مصائب الدهر التي أدت بهم الى الفقر والجوع والتماس الطعام حتى انهم شدوا بطونهم لخلوّ اجوافهم منه :

فلما أتونا فاشتكينا اليهم
بكوا وكلا الحيين مما به بكى

بكى معوز من ان يلام وطارق
يشدّ من الجوع الازار على الحشا

وعند هذا الموقف يكون جميع ابطال القصة في قمة المعاناة والصراع يواجهون محنتي الفقر والجوع اللتين وضعهما الشاعر فيهما بشكل تدريجي فكلاهما جائع وفقير والسنة مجدبة والزمن ليل بارد والنار موقدة ولكن احدهما ضيف محرج والآخر مضيف اشد حرجا منه ، فما الحل الذي يريح الطرفين ؟

وكان حل الشاعر بسيطا واقعيا اقرب الى الحقيقة من حل الحطيئة الخيالي . لقد قرر بعد طول تفكير ومعاناة أن يقوم بواجب الضيافة رغم ارساله ابله الى المرعى وذلك بذبح ناقة من نوق ضيفه السمان ذات الاسنمة العريضة ثم اعادتها اليه بعد عودة ابله ومعها ناقة أخرى ثنية ، وأومأ الى ابنه بذلك وفهم ابنه حبتر مراده وأدرك ما نوى فقام بتنفيذه بكل دقة :

فألطفت عيني هل ارى مـن سمينة

ووطنت نفسي للغرامة والقـرى(٢١)

فأبصرتها كومـاء ذات عريكـة

هجانا من اللائي تمتّعن بالصّوى(٢٢)

فأومأت ايماء خفيفـا لحبتـر

ولله عينـا حبتر أيمّـا فتـى (٢٣)

ترى بماذا أوحى لحبتر أن يفعل بتلك الناقة المختارة :

وقلت لـه ألصـق بأيبس ساقهـا

فان يجبر العرقوب لا يرقأ النّسا(٢٤)

فأعجبني مـن حبتـر أن حبتـرا

مضى غير منكوب ومنصله انتضى

لقد اشار عليه أن يصيب ساقها بضربة تدميها فتسقطها أرضا ولا سبيل لعلاجها أو شفائها مما يدفع صاحبها الى اليأس منها وقبول التعويض فيها ، وقد نفذ حبتر ابنه تلك العملية بذكاء بارع ونجح في مهمته ، وبهذا استطاع ضمان الضيافة لأولئك القوم وبات سعيدا هانئا بعد أن اطعمهم من لحمهـا

(٢١) الطفتله : أتحفته بما يشعر ويعرف به برّك ولطفك ، يقول نظرت بعيني نظرا لطيفا هل ارى في ابل الضيوف ورواحلهم ناقة سمينة انحرها لهم ، (واذا ردّت ابلي الى مباءتها اعوّضهم خيراً منها) .

(٢٢) كوماء : الطويلة السنام الغليظة . العريكة : السنام اذا عركه الحمل . هجان : كريمة . الصوى : الاعلام والحجارة ، اي رعت الحزن والسهل . ومعنى تمتعن : اي اقمن بها وبقين حتى استمتعن .

(٢٣) حبتر : اسم ابنه رسم له عرقبتها في السر بعد ان اختارها مخافة ان يمتنع صاحبها مما هماً به منها .

(٢٤) الايبس : ما قل عليه اللحم من الساق وغيرها ، والسيف اعمل فيه . اي اضرب العرقوب لانه ان امكن علاجه بالشد والجبر فان الـدم سـوف لا ينقطع مما يدفع بصاحبها الى الأس منها .

وشحمها وكأنه أزاح هما عن صدره ، وفي الصباح جاءهم الراعي بالابل فأعاد لضيفه ناقته واخرى معها هدية منه كما اسلفنا .

كأنّي وقد اشبعتهم من سنامها
جلوت غطاء عن فؤادي فانجلى
فبتنا وباتت قدرنا ذات هزّة
لنا قبل ما فيها شواء ومصطلى(٢٥)
وأصبح راعينا بريمة عندنا
بستّين أبقتها الاخلّة والخلا
فقلت لربّ النّاب خذها ثنيّة
وناب علينا مثل نابك في الحيا

والحكاية هنا كما رأينا ذات موضوع واحد هو الكرم ، ولكن الشاعر تفنن في أحداثها وأبدع في تسلسلها فجاءت مشوقة رغم واقعيتها وصدقها ، ممتلئة بالحركة والحوار رغم بساطتها مثيرة في عقدتها ، وممتعة في الحل الغريب الذي اوجده الشاعر لها . اما أبطالها فهم الشاعر المضيّف وابنه حبتر وضيوفهما الفقراء ، وكان كل واحد منهم ناجحا في حركته داخل القصة موفقا في الوصول بها الى نهايتها كما اراد الشاعر لها .

ومن القصص ما يجمع بين النجدة والكرم في اطار الفخر ، وهذا كثير أيضا في شعر الفرزدق . فمثلا قال يحكي قصة ذلك الاب الذي قتل ابنه ابن عم له ، فاراد الاب أن يعطي دية أبن أخيه فلم يستطع وطلبها عند اهله فاعجزه

---

(٢٥) بتنا لنا قبل ما اودع القدر شواء واصطلاء بالنار كأنه طال عليهم انتظار القدر ، فعمد الى اطايب الجزور وشوى . ذات هزة : اي لها هزيز بالغليان . (ديوان الراعي النميري ص١٧٤) . وللفرزدق قصة من كرم الفقراء ولكن الضيف وهو الفرزدق يذبح ناقته لان القوم الذين نزل بهم فقراء جدا .. (ديوانه ١/٩) .

ذلك وظل على هذا الحال زمنا طويلا يسأل من يراهم من القبائل : يا آل دارم الا فتى يحمل دية ابن اخي؟ يا آل مالك الا فتى يعقل دية ابن اخي؟ يا آل مجاشع .. الخ ، وبعد ان تفشل كل تلك المساعي تنصحه امرأة عجوز بأن يأتي المقر فيعوذ بقبر غالب بن صعصعة جد الفرزدق فلو كانت عشر ديات لتحملها ابنه عنه اذا بلغه ذلك . ففعل ما نصحته به وضرب الى جانب قبر غالب خباء وجعل يهتف يا غالب انّي عائذ بك لتحمل عن ابني دم ابن اخي ، فلما بلغ خبره الفرزدق في البصرة بعث اليه أن اقدم فان دية ابن اخيك عندي ، وبالفعل جمع له المال المطلوب واعطاه اياه فقال يذكر الحكاية (٢٦) .

اذا المرء لم يحقن دما لابن عمّه
بمخلولة من ماله أو بمقحم
فليس بذي حقّ يهاب لحقّه
ولا ذي حريم تتّقيه لمحرم

بهذه الحكمة بدأ حكايته . فالانسان الذي لا يساعد في حقن دم ابن عمه بما يملك فلا يستحق الاحترام والتقدير ، وقد اشار بذلك الى رفض أحد ابناء بني مجاشع وهو الحكم الابيضي وابن عم الاب السائل المساعدة في جمع الدية له :

أبى حكم من ماله أن يعيننا
على حلّ حبل الابيضيّ بدرهم
وقلت له مولاك يدعو يقوده
اليك بحبل ثائر غير منعم

وينتقل بعد ذلك الى محاولات ذلك الاب لجمع المال من قومه واحداً

(٢٦) ديوانه ٢/٧٥٧ ـ ٧٥٩ .

بعد الآخر وتوسلاته اليهم ان يساعدوه في محنته الخانقة وكان بينهم اهـــل الفتى القتيل الذي يطلب ديته ويريدون الثأر له :

بكى بين ظهري رهطه بعد ما دعـــا
ذوي المخّ مـــن احسابهم والمطعّم
فقال لهم راخـــوا خناقي وأطلقـوا
وثاقــي فانّي بـــين قتـل ومغـــرم
ومن حوله رهط أصاب أخاهـــم
بهازمة تحت الفـــراش المحطّم(٢٧)
بنو علّة مستبسلون قـد التـــوت
قواهم بثأر في المـــريـرة مسلم(٢٨)

وبعد أن فشلت كل تلك المحاولات لجأ الى قبر الرجل الكريم يستغيث به لانقاذ ولده تنفيذا لتلك النصحية المخلصة :

ولم يـــدع حتـى مـالـه عنـــد طـارق
ولا ســـائر الابنـــاء مـــــن متلـوّم
فقالوا استغث بالقبر أو أسمع ابنـه
دعاءك يرجع ريق فيـك الى الفـــم
فأقسم لا يختـار حيّـــا بغالـــب
ولو كان في لحد من الارض مظلم
دعا بين آرام المقـرّ بـــن غالـب
وعـــاذ بقبر تحتـــه خير أعظـم

(٢٧) الهازمة : الداهية • الفراش : واحدته فراشة : كل رقيق من العظم • وفراش الدماغ : عظام رقيقة تبلغ القحف •
(٢٨) بنوعلة : بنو امهات شتى من أب واحد •

وكانت استجابة الفرزدق سريعة لأنه الكريم الذي تهزه دعوة المستجير والمستغيث فينهض بحملها مهما كانت ثقيلة :

فقلت لـه أفريـك عـن قبـــر غالب
هنيدة اذ كانت شفاء مـن الدم[٢٩]
ينام الطريد بعدها نومـــة الضّحى
ويرضى بها ذو الاحنـــة المتجـــرم

وكانت الدية التي تحملها مائة ناقة ، وقد كان فخورا بما فعل فقال :

الا يا اخبرونـــي أيهـــا النـاس انمـــا
سألت ومن يسأل عن العلم يعلـــم
سؤال امرىء لم يغفل العلم صـدره
وما العالم الواعي الاحاديث كالعمي
ألا هـل علمتم ميتّـا قبـل غالـب
قرى مائة ضيفا ولـم يتكـــلم[٣٠]

والحكاية هنا تجمع بين الكرم والنجدة ، وقد رأينا ان الشاعر كان يروي احداثها مفاخرا بها ومستعينا بالالفاظ الفخمة الغريبة ليرتفع بهما الى مستوى

---

(٢٩) هنيدة : الاسم للمئة من الابل ·
(٣٠) ديوان الفرزدق ٢/ ٧٥٠ ـ ٧٥٩ ، ومثلها حكاية اخرى للفرزدق في اعانته عائذا بقبر ابيه ورفض قومه مساعدته فقدم ابنه لبطة رهينة عندهم وضمانا لاموالهم · (ديوانه ٢/ ٨٩٣) :

غدوت وقد ازمعـت وثبـة ماجـد ... لأفدي بابني من ردى الموت خاليا
غـلام أبـــوه المستجار بقبـــره ... وصعصعة الفكّاك من كـــان عانيا
رهنت بني السيد الاشائم موفيا ... بمقتولهم عنـــد المفـاداة غاليـا

وله ايضا في اعانته لأم عاذت بقبر غالب طالبة ارجاع ولدها الذي ارسل في الفتوح وقد لبّى طلبها وحقق مرادها (ديوانه ١/ ٩٤ ، ١/ ١٩١) ·

الحدث الذي يزهو به، وقد جعل ذلك الاب في محنة عندما رفض الجميع مساعدته بضمنهم اهله ، ثم أوصله الى الحل بواسطة تلك المرأة العجوز عندما دفعته للاستعانة بذكرى ذلك الرجل الكريم واللجوء الى قبره ، ثم انهى حكايته مفاخرا بقيامه بجمع المائة ناقة واستنفاره كل أهله لأحياء ذكرى جدهم الراحل ، وقد استطاع كما رأينا تحقيق ذلك فضمن لذلك الاب حياة ابنه .

وقصص النجدة واجارة المستغيث واحياء الوئيدات من مفاخر الفرزدق الدائمة وفي المعنى الاخير نقرأ حكاية عن اعانة ابيه لأم في ضمان حياة ابنتها الوليدة المهددة بالوأد :

وكان لنا شيخان ذو القبر منهما
وشيخ أجار الناس من كل مقبر
على حين لا تحيا البنات وإذ هُمُ
عكوف على الانصاب حول المدور
أنا ابن الذي رد المنيّة فضله
وما حسب دافعت عنه بمعور(٣١)
أبي احد الغيثين صعصعة الذي
متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر(٣٢)
أجار بنات الوائدين ومن يجر
على الفقر يعلم أنه غير مخفر

لقد بدأ حكايته بهذه المقدمة الفخرية كحقيقة اكيدة عن اهله واجداده ثم انتقل بعد ذلك الى مثل حقيقي على تلك المفاخر وهي حكاية تلك الأم التي

---

(٣١) المعور : المعيب من العورة .

(٣٢) يقول : ابي لايخلف اذا أخلفت انواء السماء . الغيثان : غيث السماء وغيث الارض .

أضر بها الحمل فانحل جسدها ، وكانت أنجبت بنتا فلجأت الى صعصعة جد الفرزدق ليشتري ابنتها ويحميها من الوأد فحقق لها أملها ورحم أمومتها المهددة :

وفارق ليل من نساء أتت أبي
تعالج ريحا ليلها غير مقمر(٣٣)
فقالت أجر لي ما ولدت فانّني
أتيتك من هزلي الحمولة مقتر (٣٤)
هجفّ من العثو الرؤوس اذا ضغت
له ابنة عام يحطم العظم منكر(٣٥)
رأى الارض منها راحة فرمى بها
الى خدد منها وفي شر محفر
فقال لها نامي فانّي بذمتي
لبنتك جار من أبيها القنوّر (٣٦)

ولا تختلف هذه الحكاية عن سابقتها في الهدف ، وهو تجسيد صفات النجدة واجارة الوئيدات وانقاذهن الا في طريقة العرض ، وتمتاز في الاخيرة بالايجاز والتركيز والاختصار في الابيات والاحداث رغم الاستعانة بالحوار والوصف الذي رسمت به صورة ذلك الاب لتبرر رغبته في وأد ابنته فهو فقير جدا غليظ الطبع جافي الخلقة بعيد عن الحنان والرقة .

---

(٣٣) فارق ليل:الفارقة ، المفارقة : المنفردة كالابل التي أضرّ بها المخاض فتمضي حتى تضع حملها منفردة .

(٣٤) هزلي الحمولة مقتر : زوجها فقير حمولته هزلى : قليل المال . والهزلى : هي الابل التي يحمل عليها زوجها .

(٣٥) هجف : جافي الخلقة . العثور : كثيرة الشعر . ضغت ، الضغو : البكاء .

(٣٦) القنور : الضيق الصدر السيء الخلق .
(ديوان الفرزدق ٢/٤٧٦) .

ومن قصص الاجارة ما يتوسع ليشمل الام واطفالها جميعا ، وهم في اشدّ حالات الجوع والانهاك والضعف كقصة للفرزدق عن لجوء احدى الامهات وأطفالها الخمسة اليه :

فكيف تريد الخفض بعد الذي ترى
نساء بنجد عيّل ورجالها(٣٧)
وسوداء في أهدام كلّين أقبلت
الينا بهم تمشي وعنّا سؤالها(٣٨)
على عاتقيها اثنان منهم وانّها
لترعد قد كادت يقصّ هزالها
ومن خلفها ثنتان كلتاهما لها
تعلق بالاهدام والشرّ حالها
وفي حجرها مخزومة من ورائها
شعيثاء لم يتمم لحول فصالها
فخرّت وألقتهم الينا كأنها
نعامة محل جانبتها رئالها(٣٩)
الى حجرة كم من خباء وقبّة
اليها وهلاّك كثير عيالها (٤٠)

وهي ايضا من الحكايات الصغيرة ذات الحدث القصير المدى التي تشبه القصص القصيرة في اختصار المسافة بين بدايتها ونهايتها وتشبهها كذلك في

(٣٧) العيل : جمع عائلة ، وهي المرأة الفقيرة .
(٣٨) الكلّ : اليتيم والثقيل لاخير فيه ، والاهدام : الثياب البالية .
(٣٩) المحل : الجدب . والرئال : جمع رئل وهو ولد النعام . يقول : خرّت اعياء وتعبا لانها لا قوة فيها .
(٤٠) ديوان الفرزدق ٢/٦١٨ ، ومثلها ديوانه ٢/٦٢١ .

تحديد مجال الحدث في زمان ومكان واحد فضلا عن قلة عـدد الابـطال الذين يستوعبهم بما يتلاءم والحدث الذي يحكيه الشاعر ٠

ومن القصص الاجتماعية الطريفة حكاية للشاعر القطامي في البخل ، وقد مرت بنا نماذج قصصية في البخل فى صدر الاسلام ، منهم من يهجـو ضيفه أو يراقبه في أثناء الاكل وغير ذلك(٤١) ٠ اما حكاية القطـامي فعلى العكس ، اذ أن الضيف يهجو مضيفه البخيل وهو يروي حكايته معه :

وانّي وان كـان المسـافـر نـازلا
وان كان ذا حقّ على الناس واجب
ولا بدّ أن الضيف مخبـر مـا رأى
مخبرٌ أهـل أو مخبّـر صاحـب
لمخبـرك الانبـاء عن أمّ مـنزل
تضيّفتهـا بين العـذيب فراسـب

انه يخبرنا عن حكاية غريبة جرت له في احدى سفراته مع امرأة عجوز صادفها في طريقه بين منطقتي العذيب وراسب ، ولقد طرقها في احدى الليالي المظلمة الشديدة البرودة ، القويّة الريح وقد جذبته نارها الموقدة في ذلك الليل الاسود طلبا للدفء والكرم ، ولم تكن تظن أن نارها في مرمى البصر ، ولهذا فوجئت بهذا الضيف الغريب وأفزعها بغام ناقته فصرخت به وهي تراه يقترب منها اليك عني واحذر من أن تذعر ركائبي،ولكنه كان قد أناخ الركاب واستعد للنزول عندها ليهرب من برودة الليل ويرخي قدميه اللتين ادمتهما وخزات البرد فبرزت عروقهما ، وشعر أن من واجبه ان يبدأها بالسلام وان كان واثقا من صدودها عنه بدليل أنها اجابته بسرعة ثم اعرضت عنه كأنها حية

(٤١) للحطيئة مقطوعة . اوردها ابن السكيت في ديوانه يرد بها على ضيفه الذي هجاه ص٣١٧ ، ٣١٩ ٠

تخشى ضربة على رأسها ، ولكنه توسل اليها أن لاتفعل هذا معه لانّه ما طرقها الا للراحة والضيافة ثم بعد ذلك يواصل السفر ثم جلس واخذ يتبادل الحديث معها وقد جره الحديث الى سؤالها عن قومها ؟ فأجابت اجابة عامة مبهمة انهم معشر من محارب .. وهم قوم فقراء اجهدهم الجوع وقلة الهمة فدفعهم الى شيٍّ القد رغم ما يتمتع به غيرهم من سعة في المأكل والمشرب.وبهذا الجواب أحس الشاعر أنها غير راغبة في وجوده عندها رافضة لضيافته ، فقام الى ناقته الكريمة واعتلاها ليهرب بها بعيدا عن تلك المرأة :

تلفّعت في طـــلّ وريـح تلفّنـي
وفي طرمســـاء غير ذات كواكـب(٤٢)
الى حيزبون توقـــد النّـــار كلّمـا
تلّفعت الظلمـــاء مـــن كـــلّ جانب
تصلّى بهـــا بـرد العشاء ولم تكن
تخال وميض النار يبدو لراكب(٤٣)
فمـا راعهـــا الاّ بغـــام مطيّتي
تريح بمحسور من الصّوت لاغـــب
تقول وقد قـــرّبت كورى وناقتي
اليـــك فـــلا تـذعـر عليّ ركائبي
فجنّت جنونا مـن دلات منيخـــة
ومن رجل عاري الأشاجع شاحب(٤٤)
سرى في جليد الليل حتى كأنّمـــا

(٤٢) الطرمساء : الظلمة الشديدة .
(٤٣) الوبيص : البريق .
(٤٤) دلات : ناقة ماضية . الاشاجع : مفردها الاشجع : في اليد والرجـــل والعصب الممدود فوق السلامي من بين الرسغ الى اصول الاصابع فـوق ظهر الكف .

تـخزّم بالاطراف شوك العقـارب(٤٥)

فسلّمت والتسليم ليس يســرّها

ولكنّـه حقّ على كــل جانـب(٤٦)

فردّت سلاما كارهـا ثـم اعرضـت

كما انحازت الافعى مخـافـة لازب

فقلـت لها لا تفعلي ذا براكـب

أتاك مصيب مـا أصـاب فذاهـب

فلمّـا تنازعنا الحـديث سألتها

من الحيّ؟ قالت معشر من محـارب

من المشتوين القدّ ممّـا تراهـم

جياعا وريف النّاس ليس بناضـب

فلما بدا حرمانها الضيف لـم يكن

عليّ منـاخ السوء ضـربة لازب

فقمت الى مهريّة قـد تعـوّدت

يداها ورجلاها خبيب المواكـب(٤٧)

والقصة هنا متكاملة في احداثها وشخوصها وحوارها وفـي زمانهـا ومكانها ٠ لم يغفل الشاعر أيا من تلك العناصر ضمن حكايته تلك ، ولقـد كانت ذروة الصراع النفسي عنده واضحة في اعراض المرأة عنه وردها البارد على تحيته وفزعها من بغام ناقته وصياحها به ان يذهب بعيدا عنها ٠٠ الخ ٠

وبعبارة ادق تعمدها الواضح اغفال امره أو الاهتمام بضيافته بشكل

---

(٤٥) الجليد والضريب والسفيط والحليب بلغة طيء : الذي ينزل بالليل ٠
تخزم الشوك في رجله : شكها ودخل فيها ٠

(٤٦) الجانب : الغريب ٠

(٤٧) ديوان القطامي ، ص٤٥ ـ ٤٨ ٠

عام ، كل تلك الظروف التي احاطته جعلته في موقف شديد الحرج مما دفعه الى التماس النجاة والهرب بعيدا في اعماق الصحراء .

من قصص الشاعر والسلطة :

لعل ابرز تلك القصص ما كانت تتضمن شكوى عمال الصدقة في زمن عبدالملك بن مروان ، وهي على شكل رسائل يضمّنها مرسلوها حقائق انسانية ووقائع حقيقية عمّا كان يقوم به اولئك الجباة والسعاة بجمع الاموال والضرائب من المسلمين مستعملين في ذلك وسائل التعذيب كافة كالجلد بالسياط والاهانة والقسر والاذلال ، وقد حكى ذلك كله الراعي النميري في رسالة مطولة للخليفة عبدالملك بن مروان .

بدأ الشاعر قصته بحوار مع ابنته أوضح فيه أنه يعاني من متاعب وهموم اوجعت قلبه وأقلقت منامه فأخذ يسعى الى النسيان بالسفر على ظهر ناقة قوية تقطع به الصحراء ، ولكنه وجد أن ذلك كله لم يساعده في نسيان واقعه المرّ وما يعانيه منه هو وقومه من ظلم عمّال الصدقة وجورهم :

ما بال دفّك بالفراش مذيلا
أقذىً بعينك أم أردت رحيلا
قالت خليدة ما عراك ؟ ولم تكن
أبدا اذا عرت الشؤون سؤولا
أخليد انّ أباك بات وساده
همّان باتا جنبه ودخيلا
طرقا فتلك هماهم أقريهما
قلصا لواقح كالقسيّ وحولا

لذلك عاد للحديث عن تلك المعاناة الانسانية فضمنها رسالته الشعرية مؤكدا صدقه واخلاصه في كل حرف قاله :

أبلـغ امير المؤمنـين رسـالة
تشكو اليـك مضلّة وعويـلا
انّي حلفت على يمـين بـرّة
لا أكـذب اليوم الخليفة قيـلا

لقد تجاوز ظلم اولئك العمال حدوده ونسوا انهم أمام عرب مسلمين صادقي الايمان يسجدون لربهم ويسبحونه في كل وقت كما يعرفون حق الله في أموالهم وما يجب عليهم تأديته بطاعة واخلاص دون حاجة الى تلك الاساليب الجائرة :

أخليفـة الرحمـن انّـا معشر
حنفاء نسـجد بكـرة واصيـلا
عرب نرى للـه في أمـوالنـا
حـقّ الزّكـاة منزّلاً تنزيـلا

لقد كانت اساليبهم رهيبة لم يعدلوا فيها كما امرتهم بل قاموا باعمال غير انسانية لو وصلت اليك اخبارهم لعاقبتهم اشد العقاب :

انّ السعاة عصوك يوم أمرتهـم
وأتوا دواهي لو علمت وغـولا
كتبوا الدّهيم من العدى بمشـرّف
عـاد يريـد خيـانة وغلـولا(٤٨)
ذخر الخليفة لو أحطت بخبـره
لتركـت منـه طابقـا مفصولا

---

(٤٨) الدهيم : لعل المراد به كاتب صك الخراج ، واصل الدهيم انه مثل يضرب في الشر . الغلول : الخيانة .

لقد امسكوا بعريفنا أو المسؤول عنّا فأشبعوه ضربا وجلدا بالسياط الى ان سقط على الارض فاقد الوعي ثم اجبروه على توقيع صك بالنيابة عنا ضمنوه ما يريدون اخذه منا من اموال مما يعد سرقة امام الله وعدالته السماوية وأمام تهديد السياط انهارت مقاومته وجبن فاصبح كالقصبة في رقته وضعفه بل نسي مسؤوليته امام قومه فوافق على كل ما طلبوه منه لئلا تقضي سياطهم على البقية الباقية منه . وبعد أن تم لهم ما أرادوا طرحوه ارضا ونهبوا دياره وسرقوا راحلته وتركوه ضعيفا لا حول له ولا قوة لا يستطيع الوصول اليك يا امير المؤمنين ليشكو لك ما حلّ به ، وأنى له ذلك وقد اصبح كالهدهد الذي كسر الصائد جناحه فعجز عن الطيران :

أخذوا العريف فقطّعوا حيزومه
بالاصبحيّة قائما مغلولا(٤٩)
حتى اذا لم يتركوا لعظامه
لحما ولا لفؤاده معقولا
جاءوا بصكّهم وأحدب اسأرت
منه السياط يراعة اجفيلا(٥٠)
نسي الامانة من مخافة لقح
شمس تركن بضيعه مجدولا (٥١)
أخذوا حمولته وأصبح قاعدا
لا يستطيع عن الدّيار حويلا

---

(٤٩) العريف : القيم بامور الجماعة . الحيزوم : الصدر . الاصبحية : السياط المنسوبة الى ذي اصبح من ملوك اليمن .

(٥٠) اليراعة : الضعيف ، شبهه بالقصبة . الاجفيل : الجبان .

(٥١)لقح : يريد السياط . البضيع : اللحم . مجدول : ملقى على الجدالة ، اي الارض .

يدعو أميـر المؤمنـــين ودونـه

خـرق تجرّ به الرياح ذيولا(٥٢)

كهداهد كسر الرّمــاة جناحــه

يدعو بقارعة الطـريق هديلا(٥٣)

وتستمر رسالة الشاعر الشاكية على هذا المنوال فتذكر مجيء عامل آخر لم يكن بأحسن ممن سبقه فسلب قومه أموالهم واصبح غنيهم فقيرا وتركهم في حيرة من امرهم ، هل يرفعون مظلمتهم اليك أم يتريثون قليلا :

وأتـاهـم يحيـى فشـدّ عليهـم

عقــدا يراه المسلمون ثقيــلا

كتباً تركـن غنيّهم ذا عيلــة

بعد الغنـى وفقيرهــم مهـزولا

فتركت قومي يقسمون امورهــم

أ اليــك أم يتربصـون قليــلا

ان عيونهم متجهة الى عدالتك ورحمتك فانصفهم بالعدل وارفع عنهــم تلك المظالم لان عمالك الذين ارسلتهم الينا جاروا عن الحــق ولــم يؤدوا واجباتهم حسب شريعة الله وتعاليمه السمحاء :

أنت الخليفــة عـدلـه ونوالـه

واذا أردت بظـالــم تنــكيـلا

---

(٥٢) الخرق : الارض الواسعة ٠

(٥٣) الهداهد : الهدهد ٠

فأرفع مظـــالم عيّلت ابنـاءنـــا

عنّا وأنقذ شـلونا المأكـولا(٥٤)

انّ الذين أمرتهم أن يعـــدلـوا

لم يفعلوا ممّــا أمــرت فتيــلا

حكاية الشكوى تلك رغم طول القصيدة التي تضمنتها ، الا انها باطار الحدث الذي تعبر عنه ذات وحدة موضوعية ظاهرة تعتمد فكرة ظلم عمـال الصدقة واساليبهم الجائرة الملتوية في جمع الاموال مما يعده المسلمون سرقة رسمية لا يمكن السكوت عليها ، والقصة هنا ليست فنية ولا ممتعة ، بـل العكس أنها تقرير سياسي في فترة متقدمة من التاريخ ولكونها تعكس جانبا من الواقع السياسي الظالم تعمد الشاعر فيها استعمال الالفاظ ذات المعاني الملائمة لتسلسل ذلك الحدث وتطوره كالسياط الاصبحية ـ عويلا ـ المغلولا ـ تضليلا ـ تنكيلا ـ قتيلا! وكان السّرد القصصي الذي تتابع فيه الاحداث بشكل متقطع ضمن الخطاب المباشر الموّجه الى الخليفة هو الاسلوب المميّز لتلك الحكاية . اما الحوار فلا أثر له الا في مقدمة القصيدة مع ابنته خليدة ، والذي ضمنه معاناته وهمومه بسبب تلك المظالم .. وواضح أن ابرز ابطال الحكاية هم الشاعر الراوي وابنته في البداية ، ثم عامل الصدقة وعريف القوم ، واخيرا الشاعر وقومه ، ولايظهرون في القصة الا حسب مقتضيات الحـــدث الذي يفترض وجودهم فيه والمعاناة التي يتطرق الشاعر اليها ليست ذاتية فردية وانما هي وجدانية انسانية شاملة فهو يعكس من خلال ذاته مأساة جماعة كبيرة فهي اذن قصة تجمع بين الذاتية والموضوعية ، وبهذا يتحقق للقصة الشعرية دورها

---

(٥٤) الشلو : العضو والبقية من كل شيء .
(ديوان الراعي النميري ، ص١٢٤ ـ ١٤١) ، ومثلها ايضا قصة للشاعر ابن احمر الباهلي في شكوى عمال الصدقة في زمن عبدالملك بن مروان ايضا (شعر ابن احمر الباهلي ، ص٩٥ ـ ١٠٩) .

الانساني في التعبير عن الجميع بلسان الذات الشاعرة وهو ما درج عليه الشعراء منذ العصر الجاهلي وخاصة في القصائد القبلية .

ملامح القصة الدينية في الشعر الاموي :

القصة الدينية هي قصص الانبياء التي قصها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وقد استعان بها الشعراء ورووها على سبيل العبرة والموعظة في مختلف اغراض الشعر ، ولما كانت اصول تلك القصص قد وردت في القرآن الكريم بتفاصيلها ، لذا فان الشعراء استطردوا اليها ثم رووها بشكل موجز بابيات تؤكد المعالم الرئيسة للحدث بأبيات قليلة ضمن الغرض العام للقصيدة ، وقد لا يكتفي الشاعر بالاشارة الى قصة واحدة وانما يستعين بعدة قصص قرآنية لتدعيم فكرته التي يقصد اليها .

فمثلا قال الفرزدق قصيدة خصصها لهجاء ابليس مهّد لها باعلان توبته عن هجاء المسلمين جميعا وذلك لان الاسلام يمنع ذلك ، وايمانه بالله ودينه الحنيف يدفعانه الى تلبية اوامر الله ورسوله وقد قطع على نفسه عهدا غليظا امام الله بذلك ولن يعود الى الهجاء مهما زين له الشيطان ذلك :

ألم ترني عاهدت ربّي وانّني
لبين رتاج قائم ومقام
على قسم لا اشتم الدهر مسلما
ولا خارجا من فيّ سوء كلام
ألم ترني والشعر أصبح بيننا
دروء من الاسلام ذات حوام(٥٥)

---

(٥٥) الدروء : الواحد درء . الميل والعوج ، يريد أن الاسلام حال بينه وبين الهجاء كأنه جبل فيه نتوء وثلوم .

بهن شفى الرحمن صدري وقد جلا
عشا بصري منهنّ ضوء ظلام

لقد اغواه ابليس سبعين عاما من عمره ، وضلله الى ان بلغ عمره غايته ، وأحس بنهايته فتراجع عن طيشه وعاد الى طاعة ربه نادما تائبا وهو يلعن ابليس ، ويهجوه **فيقول :**

أطعتك يا ابليس سبعين حجّة
فلمّا انتهى شيبي وتم تمامي
فررت الى ربّي وايقنت أنّني
ملاق لأيام المنون حمامي

لقد كان ابليس يصاحبني طيلة تلكم السنين وهو يقود ناقتي ويسيرها كما يشاء ـ وناقته هنا رمز لحياته او نفسه ـ وكان يمنيني الخلود والحياة السعيدة الدائمة وكنت اطيعه طاعة عمياء ، وأتبعه وهو ممسك بزمام ناقتي يقودها الى حيث يشاء وأصدّقه وهو يهمس في أذني بأمانيه الخادعة وهو لاصق بي لا يفارقني في كل مكان :

ألا طال ما قد بت يوضع ناقتي
أبو الجنّ ابليس بغير خطام(٥٦)
يظلّ يمنّيني على الرّحل واركا
يكون ورائي مرّة وأمامي(٥٧)
يبشرني أن لن أموت وأنّه
سيخلدني في جنّة وسلام

---

(٥٦) يوضع الناقة : يسيرها ٠
(٥٧) واركا : المعتمد على وركه ٠

ورغم انني صدقته طيلة تلك الحقبة من حياتي ، الا انني احسست في النهاية بخداعه وتضليله وكذبه فبدأت أواجهه بحقيقته وأعدد له مآثمه وما فعله مع فرعون الذي صدقه فطغى وتجبر وانتهى به الأمر الى الموت بعد أن كاد يقتل النبي موسى (ع) باغراقه في البحر لولا رحمة الله التي انقذته ومن معه حيث انفلق البحر امامهم نصفين كأنهما لضخامتهما جبلي يذبل وشمام العظيمين وبذلك نجا موسى (ع) ومن معه وغرق فرعون الذي حاول اللحاق به في اعماق البحر ٠

لقد أغريت فرعون باللحاق بهم ومنيته السلامة فاندفع وراءهم بتأثير غواياتك ، فكان أن غطته امواج ذلك البحر وابتلعته هو وجنوده في طياتها دون أن تحاول انقاذه أو حمايته من الموت وقفلت راجعا ناجيا بنفسك (٥٨) :

فقلت له هلاّ أخيّك اخرجت
يمينك من خضر البحور طوام
رميت به في اليّم لمّا رأيته
كفرقة طودي يذبل وشمام(٥٩)
فلمّا تلاقى فوقه الموج طاميا
نكصت ولم تحتل له بمرام

وكذلك أغريت قوم ثمود ودفعتهم الى عصيان نبيهم صالح الذي امرهم بالا يعقروا الناقة التي جعلها الله لهم آية ، وكانوا قبل ذلك يعيشون ناعمين

---

(٥٨) أخذها من قصة موسى (ع) التي جاءت في القرآن الكريم (سورة طه: ٧٧-٧٩ ٠
قال تعالى : (ولقد اوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فأضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ٠ فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشى) ٠

(٥٩) كفرقة طودى ، أي كقطعة قدت من جبلي يذبل وشمام وهما في ارض باهلة ٠

في بيوتهم الرخامية في الجبال ، وعندما انصاعوا لغوايتك وعقروا تلك الناقة باؤوا بغضب الله وأخذتهم الرجفة فأصبحوا في بيوتهم جاثمين ، وهربت كعادتك من عهدك لهم بالسلامة والحياة الدائمة السعيدة (٦٠):

ألم تأت أهل الحجر والحجر أهله
بأنعم عيش في بيوت رخام(٦١)

فقلت اعقروا هذه اللّقوح فأنّها
لكم أو تنيخوها لقوح غرام(٦٢)

فلمّا اناخوها تبرأت منهم
وكنت نكوصا عند كلّ ذمام(٦٣)

وكذلك اغريت آدم وزوجته من قبل اولئك جميعا بعصيان أوامر الله والاكل من الشجرة التي امرهما الله بعدم الاكل منها موحيا لهما ، وأنت تقسم باغلظ الاقسام أن الامتناع عن اكلها ليس في صالحهما لانه يحرمهما الملك والخلود ، ولقد كانا ينعمان بجنة الله ورضوانه عنهما ، ولكنهما عندما استجابا لغوايتك واطاعاك طردهما الله من الجنة فخرجا نادمين ونزلا الارض

---

(٦٠) سورة الاعراف (٧٧-٨٧) قال تعالى : فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين • فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) •

(٦١) الحجر : واد بين المدينة والشام • واهل الحجر ، ثمود •

(٦٢) اللقوح : الناقة التي تحمل • الغرام : الهلاك •

(٦٣) الذمام : الحرمة ، والحق ، لان نقضه موجب للذم •

عاريين يستران أنفسهما بأوراق الشجر (٦٤) :

وآدم قد اخرجته وهو ساكن
وزوجته من خير دار مقام
وأقسمت يا ابليس انّك ناصح
له ولها أقسام غير آثام
فظلا يخيطان الوراق عليهما
بأيديهما من أكل شرّ طعام

تلك هي نماذج من غواياتك وخداعك للبشر وقد اطاعك الكثير منهم فكانت نتيجتهم الضياع والندم والهلاك فأصبحوا أحاديث تروى للعبرة والموعظة ، فهل تريدني أن اصدقك بعد ذلك . لقد تركت هجاء الناس لأتحول الى هجائك بأقسى الكلام حتى افضحك امام كل من تجذبه أساليبك المضللة ليعود الى رشده وصوابه وسيظل هجائي لك لعنة تحرقك بنارها أبد الدّهر :

فكم من قرون قد اطاعوك اصبحوا
أحاديث كانوا في ظلال غمام

---

(٦٤) سورة الاعراف (١٩ ـ ٢٤) ، قال تعالي : (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكما من الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) .

وما أنت يا ابليس بالمرء ابتغـي
رضـــاه ولا يقتـــادني بزمـام

سأجزيك من سوآت ما كنت سقتني
اليه جروحا فيك ذات كـــلام(٦٥)

تعيـّرها في النـار والنـّار تلتقي
عليك بزقـّوم لهـا وضرام(٦٦)

وقصة الفرزدق باطارها العام خيالية رمزية ، ولكن احداثها الداخلية هي حكايات حقيقية مأخوذة او مقتبسة من القرآن الكريم اعتمدها الشاعر ليؤكد فكرة الغواية والخداع اللتين هجا بهما ابليس ضاربا المثل بنفسه كانسان نادم تائب بعد انقضاء عمره وفوات الاوان • ثم باولئك الذين روى قصصهم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم سواء كانوا فردا واحدا كفرعون او جماعة كقوم صالح ، وحكى ما آل اليه امرهم باتبـّاعهم الشيطان • ثم خرج الشاعر بحكمة أن اجيالا كثيرة من البشر أطاعوك وصدقوا خداعك فكانت نتيجتهم جميعا الهلاك والدمار والندم ، ولكن بعد فوات الاوان •

ونلاحظ أن قصصه الدينية والواقعية رغم ايجازها وسرعتها ، الا انها اعطت فكرة متكاملة عن الحدث الاصلي نفسه كما جاء في القرآن الكريم ، وقد استعان الشاعر في عرض قصصه تلك بالحوار تارة والسرد القصصي تارة أخرى ، كما استعان بالمعاني والالفاظ الدينية ليؤكد أصالة تلك الاحداث وصدقها فيما تعبـّر عنه •

---

(٦٥) الكلام : الواحد كلم ، اي الجرح •
(٦٦) تعيـّرها : من عيـّر الدراهم ، اي وزنها • يريد تمتحمن جرحك بالنار •
الزقوم : شجرة في جهنم •
(ديوان الفرزدق ٢/٧٦٩) •

ومن القصص الدينية ايضا قصة نوح (ع)(٦٧) وقد أوردها القطامي في مجال العبرة والموعظة وهو يدعو قومه في المقدمة الى لمّ الشمل وجمع الكلمة حتى لا يهزموا كما هزم جيش كسرى وتشتت شمل ابنائه ، او يهلكوا كما هلك فرعون وجنوده غرقا :

فيا قومي هلمّ الى جميع
وفيما قد مضى لكم اعتبار
ألم يخز التفرّق جيش كسرى
ونحّوا عن مدائنهم فطاروا(٦٨)
وشقّ البحر عن اصحاب موسى
وغرّقت الفراعنة الكفار
فما من جدّة الاّ ستبلى
ويبقى بعد جدّتها الحبار (٦٩)

ثم ينتقل بعد تلك الامثلة الى قصة نوح والطوفان الذي اهلك قومه الا من آمن منهم وصعد الى السفينة معه ، وقد تصور ابن نوح أنه بمأمن من الغرق عندما التجأ الى جبل عال ولكنّ امر الله كان أقوى ولم ينج الا المؤمنون الذين اعتصموا بحبل الله :

واذكركم مصائر قوم نوح
وكانت أمّة فيها انتشار

---

(٦٧) وردت قصة نوح (ع) في سورة هود (الآية ٤١ ، ٤٣) قال تعالى : (ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء•قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم • وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) •
(٦٨) نحوا : أجلوا ، أخرجوا •
(٦٩) ستبلى : ستخلق • الحبار : الاثر •

وكان يسبّح الرّحمن شكرا
وللّه المحامد والوقار
فلمّا أن أراد اللّه أمرا
مضى والمشركون لهم جؤار
ونادى صاحب التنّور نوحا
وصبّ عليهم منه الوبار
وضجّوا عند جيئته اليهم
ولا ينجي من القدر الحذار
وجاش الماء منهمرا اليهم
كأنّ غثاءه خرق نشار
وعامت وهي قاصدة بإذن
ولولا الله جار بها الجوار
الى الجودي حتى صار حجرا
وحان لتالك الغمر انحسار
فهذا فيه موعظة وحكم
ولكنّي أمرؤ فيّ افتخار(٧٠)

والقطامي هنا يشير الى حادثة دينية مأخوذة من القرآن الكريم كما قلنا وهي الطوفان وسفينة نوح التي حملت اتباعه وغرق الباقون ، وقد بقيت عائمة

---

(٧٠) ديوان القطامي ، ص١٤٢ – ١٤٤ ، كما وردت قصة نوح في ديوانه ، ص١٠٠ بشكل موجز جدا وعلى سبيل العبرة والموعظة ايضا .. كما اشار اليها الاخطل والى قصة يوسف وهارون وداود في قصيدة يخاطب بها يزيد ابن معاوية (ديوان الاخطل ٩٧/١) ، وكذلك وردت قصة نوح في ديوان الفرزدق ٣٠٩/٢ (طبعة صادر) .

حتى غار الماء واستقرت فوق جبل الجودي في الشمال ، وهي ايضا كسابقتها من قصص الموعظة والعبرة (٧١) .

والقصص الدينية جميعها لا تخرج عند اغلب الشعراء عن هذا الاسلوب في العرض واعتماد الموعظة والعبرة أو التشبيه ، وضرب المثل هدفا لروايتها في القصيدة .

(٧١) ومن قصص الانبياء التي ورد ذكرها بشكل موجز جدا ، قصة عاد وثمود في (شعر النعمان بن بشير الانصاري ، ص٨٧) ، لقد حفل ديوان امية ابن ابي الصلت في صدر الاسلام بقصائد فيها قصص كثيرة عن الانبياء ، كقصة لوط ، ص٣١٠ ، وثمود والناقة وما اصابهم ، ص٢١٥ ، وقصة ذبح ابراهيم لولده اسماعيل عليهما السلام ، ص٢٥١ ، وقصة نوح والطوفان ، ص٣١٢ ، ٣١٦ ، (ص ١٥٧ في قصة الحمامة التي اسلها نوح لتجد موضعا للسفينة واكرمها بالطوق في رقبتها) .
ولما كان الشك يحوم حول تلك القصائد ، لذا لم اتعرض لها بالدرس والتحليل مكتفية بالاشارة اليها .

الفصل الثامـــن

القصة العاطفية في العصر الاموي

الفصل الثامن

القصة العاطفية في العصر الاموي

بحثنا في فصل سابق القصة العاطفية في صدر الاسلام ورأينا انها رغم كونها استمرارا لما كانت عليه اغراضها في عصر ما قبل الاسلام كالمقدمات التقليدية ، وقصص الغزل الماجن والغزل العفيف الطاهر ، الا ان اثر الاسلام ومبادئه السامية الشريفة وقوة ايمان العرب بها دفعا بالغزل العفيف الى درجة اعلى من التبلور والتكامل ، وبخاصة في بوادي نجد والحجاز في بني عذرة وبني عامر ، فكان الحب العذري الذي قرأنا اصدق صوره في ذلك العصر في قصة حب عروة بن حزام وعفراء (١) ، ولا تخرج قصص الحب العذري بعد ذلك في اجمل صورها واطهرها ، عن ذلك النموذج الاسلامي الاول • ورغم ما قلناه من نشوء فن الغزل العفيف متأثرا بالاسلام ومثله السامية ونظامه

---

(١) حديث الاربعاء ١/١٩٠ . ويعد الدكتور الجواري هذا الغرض من آثار الاسلام وقيمه الجديدة التي ارتفعت بالعواطف والاحاسيس الى درجة اسمى وانبل • الحب العذري ، ص٤٥ ، ٥٥ وانظر ايضا : العصر الاسلامي ، شوقي ضيف ص ٣٥٩ ، فهو يرى ان شيوع الغزل العذري في بني عذرة وبني عامر في بوادي نجد والحجاز ظاهرة تسترعي الانتباه وتحتاج الى تفسير ، ويرجع ذلك الى الاسلام الذي طهر النفوس وبرأها من كل أثم فضلا عن بداوتها وبعدها عن الحياة المتحضرة في الحاضرة وتدينها الصادق بدين الاسلام •

الاجتماعي ونظرته الكريمة للمرأة الا ان تطورات الاحداث ومجيء الامويين الى الحكم جعل ذلك الغزل العذري يشيع ويتبلور ، في بوادي نجد والحجاز ويمثلها جميل بثينة وقيس بن ذريح ومجنون ليلى ، ويقابلها شعر المجون[٢] في حاضرة مكة والمدينة ويمثله عمر بن أبي ربيعة والاحوص والعرجي وشاعت ايضا قصص الغزل الهجائي (الكيدي) الذي يمثل اثر الاحداث السياسية في الغزل وقد تزعم ذلك ابن قيس الرقيات والعرجي .. وكما هو معلوم فان السياسة الاموية ورغبة الحكام فيها كانت تقتضي عزل الحجاز واهله في مكة والمدينة عن الحكم لخطورتهم عليها لكونهم من المهاجرين والانصار او من المتصلين بهم . ولهذا اندفعت الى اغداق الاموال عليهم بسخاء ووفرة فولد ذلك العزل السياسي في انفسهم اليأس (فاذا اجتمع اليأس من الحياة العملية الى الثروة والغنى كما يقول الدكتور طه حسين انتجا اللهو والاسراف فيه والعكوف عليه)[٣] ، فضلا عن ذلك شيوع فن الغناء وانتشاره وتطوره في مكة والمدينة [٤] بسبب جلب الجواري والمغنيات ، ولقد ادى ذلك الاغراق في اللهو والمجون والمتع الى ظهور الغزل الاباحي الماجن كما قلنا .

ولم تختلف حال البادية عن الحاضرة في ظاهرة العزلة السياسية ، يضاف اليها الفقر والحاجة المادية ، وقد أدى ذلك الى اليأس والعزوف عن المغريات والزهد فيها والتعلق بالمثل السماوية السامية التي جاء بها القرآن وساعدت تلك

---

(٢) يطلق الدكتور طه حسين على الاباحيين تسمية (المحققين) ويقول انهم الذين كانوا يتغنون الحب ولذاته العملية كما يفهمها الناس جميعا (حديث الاربعاء ١/١٨٩) .

(٣) حديث الاربعاء ١/١٨٩ .

(٤) يرى الدكتور طه حسين ان الغناء تكامل في هذا العصر ونتجت منه نظرية جديدة (حديث الاربعاء ١/١٨٩) ، (التطور والتجديد في الشعر الاموي شوقي ضيف ، ص٢٨) .

العوامل جميعها على نمو الحب العذري وتبلوره وتكامله(٥) ، وهو حب شريف عفيف ، يهوى فيه الرجل امرأة واحدة طول حياته ويهلك في سبيل حبّها • واشهر اولئك العشاق جميل بثينة وقيس بن ذريح وتوبة بن الحمير وكثير عزة ومجنون ليلى ، وقد عاشوا جميعا قصة حب يائسة على غرار قصة عروة بن حزام والغريب انها متشابهة البداية والنهاية فهم جميعا يحبون ويشيع حبهم فيهرع أهلهم الى ولاة الامور يشكونهم الفضيحة فيهدر السلطان دمهم ويدفعهم ذلك الى اليأس والهرب التماسا للنجاة(٦) ، واخيرا الموت من شدة الوجد والفناء في سبيل المحبوبة ، وأخبارهم تلك نقرأها مفصلة في كتاب الأغاني(٧) •

ونظرا لتشابه تلك القصص مع قصة عروة بن حزام ، لذا سنكتفي بما فيه جدة وطرافة وتطور وتوسع عن المثل الاسلامي الاول ، فمن ذلك قصيدة لكثّير عزة يحكي فيها رحيل الاحبة وموقف الوداع الباكي الذي تشتعل له القلوب كأن جمر الغضى يسعرها وتجمد الدموع في العيون لشدة الوجد :

ولمّـــا وقفنا والقلوب على الغضا

وللدّمع ســـحّ والفرائص ترعد

(٥) لقد اتفقت جميع البحوث في هذا المجال على اجتماع تلك العوامـل علـى تطور وتكامل هذين النوعين في الغزل العذري ، الماجن • انظر : (حديث الاربعاء ١/١٨٧ وما بعدها) ، العصر الاسلامي ، شوقي ضيف ، ص٣٦٠، التطور والتجديد في الشعر الاموي ، ص٢٨ ، ٣٤ •

(٦) يرى الدكتور شوقي ضيف ان فكرة اهدار دم اولئك العشاق العذريين هي من صنع الرواة ، فمن غير المعقول ان يقتل امثال هؤلاء بحبهم الطاهـر الشريف ويتـرك امثـال الاحوص من الشـعراء المـاجنين دون عقـاب (العصر الاسلامي ، ص٣٦٠) •

(٧) الاغاني ٧/٧٧ ، اخبار جميل ونسبه ،(٨/١١٢ ، اخبار قيس بن ذريح) ، ١/١٦٧ ، ٢/٢ مجنون بني عامر) ، (٨/٢٧) أخبـــار كثير ونسبه ، (١٠/٦٧) توبة بن الحميّر •

وبين التراقي واللهاة حرارة
مكان الشجا ما ان تبوخ فتبرد

أقول لماء العين أمعن لعلّه
بما لا يرى من غائب الوجد يشهد

فلم ادر أن العين قبل فراقها
غداة الشبا من لاعج الوجد تجمد

ولم أر مثل العين ضنّت بمائها
عليّ ولا مثلي على الدمع يحسد

ولمّا تدانى الصبح نادوا برحلة
فقمن كسالى مشيهن تأوّد

تأطّرن حتى قلت لسن بوارحا
وذبن كما ذاب السديف المسرهد(٨)

واليأس من اللقاء أو الوصال يتردد دائما في مشاهد الحب العذري، مقترنا بالبكاء واللوعة من شدة الفراق :

وما كنت ادري قبل عزّة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولّت

وما أنصفت اما النساء فبغّضت
الينا وأمّا بالنوال فضنّت

---

(٨) تأطرن : تلبثن ، وابطأن . بوارحا : ذاهبات . ذبن : اختفى أثرهن . السديف : الشحم . المسرهد : السنام السمين . (ديوانه ص٤٣٧ ، ومثلها في ديوانه ص١٠٨ ولجميل بثينة في رحيل الاحبة قوله :

تنادى آل بثنة بالرواح   وقد تركوا فؤادك غير صاح
فيالك منظر ومسير ركب   شجاني حين امعن في الفياح

(ديوانه ، ص٥٢) . الفياح : كل موضع واسع .

وكانت لقطع الحبل بيني وبينها
كناذرة نذرا وفت فأحلّت

كأنّي أنادي صخرة حين اعرضت
من الصمّ لو تمشي بها العصم زلّت

وكنّا سلكنا في صعود من الهوى
فلمّا توافينا ثبت وزلّت

وكنّا عقدنا عقدة الوصل بيننا
فلمّا تواثقنا شددت وحلّت

فالحبيبة عند الشاعر العذري دائما عفيفة مصانة عزيزة النفس، ولهذا فهو يحبها ولا يخون عهدها ولا يتراجع أو يتوقف عنه مهما صدت وبعثت اليأس في نفسه يحس في اعماقه وهو يرجو وصالها ، كمن يرتجي ظلّ الغمامة في يوم قائظ ، فلا هي تظلّه ببردها ولا تنقع عطشه بمائها :

فلا يبعدن وصل لعزّة اصبحت
بعاقبة أسبابه قد تولّت

وانّي وان صدّت لمثن وصادق
عليها بما كانت الينا أزلّت

فوالله ثم اللّه لاحلّ بعدها
ولا قبلها من خلّة حيث حلّت

وانّي وتهيامي بعزّة بعدما
تخلّيت ممّا بيننا وتخلّت

لكالمرتجي ظلّ الغمامة كلّما
تبوّأ منها للمقيل اضمحلّت

كأني وايّاها ســحابة ممحــل

رجاها فلمّا جاوزته استهلّت (٩)

وهذا اليأس من حب عزة يعود الى عفتها وكرامة نفسها لانها امــرأة متزوجة بدليل أن زوجها أجبرها مرة على شتم حبيبها فأطاعته[١٠] • اما بثينة فقد وقف اهلها جميعا ضد ذلك الحب الشريف ، وكم مرة حاولوا قتل جميل لمحاولته رؤيتها ، أو زيارتها وهذا ما رواه لنا في احدى قصائده على لسان بثينة نفسها :

وبثنة قــد قالــت وكــلّ حديثها

الينــا ولو قالت بســوء مملّح

تقول بني عمّي عليــك اضنّــة

وأنت العــدوّ المســرف المتنطّح

وقالــت عيــون لاتــزال مطلّة

علينا وحولي من عدوّك كشّــح

اذا جئتنا فانظــر بعــين جليّـــة

الينــا ولا يغررك مـــن يتنصّح

---

(٩) ديوان كثيرة عزّة ، ص٩٥ •

(١٠) يشير كثير عزة الى تلك الحادثة في ديوانه في القصيدة نفسها :

يكلفها الخنزير شتمي وما بهـا   هواني ولكن للمليـك استذلت

(ديوانه ص٩٥) وقد ذكرها الاصبهاني في اخبار كثير (الاغاني ٨/٢٧)
وكذلك أشار جميل بثينة الى موقف زوج حبيبته العدائي فيقول :

اذا جئتها يوما من الدهر زائــرا   تعــرض منقوص اليــدين صدود
يصد ويغضي عن هــواى ويجتني   علــي ذنوبــا انــه لعنــود
فأصرمهـــا عمــدا كأنــي مجانــب   ويغفــل عنــا تــارة فنعــود

(ديوانه ص٦٦) ومثل هذه الحادثة سجلها توبة بن الحميّر في شعره (ديوانه ص٢٧ ــ ٣٠) •

رجال ونسوان يـودّون أنّني
وايّاك نخزى يابن عمّي ونفضح
وحولي نساء لن ذكرت بريبـة
شمتن وما منهنّ الاّ سيفرح (١١)

بل توسلت ان يتجاهلها ويغض البصر حين يراهـا خـوف الرقباء والوشاة(١٢) . ورغم كل تلك المخاطر ، فجميل يدافع عن حبه بشجاعته وسيفه ويقف في وجه أهلها بكل قوة كما يقول :

ولست بناس أهلهـا حين اقبلوا
وجالوا علينا بالسيوف وطوّفوا
وقالوا : جميل بات في الحيّ عندها
وقد جـردوا اسيافهم ثم وقفوا
وفي البيت ليث الغاب لولا مخافـة
على نفس جمـل والالــه لأرعفوا
هممت وقد كادت مـرارا تطلّعت
الى حربهم نفسي وفي الكفّ مرهف
وما سرني غير الذي كـان منهـم
ومنّي وقد جاءوا اليّ وأوجفوا
فكم مرتج أمرا أتيـح لـه الرّدى
ومن خائف لـم ينتقصه التخوّف
وكانت تحيـد الاسد عنّي مخافتي
فهل يقتلنّي ذو رعاث مطرّف(١٣) .

(١١) ديوان جميل بثينة ، ص٤٤ .
(١٢) المصدر السابق ، ص١٢٨ .
(١٣) نفسه ، ص١٣٤ .

وينتهي جميل كما انتهى المرقش والنهدي وعروة(١٤) قبله الى الموت شوقا ووجدا . ويفاخر بذلك فيقول في ردّه على من لامه في حب بثينة ، أن حبه لها يفوق حب اولئك جميعا وسيموت عشقا مثلهم :

وعاذلون لحوني في مودّتها
ياليتهم وجدوا مثل الذي أجد
لمّا أطالوا عتابي فيك قلت لهم
لا تفرطوا بعض هذا اللوم واقتصدوا
قد مات قبلي أخو نهد وصاحبه
مرقّش واشتفي من عروة الكمد
وكلّهم كان من عشق منيّته
وقد وجدت بها فوق الذي وجدوا
انّي لا رحب أو قد كدت أعلمه
ان سوف توردني الحوض الذي وردوا
ان لم تنلني بمعروف تجود به
أو يدفع الله عنّي الواحد الصّمد(١٥)

ولقد صورّ جميل قصة حبه تلك بصورة متكاملة في احدى قصائده ، وحكى صراعه مع اليأس بعد زواج بثينة وحزنه وشوقه ، كما حكى مشاعرهما وهو يشد الرحال هاربا الى مصر من القتل ومن بخل بثينة بالوداد وقسوة اهله وأهلها عليه ، واقوال الوشاة وسعيهم بينه وبينها بالفتنة والفراق ،

---

(١٤) اشرنا الى قصص هؤلاء في فصل القصة العاطفية فى صدر الاسلام ، ويعدّ اولئك رموزاً رائعة للحب العفيف الصادق يضرب بهم المثل دائما (ديوان الاحوص الانصاري ، ص١٠٥ ، ١٠٧) .

(١٥) ديوان جميل بثينة ، ص٥٨ ، ومثلها ايضا في ص٥٧ . ولقيس بن ذريح ايضا في : (الاغاني ٨/١٢٠) .

ولكنهم لم يستطيعوا سلبه الامل باللقاء وتتردد الامنيات المستحيلة خلال حكايته اليائسة تلك وهي تصرخ ليت ، وليت دون جدوى انه مجاهد في معمعة الحب اليائسة وشهيد من شهدائها :

ألا ليت أيام الصفاء جديد
ودهرا تولّى يا بثين يعود
فنغنى كما كنّا نكون وانتم
صديق واذ ما تبذلين زهيد
وما أنس م الاشياء لا أنس قولها
وقد قرّبت نضوى : أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى
أتيتك فأعذرني فدتك جدود

ويحاول في مشهد الوداع كتم دموعه واشواقه ، ولكن هل يستطيع :

خليلّي ما اخفي من الوجد ظاهر
فدمعي بما أخفي الغداة شهيد
الا قد أرى والله أن ربّ عبرة
اذا الدار شطّت بيننا سترود

وفي موقف الوداع يكون العتاب وجميل ذاهب اللب والعقل وبثينة رغم حبها له بخيلة بالوصل :

اذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي
من الوجد قالت : ثابت ويزيد
وان قلت ردّى بعض عقلي أعش به
مع النّاس قالت : ذاك منك بعيد

فما ذكر الخلاّن الاّ ذكرتها
ولا البخل الاّ قلت : سوف تجود

ثم يذكّرها العهود والايمان والحب المشترك طالبا الوفاء :

وقلت لها بيني وبينك فاعلمي
من الله ميثاق لنا وعهود
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا
وما الحب الاّ طارف وتليد
علقت الهوى منها وليدا فلم يزل
الى اليوم ينمي حبها ويزيد
فأفنيت عمري بانتظار نوالها
وأبلت بذاك الدّهر وهو جديد
يموت الهوى منّي اذا ما لقيتها
ويحيى اذا فارقتها فيعود

ويأتي دور الوشاة للسعي والفتنة بينهما وهو يدعو لهم بالموت سُمّاً او حبسا :

فليت وشاة الناس بيني وبينها
يذوف لهم سمّا طماطم سود
وليت لهم في كلّ ممس وشارق
تضاعف أكبال لهم وقيود

انه يعترف بحبه ولا يخاف رقابة زوجها أو تعرّضه لها ، ويتمنى الموت شهيدا من اجل ذلك :

اذا جئتها يوما من الدّهر زائـرا
تعرّض منقوص اليدين صــدود
يصدّ ويغضي عن هواي ويجتنـي
علـيّ ذنـوبا انّـه لعنــود
فأصرمها عمـدا كأنّي معــانـد
ويغفــل عنّــا تـارة فنعــود
فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها
فذلك في عيش الحياة رشـيد
يقولون جاهد يا جميل بغــزوة
وايّ جهــاد غيــرهــنّ اريــد
لكـل لقــاء نلتقيــه بشاشــة
وكلّ قتيـل عندهنّ شـهيد(١٦)

فهو اذن يعترف بذلك الحب ويؤكده ولا يرى في اظهاره جرما ، واذا كان الحب الصادق يستحق العقاب فهو أول من يحل عقابه :

لئن كان في حب الحبيب حبيبـه
حدود لقد حلّت عليّ حـدود

اما قصة مجنون بني عامر فلا تختلف في اسسها العامة عن قصص اولئك جميعا وسواء اصحت حكايته ام هي من اختراع الرواة فهي تمثل تيارا عاطفيا دفاقا في بادية العرب يمتاز بالسمو والعفو والنظرة الشريفة النقية الى المرأة المحبوبة ، وعلى هذا فان ليلى ولبنى وعفراء هن مثال متكامل للسمو في

(١٦) ديوان جميل بثينة ، ص٦١ ـ ٦٧ ، وله ايضا قصة لقاء وذكريات ، ديوانه ص١٤٤ ولقيس بن ذريح ايضا في الاغاني (١٢٥/٨) ، ولمجنون ليلى قصيدة تسمى المؤنسة فيها حكايات حب وذكريات ، ديوانه ، ص٢٩٢ ، ولكثّير عزة ايضا ، ديوانه (ص١٠٨ ـ ١١٢) (ص١٢٦) (ص٩٥ـ١٠٠).

الحب والطهر والعفاف والنقاء وهن مثال للمرأة العربية الممنعة التي احبها العربي واعجب بها وتغزل بها في شعره[17] .

ورغم ما ذكرناه من الشك الذي يحوم حول المجنون واخباره ، الا ان في بعض قصائده من الملامح القصصية العاطفية ما يستحق قراءته والاستمتاع به كقوله مثلا في احدى القصائد يحكي قصة حبه باسلوب الخطاب والحوار مع النفس والقلب واخيرا مع الحبيبة ، جمع فيها بين حلاوة السرد القصصي وروعة تسلسله وسهولة الالفاظ ورقة المعاني وتدفقها بالعاطفة ، واخيرا استعانته بالتشبيه والتمثيل لبلورة الصورة العاطفية وتوكيدها فقال :

الا ايها القلب اللجوج المعذّل
افق عن طلاب البيض ان كنت تعقل
افق قد افاق الوامقون وانمّا
تماديك في ليلى ضلال مضلّل
سلا كلّ ذي ودّ عن الحب وارعوى
وانت بليلى مستهام موكّل
فقال فؤادي ما اجتررت ملامة
اليك ولكن أنت باللوم تعجل
لحا الله من باع الخليل بغيره
فقلت نعم حاشاك ان كنت تفعل

(١٧) توحي اخبار المجنون في الاغاني ١/١٦٧ بالشك في شخصيته اولا ، وحكاية حبه ثانيا ، ويرى الدكتور طه حسين انها شخصية خيالية منتحلة لتفسير بعض القصائد في الحب العذري (حديث الاربعاء ١/١٩٨) . ويظهر ان المبالغات التي احيطت باخبار حبه واتصاله بالجان وحديثه مع الحيوانات في الصحراء وغيرها دفعت الى ذلك الشك . اما القصائد نفسها فهي في بعض ملامحها صورة اكيدة لذلك الحب الصادق النبيل .

وقلت لها بالله يا ليل انّني
ابرّ واوفى بالعهود واوصل
فان شئت هاتي نازعيني خصومة
وان شئت قتلا انّ حكمك اعدل
نهاري نهار طال حتى مللته
وليلي اذا ما جنّني الليل اطول
وكنت كذئب السّوء اذ قال مرّة
لبهم رعت والذئب غرثان مرمل
ألست التي من غير شيء شتمتني
فقال متى ذا قال ذا عام اوّل
فقالت ولدت العام بل رمت كذبة
فهاك فكلني لا يهنّيك مأكل
وكنت كذبّاح العصافير دائبا
وعيناه من وجد عليهنّ تهمل
فلا تنظري ليلى الى العين وانظري
الى الكف ماذا بالعصافير تفعل(١٨)

ونلاحظ في تلك الابيات انه يحكي قصة محب يائس حبيس اشواقه ووجده فهو يلوم قلبه تارة على ما اصابه ثم عينه بلسان قلبه ثم يعود الى نفسه وحبيبته يسألها الحكم العادل والقرار الفصل مؤكدا لها رضاه بما تحكم ثم

---

(١٨) ديوان مجنون ليلى ، ص٢١٧ .
وله ايضا من قصص التمثيل والتشبيه قصة الاعرابية التي ابعدتها صروف الدهر عن اهلها وموطنها فعانت الغربة والوحشة فوجدها وشوقها لبلدها لايقاس بشوقه لليلى (ديوانه ، ص٨٥) .

فما وجد اعرابية قذفت بها — صروف النوى من حيث لم تك ظنت
اذا ذكرت نجدا وطيب ترابه — وخيمة نجد اعولت وارنت
باكثر مني حرقة وصبابة — الى هضبات باللوى قد اظلت

يرسم لنا بعد ذلك صورة تمثيلية تفهم منها ان كل قراراتها جائرة ظالمة وانها ستحكم عليه بالموت رغم براءته كما حكم ذئب السوء الجائع على البهم الصغار بالموت مدعيا انها شتمته رغم براءتها الاكيدة ، وستقضي بموته كما قضى الصياد بموت العصافير ثم بكاها بالدموع الكاذبة ، ويظهر ان المجنون كان قد وصل درجة كبيرة من اليأس في حبه ، الى درجة جعلته يصور ليلى الحبيبة بتلك القسوة والعنف •

ونلاحظ في قصص الحبّ العذريّ ان الشاعر لا يروي فيها قصة حبه متكاملة وانما يروي صورا وحكايات منها تتباين في طريقة عرضها ، فهي تارة ذكريات ماضية يتمنى عودتها او مشاهد لقاء او فراق يسردها او يصفها ، ويستعين بالحوار يجريه على السنة ابطاله ليكمل رسم الاحداث وتسلسلها ، هذا فضلا عن الصور الفنية الرائعة كالتشبيه والتمثيل لتأكيد مشاعر الحب وبلورتها • ولا ننسى ان بطلة القصص هي حبيبة واحدة يقصر الشاعر حياته على حبها كما قلنا ، وهذه هي ميزة الحب العذري عن التقليدي والماجن ، وهذا وحده يعطي قصص الشاعر وحدة موضوعية عامة وترابطا عضويا بين جميع قصائده العاطفية ، وذلك لانها تعتمد ابطالا معينين تروي فصولا ومشاهد من حياتهم منذ بدايتها الى نهايتها ضمن ديوان الشاعر العذري ذاته ، اما زمان تلك القصص ومكانها فتحدده الحكاية الصغيرة او الحادثة التي يتصدى الشاعر لروايتها وهي كما قلنا حكايات قصار في قصائد مختلفة اذا جمعت مع بعضها كونت قصة الحب المتكاملة للشاعر العذري ذاته ، وقد تكون تلك الحكايات في قصيدة واحدة كالتي مرت بنا في قصيدة جميل بثنية (الا ليت ايام الصفاء جديد ••• الخ) ولكنها لا تروي القصة كاملة بل تكتفي برواية مشاهد منها ، تمثل بعض المواقف النفسية للشاعر العاشق •

وبما ان مادة الشعر هي العاطفة ، لذا فانها لا تحتاج الى الالفاظ

الفخمة الصعبة المعقدة ، وانما على العكس تتضح اذا كانت رقيقة سلسة الالفاظ واضحة المعاني جياشة بالمشاعر والانفعالات ، كل ذلك في قوالب شعرية عذبة خفيفة سهلة الانشاد .

وقصائد الحب العذري رغم بداوة ابنائها الا" انها تحتوي كل تلك الصفات الاسلوبية وتعكسها ، علما انها جميعا عفوية غير مقصودة ، فالشاعر يتصدى لسرد حكايته استجابة لخفقات قلبه وجيشان عواطفه فتأتي لذلك طبيعية واقعية حقيقية مؤثرة صادقة في تعبيرها عن ذات الشاعر وعواطفه ناجحة في نقلها بدليل تجاوبنا معها وانفعالنا بها ، وهذا بحد ذاته هو الجمع بين الذاتية والموضوعية لان العاطفة الانسانية وما يصدر عنها ليست ملكا لاحد وانما تخص كل انسان حي .

قصص الحب الماجن :

وهي من قصص الحواضر التي تزعمها عمر بن ابي ربيعة ويظهر فيها كثرة الحبيبات اللواتي احتواهن" قلب عمر وشعره وكلهن" من النساء الشريفات الارستقراطيات في الحجاز ، وشعره فيهن صورة للبيئة الاجتماعية بشكل عام بعيدا عن متاعب السياسة والحروب[١٩] وهو ايضا انعكاس ووصف لحياة المرأة الحضرية وصورة دقيقة لها ، وهو كذلك تغزل بجمالها وفتنتها في اطار الجاه والسيادة اللذين يحيطانها ، ونظرا لكثرة النساء في شعره وتعدد مغامراته الغرامية معهن وتتبعه لهن اينما ذهبن ، لذا عد شاعر الغزل الاول في الشعر العربي[٢٠] ، وكانت كثرة مغامراته الغرامية تلك دافعا الى كثرة قصصه الشعرية الماجنة وتعددها بسبب كثرة النساء اللواتي احبهن وكانت له حكاية غرامية ماجنة خاصة مع كل واحدة منهن" ، ومن أجل ذلك

---

(١٩) انظر القصة السياسية والحربية في العصر الاموي .
(٢٠) حديث الاربعاء ١/٢٩٣ .

فقدت قصصه الارتباط العضوي والعاطفي العام بين بعضها وبعضها الآخر ، ولكن ذلك لم يمنع من وجود الوحدة الموضوعية داخل كل قصة من تلك القصص بما في ذلك ترابطها داخليا في الاحداث والزمان والمكان والنهاية الخاصة بكل واحدة منها بمعزل عن الاخرى فلا ترتبط بما قبلها او بعدها من مغامراته الغرامية .

وقد ساعد ذلك التعدد والتنوع في تلك القصص على توسيع آفاق قصصه وتلوينها تلوينا رائعا فأختلفت اساليبه في عرضها وسرد احداثها ولهذا فان دراستنا لها سوف تتركز على منهجه في عرض احداثها بغض النظر عن اسماء بطلاته وشخصياتهن ورغم ما قلناه عن التوسع والتلوين والتفنن في تلك القصص الا اننا نستطيع القول انها تلتقي عند اسس معينة واساليب ثابتة في صنع احداثها وتسلسلها وهي رؤية الشاعر لامرأة من الاشراف رائعة الجمال في الحج او العمرة او المواسم مثلا او اية مناسبة عامة يلتقي فيها الناس ثم يكون الاعجاب الذي يعبر عنه احدهما للآخر مباشرة او بواسطة رسول يكون اما رجلا او امرأة ، ويكون دور الرسول مهما في قصص المغامرات الماجنة تلك فهو ينقل الاعجاب والرسائل الشفوية او التحريرية ثم يحدد موعد اللقاء ومكانه واسلوبه الذي يكون غالبا في الليل عندما ينام الجميع وتهجع العيون وتغفل ، بعدها يتسلل المحب الى ديارها ويقضي ليلته معها حتى اذا اسفر الصباح وافاق النائمون دقت اجراس الخطر منذرة بهلاك العاشقين ، عند ذاك تحتال المرأة مع صويحباتها لحفظ سر الهوى وصاحبه فيخرج متنكرا تحيطه وتحميه مجموعة من الجواري الحسان الى ان يصل الى بر الامان ، ولا ينسى قبل خروجه تحديد موعد جديد للقاء آخر في ليلة اخرى (٢١) .

---

(٢١) لقد تناول كثير من الباحثين قصص عمر الماجنة بالدرس والتحليل وافاضوا فيها بشكل واسع ، واولهم طه حسين في حديث الاربعاء ١/٢٩٣ وما بعدها ←

وقصص عمر بن ابي ربيعة والعرجي ، تعتمد تلك الاسس القصصية ولكنها لا تجمعها كلها دائما في قصيدة واحدة ، ويمكننا القول انها مغامرات متعة حسية فقط تفتقد العواطف الجياشة الصادقة والاشواق الساذجة المخلصة التي كنا نحسها في قصائد شعراء البادية العذريين وتتجاوب معها وننفعل بها (٢٢) • فالمتعة واللذة وتحقيقهما هو دافع شعراء المغامرات الماجنة بغض النظر عن العاطفة القلبية الشريفة والمشاعر النبيلة السامية • ولكن ذلك لم يمنع الشعراء الاباحيين من نثر العواطف وادعاء الشوق والصبابة بين يدي النساء الجميلات في ثنايا قصائدهم لاغرائهن وجذبهن ومما شجعهم على ذلك ان بعضهن كن يرغبن في ذلك المديح والاطراء ويسعدهن سماعه من عمر نفسه كما يعبر هو عن ذلك في الكثير من قصائده •

ويستعمل عمر في قصصه الغرامية اساليب متنوعة للوصول الى المرأة وتبليغها حبه واشواقه ولهفته للقائها ليثير عواطفها الانثوية الرقيقة نحوه ، فيظهر لنا في شخصية العاشق المعجب الذي اضناه الشوق وبخل المحبوبة فأخذ يسعى اليها مخاطرا بنفسه من اجلها ، محتالا لذلك بشتى السبل ، فتارة يرسل رسولا يحمله رسالة غرامية واخرى يتنكر ويدخل حيها متسللا ليلتقي بها ويقضي ساعات جميلة معها ، او يظهر لنا في شخصية الرجل

وكذلك الدكتور شكري فيصل في بحثه عن (تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ص٢٨٠ وما بعدها) • والدكتور جبرائيل جبور في دراسته (حب عمر بن ابي ربيعة وشعره) ، دراسة شاملة لشعره وعصره ، العصر الاسلامي ص٣٥٢ شوقي ضيف • ان خير ما يمثل هذه الاسس القصصية عند عمر قصيدته الرائية (امن آل نعم •• الخ) في ديوانه ص٩٢ ، وللعرجي ايضا في مغامرة ليلية ماجنة (ديوانه ص١٢١ ، ص١٥١) ، (ص٣ ـ ١٠) •

(٢٢) يؤيد الدكتور شكري فيصل هذه الناحية في حديثه عن (طبيعة حب عمر في القصيدة ، ص٣٣٧ ، ص٣٤٨) في كتابه (تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام) •

المحبوب الذي تسعى اليه النساء بشتى الوسائل ويرسلن الرسل للالتقاء به او التحايل عليه لاجتذابه اليهن لاغرائه مبديات اعجابهن به وشوقهن اليه ، ويكون وسيطهن احدى الجواري الامينات المخلصات . ثم يتم اللقـــاء وتكتمل سعادتهما (٢٣) .

ومهما كانت وسيلة الاتصال بالمحبوبة ولقائها فأن نهايتها هي المغامرات الغرامية الليلية الماجنة التي يحكيها باسلوب قصصي جميل يعتمد الحـــوار تارة والسرد القصصي اخرى ، مضمنا قصصه الاحداث ثم ابطالها ، وهم المرأة والشاعر والوسيط ثم الزمان والمكان اللذان يختلفان باختلاف الابطال داخل تلك القصص ، اما حركتهم في الاحداث فتعتمد على اسلوب الشاعر الخاص في ذلك ولا تخرج عما ذكرناه اعلاه .

نماذج وتحليل :

قال عمر يروي احدى مغامراته الغرامية الليلية مع امرأة يسميها هندا ،

---

(٢٣) ديوانه حافل بكل تلك الاساليب التي تكون المرأة محورها اولا والمتعة ثانيا ، منها (سعيه الى المرأة مع وسيطه بكر ، ديوانه ص١٠٣) ، (ص١٢٩ سعيه اليها بعد جفائها له وتجاهلها لما كان بينهما) (ص٢٢٨ سـعيه اليهـا بارسال رسالة غرامية يضمنها قصة علاقته بها) ، (ص١٥٨ سـعيه اليها مباشرة دون وسيط) (ص١٧٧ سعيه اليها مباشرة متنكرا) والمرأة (عدة نساء) ثم يتم اللقاء بينه وبينهن) ، (ص١٨٧ سعيه اليهن ايضا في العشاء متنكرا وسعادتهن به) (ص٩٢ سعيه الى نعم في ليلة ذي دوران ونجاحه في لقياها) ، (ص١١٤ سعيه اليها ليلا بشكل مفاجيء يرعبها ولكنه يسعدها) ، (ص٣٥٥ سعيه اليها ليلا) ، (سعيهما الى بعضهما برسالة غرامية تحريرية متبادلة ، ص٢٠٦) (ومثلها ص١٩١ ولكن الوســيلة رسالة شفوية تنقلها امرأة) (ومثلها ص٣٨٥ سعي متبادل بواســطة رسول .) ، (ص٢٦٦ رسالة غرامية) . وهناك بعض القصائد ما تروى حكاية سعي المرأة الى لقائه بارسال الرسائل والوسطاء او بالحضور المباشر اليه .. الخ . انظر ص : (١٤٤ ، ١٤٧ و٢٤٧ و٣٣٤ ، و١٦١ ، ٢١٤ ، ١٥٥ ، ١٥٠ ، ٢٦٠ ، ٤٠٧) .

ويبدأها بمقدمات عاطفية ممهدة للقائه ، يذكر فيها شوقه اليها ولهفة قلبه لوصالها رغم بخلها وصدودها :

قل للمليحة قد ابلتني الذكر
فالدمع كل صباح فيك يبتدر

فليت قلبي وفيه من تعلّقكم
ما ليس عندي له عدل ولا خطر

افاق اذ بخلت هند وما بذلت
ما كنت آمله منها وانتظر

قد قلت اذ لم تكن للقلب ناهية
عنها تسلّى ولا للقلب مزدجر
يا ليتني متّ اذ لم الق من كلفي
مفرّحا وشآني نحوها النّظر

ورغم اعترافه ببخلها وصدودها الا انه يذكر لهفتها الماضية فيما مضى وسعادتها بقربه واقامته معها ، ويجعل ذلك دافعا له للتسلل الى ديارها بشكل مفاجيء :

وشاقني موقف بالمروتين لها
والشوق يحدثه للعاشق الفكر

وقولها لفتاة غير فاحشة
أرائح مُمسياً أم باكر عمر

الله جار له امّا أقام بنا
وفي الرحيل اذا ما ضمّه السّفر

فجئت امشي ولم يغف الأُلى سمروا
وصاحبي هندواني به أثــــر
فلم يرعها وقد نضت مجاســدها
الاّ سواد وراء البيـــت يستتر
فلطمت وجهها واستنبهت معهـــا
بيضــاء آنسة من شأنها الخفــــر
ما باله حين يأتي ـ أخت ـ منزلنا
وقد رأى كثرة الاعداء اذ حضروا
لشقوة من شقائي ، أخت غفلتنــا
وشؤم جدّى وحين ســاقه القدر
قالت : أردت بذا عمدا فضيحتنا
وصرم حبلي وتحقيق الذي ذكروا
هلاّ دسست رسولا منك يعلمني
ولم تعجّل الى أن يسقط القمــر
فقلت داع دعـــا قلبي فأرّقـــه
ولا يتابعـــني فيكـــم فينزجــر

لقد كانت مغامرة خطرة تعرضت فيها المرأة المحبوبة لمخاطر الفضيحـــة وشقاء العار خاصةً وأن أهلها قريبون منه مستعدون لمجابهته وقتله ، ورغم ذلك لم يتراجع ، يدفعه الى ذلك حب المغامرة والتحدي في نفسه غير عابيء بما يحصل لها بعد ذلك بدليل انه قضى ليلته معها ناعم البال مطمئنا :

حتى اذا الليل ولى قالتا زمـــرا
قوما بعيشكما قـــد نور السحر
فقمت أمشي وقامت وهي فاتـــرة
كشارب الخمر بطى مشيه السكر

يسحبن خلفي ذيـول الخزّ آونة

وناعم القصب كيلا يعرف الاثـر(٢٤)

ويعتمد عمر على الاسلوب ذاته وهو يقص مغامرته في ليلة ذي دوران ممهدا لها باشواقه القلبية التي لا تجد لها متنفسا يهدىء لواعجها خاصة وأن أهلها جميعا يراقبونه بنظرات غاضبة حادة :

أمن آل نعـم انت غـاد فمبكـر

غداة غد أم رائـح فمهجّر (٢٥)

لحاجة نفس لم تقل في جوابهـا

فتبلغ عذرا والمقـالة تعـذر (٢٦)

أهيم الى نعـم فلا الشمل جامع

ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر

اذا زرت نعما لم يـزل ذو قرابة

لها كلّما لا قيتهـا يتنمـر(٢٧)

عزيز عليـه أن ألـمّ ببيتهـا

يسرّ لي الشّحناء والبغض يظهر

ويستمر على هذا الحال يتجاذبه الشوق اليها والحرص على كرامتهـا وعدم اغضابها ، وهي مع ذلك لا تفتأ تسـميه المشهّر الذي ذاع سـرّه وانتشر :

---

(٢٤) ديوان عمر بن ابي ربيعة ، ص١١٣ ٠

(٢٥) نعم : اسم محبوبته ٠ مهجر : السير في الهاجرة ٠ الغادي : المسافر في الغداة أول النهار ٠

(٢٦) قوله : لم تقل في جوابها فتبلغ عذرا : اي هي في غاية السر لا يجاب عليها عند السؤال ٠ الأعذار : اثبات العذر أو نفيه ٠

(٢٧) تنمر : اذا عبس وجهه وكلح وتنكر لصاحبه واوعده ٠

ألكني اليها بالسلام فانّه
يشهّر المامي بها وينكّر(٢٨)

بآية ما قالت غداة لقيتها
بمدفع أكفان أهذا المشهّر؟

قفي فانظري اسماء هل تعرفينه
أهذا المغيري الذي كان يذكر(٢٩)

أهذا الذي اطريت نعتا فلم اكن
وعيشكِ أنساه الى يوم أقبر

فقالت نعم لاشكّ غيّر لونه
سرى الليل يحيي ، نصّه والتهجّر(٣٠)

وقوله هذا يعكس اعجابه بنفسه الذي ضمّنه ابياته على لسان اولئك النسوة وهو ما درج عليه في الكثير من قصائده،وكذلك يفخر بكثرة رحلاته فهو اخو السفر الذي لوّحته الشمس وغطت رأسه رمال الصحراء فأصبح أشعث أغبر :

رأت رجلا : أما اذ الشمس عارضت
فيضحى ، وأما بالعشي فيخصر(٣١)

---

(٢٨) الكني : من الالوكة وهي الرسالة • اي كن رسولي اليها •
(٢٩) المغيرى : المنسوب الى المغيرة ، وهو جدّه •
(٣٠) نص السرى : اسراعه • واصل نص : حث الدابة واستخرج اقصى ما عندها من السير •
(٣١) عارضت : اي عارضته ، ومعارضة الشمس : ارتفاعها حتى تصير في حيال الرأس •
يضحى : يظهر للشمس • يخصر : يؤلمه البرد •

أخا سفر جوّاب أرض تقاذفت
به فلوات ، فهو أشعث أغبر (٣٢)
قليـــل على ظهـر المطيّـة ظلّـه
سوى ما نفى عنه الرّداء المحبّر(٣٣)

وعندما نقرأ تلك الابيات عن شخصية عمر نحس انه انسان قلق غير مستقر ، دائم التنقل كثير الملل ويكره الاستقرار في كل شيء ، وبهذا ايضا رسم لنا صورة غير مباشرة عن قلقه الذاتي وعواطفه الحائرة التي تدفعه الى التنقل السريع بين النساء طلبا للمتعة والسعادة ، وما كثرة النساء في حياته الا صورة واضحة لذلك القلق الانساني العاطفي . وقصة ليلة ذي دوران هي رحلة من رحلات السعادة التي كان يبحث فيها عن الحب والاستقرار فلم يجدهما :

وليلة ذي دوران جشّمني السرى
وقد يجشم الهول المحبّ المغرّر
فبت رقيبا للرّفـاق على شـــفا
أحاذر منهم من يطـوف وأنظـــر
اليهم متى يستمكن النوم منهـم
ولي مجلس لولا اللبانـة أوعـر
وباتت قلوصي بالعراء ورحلهـــا
لطارق ليل أو لمن جـاء معـــور

(٣٢) جوّاب ارض : مبالغة من جاب الارض ، اي قطعها . التقاذف : الترامي . الاشعث : شعث الشعر : تغير وتلبد لقلة تعهده بالدهن (الشعث:الوسخ) .
(٣٣) المحبّر : الموشّى المخطط يقول : لاظل له سوى ظل خفيف ستره رداؤه عن ظهر مطيّته : يصف بذلك نحافته وضموره . (يراجع ص٣٣٠ ــ تطور الغزل ، شكري فيصل ، فيه تحليل مفصل للقصيدة) .

ان قصة تلك الليلة ما هي الا مغامرة غرامية خاطر فيها بحياته في احدى الليالي حتى يصل الى الحبيبة ويسميها (نعم) وهي في وسط ديارها محاطة باشداء الرجال ورغم ذلك اقترب من حيهم الهادىء وهو ينظر بعينين حذرتين ، مراقبا القوم في حركتهم وتطوافهم منتظرا خلودهم الى النوم بفارغ الصبر وقد ترك ناقته في العراء معدة للضيف أو لطارق ليل محتاج ، وفي اثناء ذلك كان يجول بعينيه باحثا عن خبائها وكاد يفقد السبيل اليها لولا رائحتها العطرة التي ألفتها روحه واستدلت عليها بها •

وبعد وقت قصير سكن كل شيء وأطفئت المصابيح وأخمدت النيران التي اوقدت للعشاء وذهب الرعيان الى النوم وغاب القمر في احضان السماء ونام السامرون ودخل كل انسان مخدعه وانقطعت الاصوات تماما ، حينذاك أقبل عمر وهو ينساب انسيابا سريعا كالحية الى خباء (نعم) يميل برأسه وجسده حذر العيون المعادية :

وبت أناجي النفس أين خباؤها
وكيف لما آتي من الامر مصدر

فدلّ عليها القلب ريّا عرفتها
لها وهوى النفس الذي كاد يظهر

فلمّا فقدت الصّوت منهم وأطفئت
مصابيح شبّت بالعشاء وأنور

وغاب قمير كنت أهوى غيوبه
وروّح رعيان ، ونوّم سمّر

وخفّض عنّي الصوت اقبلت مشية الـ
ـحباب ، وشخصي خشية الحيّ أزور

وعندما وصل خباءها ألقى التحية عليها وكانت مفاجأة مذهلة لها أفقدتها صوابها فردت تحيته بصوت منخفض وهي تعض بنانها خوفا وحياء وسعادة ، وعندما تمالكت نفسها عاتبته بشدة على مجازفته بالقدوم اليها معرضاً أباها للفضيحة والعار مغامرا بحياته باجتياز تلك المخاطر • ترى ما الذي دفعه اليها بهذه العجالة؟ تساؤلات كثيرة ارتسمت على شفتيها المرعوبتين تنتظر اجابة مقنعة ، وهل هناك اجابة اصدق في التعبير عن دوافع تلك المغامرة الا خفقات قلبه واشواقه المستعرة وغفلة الرقباء عنه وعنها •• لقد بعثت اجابته الطمأنينة والهدوء الى نفسها واسعدتها بحديث الحب والاشواق فأخذت تدعو الله أن يحفظه مؤكدة أنها ستظل اسيرة هواه ما عاشت :

فحيّيت اذ فاجأتها فتولّهت
وكادت بمخفوض التحيّة تجهر

وقالت وعضّت بالبنان فضحتني
وانت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك اذ هنّا عليك ألم تخف
وقيت وحولي من عدوّك حضّر

فوالله ما أدرى : أتعجيل حاجة
سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى
اليك وما نفس من النّاس تشعر

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها :
كلاك بحفظ ربيّ المتكبّر

فأنت أبا الخطاب غير مدافع
عليّ أمير ما مكثت مؤمّر

وهكذا انتهت ليلة ذى دوران بسرعة مذهلة رغم انها كانت حافلة باللهو والمتعة وقد بات عمر فيها ناعم البال قرير العين ، ولكن ليالي السعادة دائما قصيرة الاجل (٣٤) :

فيالك من ليــل تقاصـر طولـه
وما كان ليلي قبل ذلـــك يقصـر
ويالك من ملهى هنـــاك ومجلس
لنا لم يكدّره علينـــا مكـدّر

وما ان بدت تباشير الفجر حتى اخذت الحركة تدب في الحي وهـــب النيام وجلجل صوت المنادى بالرحيل ، فاضطربت الفتاة وتساءلت عن رأيـه للخروج من ذلك المأزق ، فأخبرها برغبته في مجابهتهم وقتالهم والانتقام منهـم فرفضت ذلك خوف الفضيحة وقررت استدعاء اختيها واستشارتهما في ايجاد حل للخلاص من تلك المحنة فأقبلتا تتهاديان بملابسهما الحريرية وكان الفزع مرتسما على وجهيهما .

ورغم ذلك استطاعتا بعث الطمأنينة الى نفسها عندما أوضحتا لها طريقـة الخلاص ، وتتلخص في أن يتنكر عمر بملابس فتاة ويخرج مع اختيها الى ان يصل الى بر الامان ، وقد نفذت الفتاتان الخطة بنجاح ، وخرج عمر وهو محاط بتلك الدروع النسوية الناعمة ، وهي تنهال عليه باللوم والعتاب ، لقيامه بتلك المغامرة وانسياقه لدواعي الهوى والطيش دون أن يرتدع او يرعوي :

فلمـــا تقضى الليــل الا أقلـــه
وكادت توالــي نجمـــة تتغـور

---

(٣٤) لقد حذفت بعض الابيات التي يصرّح فيها بالمتعة والمجون . (ديـوانـه ص٩٧) . وللشاعر قصص مغامرات ليلية تشابهها في ديوانه (ص٣٣٤ ، ١٣٨ ، ٣٢٧ ، ص١٤٧ ، ١٥٨) ، وللعرجي ايضا : ديـوانه ص١٢٥ ، ٣ ـ ١٠ ، ص١٥١ .

أشارت بأن الحي قد حان منهم

هبوب ولكن موعد منك عزور

فما راعني الا مناد ترحلوا

وقد لاح معروف من الصبح أشقر

فلمّا رأت من قد تنبه منهم

وايقاظهم قالت : أشر كيف تأمر ؟

فقلت : أباديهم فاما أفوتهم

واما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت : أتحقيقا لما قال كاشح

علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فان كان ما لابد منه فغيره

من الامر أدنى للخفاء واستر

أقص على أختي بدء حديثنا

ومالي من أن تعلما متأخّر

لعلهما أن تطلبا لك مخرجا

وان ترحبا سربا بما كنت أحصر

وهكذا صنع عمر عقدة القصة ومأزقها الحرج ثم وضع حلها على يد تلك المرأة واختيها كما قلنا ، وجعلها تتبادل الحوار معهن للوصول الى الحل وهي في غاية الحزن والكآبة والضيق :

فقامت كئيباً ليس في وجهها دم

من الحزن تذري عبرة تتحدر

فقامت اليها حرّتان عليهما

كساآن من خز دمقس وأخضر

فقالت لاختيها : أعينا على فتى

أتى زائرا والامر للامر يقدر

واستمر الحوار بينهنّ وتتابعت الاحداث التي ذكرناها من خلاله وكانتا تحاولان التخفيف عنها وتهدئتها حتى تصلا الى القرار السليم في تلك المشكلة :

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا

أقلّي عليك اللّوم فالخطب أيسر

فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفي

ودرعي وهذا البرد ان كان يحذر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا

فلا سرّنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجنّي دون من كنت أتقّي

ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحيّ قلن لي :

أما تتقي الاعداء والليل مقمر ؟

وقلن : أهذا دأبك الدّهر سادرا

أما تستحي أو ترعوي أو تفكّر ؟

اذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا

لكي يحسبوا أنّ الهوى حيث تنظر

فآخر عهد لي بها حيث أعرضت

ولاح لها خدّ نقّي ومحجر[٣٥]

لقد كان عمر في هذه القصة بطلها الاساسي ومحرك أحداثها . اما اسلوبه فكان في القسم التمهيدي الاول يعتمد السرد القصصي والحوار

---

(٣٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص٩٢ ، ديوانه ص١٣٨ ـ ١٤٠ .

الذاتي مع النفس ، والذي حوله تدريجيا الى حوار مع الحبيبة العاشقة المفتونة به وبجماله (٣٦) .

وقد استعان الشاعر بالوصف ليرسم لنفسه صورة الانسان القلق نفسيا وعاطفيا ، ويقابلها بصورة للحبيبة وهي مطمئنة في كنف زوجها ورعايته غارقة في السعادة :

وأعجبها من عيشها ظلّ غرفة
وريّان ملتفّ الحدائق أخضر

ووال كفاها كلّ شيء يهمّها
فليست لشيء آخر الليل تسهر

ثم تأتي بعد ذلك حكايته لما جرى في (ليلة ذى دوران) كما رأينا ، وواضح أن شخصية البطل بقيت واحدة وكذلك البطلة هي ذاتها نعم ، وان لم يصرح باسمها ثم أضاف اليها اختيها وكان الزمان فيها ليلا والمكان هو ديار الحبيبة التي يكن رجالها لعمر اشد البغض ويتمنون له الأذى ويتحينون الفرص لقتله ، ورغم ذلك خاطر بالقدوم اليها ، ولذلك يمكننا ادخال قصته ضمن قصص المغامرات بمعناها اللغوي العربي الذي مرّبنا (٣٧) لما فيها من مجازفة مميتة ، وهي ايضا قصة مسامرة ليلية في بعض مشاهدها لكثرة الحوار

---

(٣٦) وهو اسلوب متميز لعمر ، وهو ما يسمونه (بعشق النفس او النرجسية) ، ويظهر النساء من خلاله متيمات به يسعين اليه بشتى الوسائل ويبدين اعجابهن قولا وفعلا . قال على لسان احدى صويحباته وهي تخاطبه :ـ

قدرت على ما عندنا من مودة ... ودائم وصل ان وجدت وصولا
فأصبحت همّا للفؤاد ومنية ... وظلا من الدنيا الغداة ظليلا
اميرا على ما شئت مني مسلطاً ... فسل فلك الرحمن تمنح سولا

(ديوانه ص٣٥٥) ومثله في ديوانه (ص١٤٤ ، ١١٩) ، (ص١٥٠) مثل قوله : (قلن تعرفن الفتى ؟ قلن نعم ... قد عرفناه وهل يخفى القمر) .

(٣٧) يراجع الفصل الاول ، تحديد المصطلح ، (المغامرة) .

الليلي الذي اداره الشاعر على لسان ابطالها ، وكذلك قصة لهو أو ملهـاة عربية التي رأينا أنها تعني المتعة مع المرأة[٣٨] • وبتعبير ادق هي قصة مغامرة فيها متعة ولهو مع المرأة يتخللها سمر ليليّ خافت ، وهو نفسه الذي اسميناه الحوار المشترك بين ابطالها •

اما الاحداث فكانت تتابع بسرعة وواقعية وبساطة ، وقد كان خيـال الشاعر نشطا ليصنع عقدتها بالمفهوم الحديث لهذه الكلمة ثم يعقبها بالحـل السريع البسيط وهو التنكر ثم الهرب ، وكأنه مؤلف ومخرج مسرحي يتولى بنفسه كل ما يساعد على اتمام مسرحيته بالشكل المناسب •• مستعينا بالحوار المشترك الذي كان عنصرا مهما من عناصر الحدث ودافعا اساسيا له في التحرك داخل القصة بالشكل الذي يسمح به خيال الشاعر[٣٩] •

ومن الاساليب الاخرى عند عمر في عرض قصصه ما يعتمد الرسـائـل الغرامية الشفوية او التحريرية التي ينقلها وسيط ثالث هو اما رجل او امرأة ، وهي كما قلنا قصص تمهيدية تعتمد الحوار المشترك الذي يتبادل فيه الطرفان عواطف الشوق والحب ثم العتاب •

باسـم الالـه تحيّـة لمتيّـم
تهدى الى حسن القـوام مكرّم

(٣٨) يراجع الفصل الاول ، تحديد المصطلح ، (الملهاة) •

(٣٩) ان لهذه القصيدة من القيمة الفنية ما جعل ابن عباس يتوقف عن الحديث مع اناس قصدوه لسؤاله في مسائل دينية عندما مرّ عمر به فاستوقفـه ثم طلب منه انشادها وبعد ذلك حفظها عن ظهر قلب مما أثار غضـب سائليه وعلى رأسهم نافع بن الازرق نفسه الذي قال له : (الله يا ابن عباس انّا نضرب اليك اكباد الابل من اقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنّا ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك هـذه القصيدة فتحفظها) ، (الاغاني ١ / ٣٤) ، وقد جعلت هذه القصيدة العرب تقرّ لقريش بالتقدم في الشعر بعد أن كانت ترفض ذلـك (الاغـاني ١ / ٣٥) •

وصحيفـــة ضمّنتها بـأمـانـة

عند الرحيـــل اليـك أمّ الهيثم

من عاشـــق كلـف يبـــوء بـذنبـــه

صبّ الفؤاد معاقب لم يظـــلم

بادى الصّبابة قد ذهبت بعقلـــه

كلف بحبـّك ياعثيـــم متيـــمّ

لا تقتلينـــي ياعثيـــم فانّنـي

اخشى عليك عقاب ربّك في دمي

هذه مقدمة رسالة كتبها عمر الى امرأة اخرى بدأها ببث أشواقه وصبابته وتوسلاته اليها ان ترد لهفة قلبه وتطفيء غليله ، وهو يقسم لها على الوفـــاء والاخلاص بكل المقدسات السماوية ثم يتساءل عن سبب تأخرها فـي الردّ عليه ثمانية أشهر كاملة مؤكدا توبته عن كل الذنوب التي اقترفهـــا طالبـة سماحها :

لا والذي بعث النّبيّ محمـــدا

بالنور والاســـلام دين القيّـــم

ما خنت عهدك يا عثيم ولا هفـــا

قلبي الى وصـــل لغيـــرك فاعلمي

أحصيت خمسة أشـــهر معدودة

وثلاثة من بعدها لـــم توهـــم

هـــذه ثمانيـــة تهـــلّ وتنقضي

عالجت فيها سقم صـــبّ مغـــرم

مكث الرسول لديكـــم حتى اذا

قدم الرسولُ وليتـــه لم يقـــدم

لم يأتني لكم بخط واحد
يشفي غليل فؤادي المتقسم
وحرمتني ردّ السّلام وما أرى
ردّ السلام على الكريم بمحرم
ان كنت عاتبة عليّ فأهل ما
أن تعتبي فيما عتبت وتكرمي
انّي أتوب اليك توبة مذنب
يخشى العقوبة من مليك منعم
حتى أنال رضاك حيث علمته
بطريف مالي والتليد الأقدم
ان تقبلي عذري فلست بعائد
حتى تغادر في المقابر أعظمي
لو كفّي اليمنى سأتك قطعتها
ولذقت بعد رضاك عيش الاجذم[٤٠]

وبهذا وصلت التوبة والشعور بالذنب عند عمر العاشق الى قطع يده اذا بدرت منها اساءة للحبيبة ، وتفضيله العيش اجذم على حرمانه منها .

وقد يستعين بالاطلال لتخبره بقصص الذكريات الماضية مع الحبيبة وليالي الوداد بينهما ، وهي ليست اطلال شعر ما قبل الاسلام التي الفناها في

---

(٤٠) ديوانه ، ص٢٢٨ ، ومثلها رسالة غرامية تنقلها امرأة يتلقى الشاعر جوابها : يرد عليه : وهكذا باسلوب الحوار المتضمن للحدث . (ديوانه ص٢٦٦ ، ومثلها رسالة مشتركة ايضا بينهما :

من عاشق كلف الفؤاد متيم — يهدى السلام الى المليحة كلثم
ولقد قرأت كتابها ففهمته — لو كان غير كتابها لم افهم
عجمت عليه بكفها وبنانها — من ماء مقلتها بغير المعجم
ومشى الرسول بحاجة مكتومة — لولا ملاحة بعضها لم تكتم

.. الخ . (ديوانه ، ص٢٠٦) ، ومثلها رسالة شفوية (ديوانه ص٣٨٥) .

قصائد المعلقات وغيرها ، وانما هي مجرد اماكن للحدث الماضي الذي يسعد الشاعر تذكّره ، ولعله في ذلك يحاكي شعراء عصر ما قبل الاسلام في ذكرها والوقوف عليها دون ان يذرف دموع الاسى والحزن كما فعلوا :

ألم تسأل الاطـــلال والمتربعــا
ببطن حليــات دوارس بلقعــا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعــدما
نكأن فؤادا كان قــدما مفجّعا
بهند واتراب لهنــد اذ الهـوى
جميع واذ لم نخش ان يتصدّعا
واذ نحن مثل المـاء كان مزاجـه
كما صفّق الساقي الرحيق المشعشعا[41]

اما العرجي فان وقفته بالاطلال اكثر عمقا وشاعرية من وقفات عمـــر ، ويكاد يستعين بها في كثير من قصائده الغرامية التي نحس من خلالها نبـرة الحزن والاسى ممتزجة بالحب والشوق الى المرأة المحبوبة ، ويعود ذلك كما يبدو الى ظروفه القاسية التي أبرزها سجنه لمدة تسع سنوات حتى الموت كما ذكرنا في فصل سابق [42] .

يقول خليلي والمطّي خواضــع
بنا بين جزع الطّلــح والمتهوّم
أفي طلــل أقوى ومغنــى مخيّم
كسحق رداء ذى حواشي منمنــم

---

(٤١) ديوانه ص١٧٧ ، وانظر ايضا : ديوانه ص١٥٠ ، ١٦١ ، ٣٠٧ ، ١٣٤ ، ص٣٥٧ .
(٤٢) انظر فصل القصة السياسية والحربية في العصر الاموي .

أضرّت بـه الارواح كلّ عشيّة
وكل هزيم الرعد بالمـاء مرهـم

ظللت تكف العين أن جـاد غربهـا
بمنحدر من واكف السّحّ مسجم

ومن صوت حمّاء العلاطين غرّدت
تبكي على غصن من الضأل أسحم

فقلت له ماذا يهيـج ذا الهـوى
اذا لـم تهجـه والفـؤاد المتيـم

حمامـة أيـك باكرتهـا حمائـم
يجاوبنها أعلى عسيب مقوّم(٤٣)

ومغنى حبيب أقصد القلب ذكـره
ففي القلب منه قرحـة لم تلأّم(٤٤)

نأت دارها واحتلّ بالجرف جبّهـا
محـلّة بـين القلـب والمتبسـم

ثم ينتقل للرد على اللائمين في حب ليلى متسائلا هل يملك سجين مثله الا الذكريات والحب يتسلّى بهما في سجنه المظلم :

تعاقلت فاتركني لمـا بـي واعفني
من اللّـوم في ليلى وسرّي فاكتم

أمرت فؤادي بعـدما نشبت بـه
حبـائل ليـلى جاهـدا بالتسلّم

---

(٤٣) عسيب : غصن .
(٤٤) اقصد القلب : رماه . لم تلأّم : لم تبرأ .

تذكرني والحبس داري وربّما

يهيج الحجازي ذكرة المتهّم

أظلّ نهاري من هواها كأنّني

من الوجد في داج من الليل مظلم[٤٥]

ولقصص الشعر الماجنة اساليب أخرى ايضا ، منها استعمال اسلوب التمثيل والحوار الذي يتضمّن الحدث ، فمثلا فى احدى القصص تندفع جماعة من النسوة الجميلات للقاء عمر بحيلة مدبّرة مع صديقه خالد ، حيث طلبن منه ان يغريه بالذهاب اليهن في مكان معين يكن قد اجتمعن فيه ويمهد لذلك امامه بوصف جمالهن وفتنتهن حتى يهيج اشواقه ويجذبه للقائهن :

تنوعتن حتى عاود القلب سقمه

وحتى تذكّرت الحديث المودّعا

فقلت لمطريهنّ بالحسن : انّما

ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا

لئن كان ما حدّثت حقاً فما أرى

كمثل الاولى أطريت في الناس اربعا

لقد سلب لبه بوصف جمالهن ودفعه دفعا اليهن :

فقال : تعال انظر ، فقلت : وكيف بي ؟

اخاف مقاما انْ يشيع فيشنعا

فقال : اكتفل ثم التثم فأت باغيا

فسلّم ولا تكثر بأن تتورّعا

---

(٤٥) ديوانه ، ص٨٦ ، ومثله ايضا : ديوانه ، ص٩٢ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١١٦، ص٢٠ .

فاني سأخفي العين عنـــك فلا ترى

مخافة ان يفشـــو الحديث فيســـمعا

وواضح أنه دعاه الى التنكر لاخفاء شخصيته حتى لا يشيع أمره بين الناس فغطى رأسه وتلثم ثم أقبل الى حيث كانت اولئـــك النسوة فسلّم عليهن فتظاهرن بجهلهن لشخصه وقلن لعله انسان أضل طريقه ، وكـــادت حيلتهن تنطلي عليه ولكنه عندما تبادل معهن الحديث عرف الحقيقة واكتشف انهن جئن به الى هذا المكان بتدبير سابق مع خالـــد صاحبـــه للاســـتمتاع بصحبته بعيدا عن عيون الكاشحين :

فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبي

لموعـــده أزجي قعـــودا موقعـــا

فلما توافقنـــا وســـلمت اشـــرقت

وجـــوه زهـــاها الحسن أن تتقنعا

تبالهـــن بالعرفـــان لمـــا عرفننـــي

وقلن امرؤ بـــاغ أكـــل وأوضعـــا

وقـــربن اسبـــاب الصّـــبا المتيـــم

يقيس ذراعا كلمـــا قسن اصبعـــا

فلما تنازعن الاحـــاديث قلن لـــي

أخفت علينـــا أن نغـــر ونخدعـــا

فبالامس ارســـلنا بذلك خالـــدا

اليك وبينا له الشـــأن أجمعـــا

فما جئتنـــا الا على وفق موعـــد

على ملأٍ منـــا خرجنـــا لـــه معـــا

رأينا خلاء مـــن عيـــون ومجلسا

دميث الربـــا سهل المحلة ممرعـــا

وفلن كريم نـال وصـل كرائـم
فحقّ له في اليوم أن يتمتعـا[٤٦]

وواضح انها قصة متكاملة في احداثها وشخوصها ، وقد كان عمـر ناجحا في عرضه لتلك الاحداث موفقا في تسلسلها وربط بعضها ببعضها الآخر الى نهايتها الطبيعية . اما الفاظها فواضحة سهلة رقيقة وتعكس نفسية رجل سعيد في حياته مع جميع النساء عكس العرجي الذي كان حتى في أسعد اوقاته حزينا شقيا [٤٧] .

وعلى الرغم مما قلناه من وجود قصص الحب بنوعيه العذري والماجن الا ان هناك شعراء لم يتفرغوا للغزل والحب مثل اولئك ، ومع ذلك كتبوا قصائد ضمنوها قصصا عاطفية رقيقة رائعة مثل أبي دهبـل الجمحي ، وذي الرمة ، ويزيد بن الطثرية ، وغيرهم من الشعراء [٤٨] .

---

(٤٦) ديوانه ، ص١٧٨ ، وللعرجي مغامرة غرامية ايضا مع مجموعة من النساء وهي مغامرة ليلية (ديوانه ، ص١١٦) .
(٤٧) ديوان العرجي ، ص١٠٧ .
(٤٨) ديوان ابي دهبل الجمحي ، ص٥٢ ، ديوان شعر ذي الرّمة ، ص٣٣٢ ، ص٣٥٢ ، شعر يزيد بن الطثرية (ص٥٠ ، ص٣٧ ، ص٨٧ ، ص٦٨) .
ومن قصائد الرحيل : ديوان الطرماح بن الحكيم ص ٣٥١ ، ومن قصص المغامرات الغرامية قصة للفرزدق تدعى ليلة النقا (ديـوانه ج ١/٢٥٥ على غرار قصص عمر بن ابي ربيعة في التسلل الى مخادع النساء ليـلا في غفلة من العيون وسرق اللذات المحرمة ، ولهذا يقول :
فيا رب ان تغفر لنا ليـلـة النقا فكل ذنوبي أنت يارب غافــره

ومثلها ديوانه ١/٣٥٣ .
وقصة غرامية اخرى لاعشى جلان تحاكي قصص عمر الماجنة (الصبح المنير في شعر ابي بصير – ميمون بن قيس – الاعشى والاعشين الآخـرين ، ص٢٧٥) ، ويبدأها بالاطلال ايضا . اما الشعراء التقليديون الآخـرون فقصائدهم لا تخرج عما هو مألوف في الغزل التقليدي الجاهلي (ديـوان جرير ، ص٣ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٠٦ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٤٧٢ ، ١٦٨ وهي كلها في مقدمة أغراض المديح او الهجاء .

قصص الغزل الهجائي (الكيدي) :

وشاعت في هذا العصر ايضا قصص الغزل الهجائي (الكيدي) الذي يمثل اثر الأحداث السياسية في شعر الغزل وأبرز شعراء هذا الغرض والذي يعده طه حسين مبتدعة [٤٩] هو ابن قيس الرقيات ، وقد اندفع اليه محاكيا عبدالرحمن بن حسان بن ثابت في تغزله الفاضح برملة بنت معاوية بعد أن لج الهجاء بينه وبين اخيها يزيد ، وقد استطاع اثارة غضبه وغضب ابيه معاوية ونجح في ذلك [٥٠] • ثم تابعه في ذلك ابن قيس الرقيات (ليعبث بخصومه ، ويغيظهم فيذكر نساءهم بما يحسن وبما لا يحسن ، وقد بلغ من هذا الغزل الهجائي ما لم يبلغه أحد من شعراء العصر الاموي ، فلم يكن يكتفي بالنسيب المألوف يذكر فيه المرأة التي يريد ان يهجو أهلها ، وانما كان يتخيل القصص والاخبار فيقصها في شعره مسرفا في تفصيلها اسرافاً شديداً) [٥١] •

لقد كان ابن الرقيات زبيري الهوى يخاصم الامويين ، وقد عبر عن خصومته تلك بالتغزل بعاتكة زوجة عبدالملك ، وام البنين امرأة الوليد بن عبدالملك وبنت عبدالعزيز ، فأغاظ بذلك عبدالملك وابنه وأخاه وقد احتاط لنفسه من غضب ام البنين ونقمتها ، فادعى ان ذلك كله من طيف الخيال فأمن بذلك جانبها وكسب رضاها وعفوها •

---

(٤٩) حديث الاربعاء : طه حسين ١/ ٢٥٠ ، وقد تابعته في ذلك اغلب البحوث الحديثة • انظر : العصر الاسلامي ــ شوقي ضيف ، ص٢٩٧ ، تاريخ الشعر السياسي ــ احمد الشايب ، ص٢٦٠ ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، ص٦٩٨ •

(٥٠) الاغاني ١٣/ ١٥٠ • وللشاعر ابي دهبل الجمحي غزل بعاتكة بنت معاوية يظهر انه حاكاه فيه (ديوانه ، ص٦٧ ، ٩٩ ، ١٠٠) •
وقد ذكر الاصفهاني ان معاوية ليست له الا بنت واحدة هي رملة ، ويظهر ان عاتكة ورملة اسمان لامرأة واحدة • الاغاني ١٣/ ١٥٠ •

(٥١) حديث الاربعاء ١/ ٢٥٠ وما بعدها •

ويتضح ميله الزبيري عند قراءة قصصه الغزلية بزوجتي مصعب بن الزبير سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ، والذي اظهرهما فيه بمنتهى الحياء والعفة والجلال والنسك فكأنه بذلك يمدح مصعبا ويؤيد سياسته بينما أظهر نساء الامويين في قصصه الغزلية بمنتهى المجون وجعلهن يسعين اليه ليقضين معه اوقاتا ممتعة حتى يصبح الصباح ، وبمقارنة الصورتين مع بعضهما يتبين لنا مكره وخبثه كما يقول شوقي ضيف حيث استطاع ان يتخذ من الغزل اداة لشعره الزبيري (٥٢) . فانقرأ قوله في عائشة وقد بعث به مصعب اليها وهي غاضبة عليه ليترضاها (٥٣) .

ان الخليط قد ازمعوا تركي
فوقفت في عرصاتهم أبكي
جنيّة خرجت لتقتلنا
مطلية الاقراب بالمسك
قامت تحييني فقلت لها
ويلي عليك وويلتي منك
لم أر مثلك لا يكون له
خرج العراق ومنبر الملك
ترمي لتقتلنا باسهمها
ونزنّها بالحلم والنّسك

ثم يختم هذا الغزل الوقور بغزل هجائي (كيدي) في ام البنين فيقول :

يا حبذا أم البنين على
ما كان من بذل ومن ترك

---

(٥٢) العصر الاسلامي ، ص٢٩٧ .

(٥٣) ديوان ابن قيس الرقيات ، ص١٤١ ، وله قصيدة اخرى في سكينة بنت الحسين عند زواجها من مصعب وخروجه بها ، ص٣١ .

ان تسلمي نسلم وان تدّعي الا
سلام لا نخذلك في الشرك

ثم نقرأ في الوقت نفسه قوله في عاتكة زوجة عبدالملك :

أعاتك بنت العبشمية عاتكا
أثيبي امرأ أمسى بحبّك هالكا
بدت لي في أترابها فقتلنني
كذلك يقتلن الرجال كذلكا
نظرن الينا بالوجوه كأنما
جلون لنا فوق البغال السبائكا
اذا غفلت عنّا العيون التي ترى
سلكن بنا حيث اشتهين المسالكا
وقالت لو انّا نستطيع لزاركم
طبيبان منّا عالمان بدائكا
ولكن قومي أحدثوا بعد عهدنا
وعهدك أضغانا كلفن بشأنكا

ويستمر بعد ذلك ليذكر وقعة الحرّة سنة ٦١هـ في أيام يزيد ، ويبكي قتلاها ويقسم على الثأر لهم ثم يذكر تأييد المسلمين لمصعب ومبايعتهم له على الاسلام ، ونحس من قصته الغزلية تلك أنه بعيد عن الهوى والحب متخذا المرأة سبيلا لتحطيم الرجل الذي يعاديه :

تذكّرني قتلى بحرّة واقم
أصيبت وأرحاما قطعن شوابكا
وقد كان قومي قبل ذاك وقومها
قد أوروا بها عودا من المجد تامكا

فلا سلم الا ان نقود اليهم
عناجيج يتبعن القلاص الرواتكا(٥٤)

على بيعة الاسلام بايعن مصعبا
كراديس من خيل وجمعا ضباركا(٥٥)

نفيت بنصر الله عنهم عدوّهم
فأصبحت تحمي حوضهم برماحكا

وقوله في أم البنين الذي يبدأه بمغامرة غرامية مع امرأة قرشية مجهولة :

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها
رأت بي شيبة في الرأ
س مني ما أغيبها
فقالت : ابن قيس ذا ؟
وغير الشيب يعجبها
ومثلك قد لهوت بها
تمام الحسن أعيبها
لها بعل غيور قا
عد بالباب يحجبها
يراني هكذا أمشي
فيوعدها ويضربها
ظللت على نمارقها
أفدّيها وأخلبها

---

(٥٤) العناجيج : جياد الخيل . القلاص : مفردها قلوص ، وهي الناقة الشابة .. الرواتك من قولنا رتكت الناقة : اي قاربت في خطوها .
(٥٥) ضارك : كثير . الكراديس : الجماعات .
(ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ، ص١٢٨ ـ ١٣٢) .

أحـدّثهـا فتـؤمـن لـي
فأصدقهـا وأكذبهـا

وهذه المغامرة الغرامية الماجنة مع تلك المرأة المتزوجة مهّد بها السبيل لقصته الغزلية الكيدية الآتية وجعلها مقدمة لها ، ولهذا قال :

فـدع هـذا ولكـن حـا
جـة قـد كنـت أطلبهـا
الى أمّ البنـين متـى
يقـرّ بهـا مقـرّبّهـا
أتـتني فـي المنـام فقلـ
ـت هـذا حـين أعقبهـا
فلمّـا أن فـرحـت بهـا
ومال علـيّ أعـذبهـا
شـربـت بريقهـا حتـى
نهـلـت وبـتّ أشـربها
فكانت ليلـة فـي النـو
م نسـمرهـا ونلعبهـا
فأيقظنـا منـاد فـي
صـلاة الصّبـح يرقبهـا
فـكان الطّيـف مـن جنّيـ
ـة لـم يـدر مذهبهـا

ثم ينتقل بعد مغامرته الخيالية الماجنة تلك التي جعل فيها زوجة الخليفة الاموي تسعى اليه لتسمر معه وتقضي امتع اللحظات ولا تنصرف حتى الفجر حيث يدعو المؤذن لصلاة الصبح ، اقول ينتقل بعد ذلك الى مـدح مصعب

ايضا وتأييده كما فعل في قصته الخيالية الكيدية الماجنة مع عاتكة ليزيد ثورة الخليفة الاموي ويؤجج نار غضبه فيجعلها مستعرة بينه وبينهم :

لمصعب عنـد جـدّ القو
ل أكثـرهـا وأطيبهـــا
وأمضـاهـا بـالـويـة
يسـدّ الفـجّ مقنبهـا (٥٦)
اذا خـرجـت برايـــة
سـرايـاهـا ومـوكبهـا (٥٧)
بنصـر اللـه يعلـوهـا
ويمـريهـا ويغلبهـا (٥٨)

فقصيدة ابن الرقيات اذن تجمع بين الهجاء (الكيدي) باسلوب القصص الغزلي الماجن والمدح السياسي لابرز قادة الحزب الزبيري باسلوبي الغزل السابق والمدح وذكر المآثر الحزبية وابرز المعارك التي خاضها أبطاله ، وقد سلك العرجي سبيل ابن الرقيات في ذلك الغزل ، فتغزل بجيداء أم محمد بن هشام المخزومي وجبر زوجته فأثار غضبه ووضعه في السجن الى ان مات ، ولقد كان غزله بعيدا عن الحب حيث جعل أمه وزوجته ماجنتين تسعيان اليه وتطلبان ودّه كما فعل ابن الرقيات ، ومع ذلك لم يستطع ذلك الحاكم ادخاله السجن الا بعد ان اعتدى على احد الموالي الذين أثاروا غضبه فهاجم بيته في

---

(٥٦) المقنب : خمسمائة الى الالف . الفج : الطريق ، والجمع فجاج .
(٥٧) السرايا : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش .
(٥٨) يمريها : يستخرج ما عندها كما يمرى الضرع ، يستخرج ما فيه من اللبن . وأصل المري : المسح . (ديوان ابن قيس الرقيات ، ص١٢١ ـ ١٢٤ ، ومثلها قصيدة في الغزل السياسي يرد بها على عبدالملك اذ تهدده حين قال قصيدته البائية في مدح عبدالعزيز واشار الى ولاية العهد ، ديـوانه ، ص١٢ ، وغزله السياسي في تلك القصيدة هو بأميـرة أمويـة . ديوانه ، ص٨٤) .

جمع من أصحابه وفضح زوجته امامه ثم قتله وحرقه وقد دفع ذلك زوجته الى الشكوى عند محمد بن هشام المخزومي الذي كان قد امتلأ غيظا من غزله الفاضح ويتحين الفرص للايقاع به والانتقام منه وقد حقق الله له ما أراد فقبض عليه ، وسجنه وضربه حتى مات(٥٩) • ومن قصائده الغزلية التي يروي فيها حكاية غرامية مع أم محمد المخزومي وتدعى جيداء :

عوجي علينا ربّة الهودج
انّك الاّ تفعلي تحرجي
انّي أتيحت لي يمانية
احدى بني الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كلّه
ما نلتقي الاّ على منهج
في الحجّ ان حجّت وماذا منىً
وأهله ان هي لم تحجج
أيسر ما نال محبّ لدى
بين حبيب قوله عرّج
نقضي اليكم حاجة أو نقل
هل لي مما بي من مخرج(٦٠)

وحتى بعد سجنه وتعذيبه لم يتوقف عن ذلك الغزل المهين كقوله في امه جيداء التي يسميها وجناء :

اسائل عن وجناء في السّجن جارها
لعمر أبيها انّني لمكلّف

---

(٥٩) ديوان العرجي ص١٧ ، الاغاني ١/١٦٢ ، محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي أمير ولاّه هشام بن عبدالملك امرة مكة والطائف سنة ١١٤ هـ)•

(٦٠) ديوانه ص١٧ ، الاغاني ١/١٦٢ • وله ايضا في زوجته قصيدة (ديوانه ، ص٤٢) •

وانى لك الوجناء ، والسجن دونهـا
ويغلـق دونـي ذو أواس مشرّف

وفي الرجل مني كبل قين يؤودهـا
وثيق ، اذا ما جاءه الخطو يهتف(٦١)

ورغم تلك القيود والجدران التي تحيط به ، فقد ختم قصيدته بغزل فاضح وصف فيه محاسنها وجمالها الجسدي ليزيد في غيـظ الحـاكم وايذائه .

نستنتج مما مر بنا ان القصة السياسية الغزليـة بصـورتها الشعرية القصصية وبغايتها السياسية الهجائية تكاد تكون غرضا جديدا وضع اصوله واكمل قواعده ابن الرقيات رغم انه أخذ فكرته عن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت في غزله الهجائي برملة بنت معاوية ، وقد سلك الشعراء فيـه اسلوبا واضحا اعتمد غرضا اساسيا هو كيد الخصوم السياسيين وهجاؤهم باسلوب واحد هو الغزل او افتعال القصص الغرامية مع نساء الاعداء ، وبمـا أن الغزل ولغة العواطف هو اسلوبهم ، لذا كانت معانيهم واضحة والفاظهم رقيقة سهلة عذبة،وحتى موسيقاهم الشعرية كانت خفيفةمن البحور المجزوءة لتكون سهلة في الحفظ والتداول اولا ، حتى يسهل تلحينها وغناؤها ، ليسمعهـا الجميع في مجالس الطرب وتشيع بين الناس فتتحقق الغاية منها .

وتعتمد القصائد الغزلية ايضا على غرض آخر يذكره الشاعر بعد غزله هو مدح قادة المبدأ او الحزب الذي ينتمون اليه ، كما مر بنا في قصيدة ابن الرقيات التي ذكر بها أم البنين فـي الحـلم وشـفعها بمـدح مصعب الزبيري(٦٢) .

---

(٦١) ديوانه ، ص١٥٥ .
(٦٢) ديوانه ، ص١٢١ ــ ١٢٤ .

أما ابطال القصص فهم أنفسهم ابطال الواقع • ولكن القصة الغزلية بعيدة عن الحقيقة والواقع ، ولهذا لا نستطيع تسميتها حكاية ، وانما هي قصص فنية خيالية جميلة كاذبة ، ومع ذلك كانت النساء تعجب بها وتتباهى بمعانيها رغم يقينها بأن ذلك لا يرضي الرجال أو ولاة الامور في ذلك الزمان •

الفصـــل التاســـع

قصص الحيوان في العصر الاموي



قصص الحيوان في العصر الاموي

ان قصص الحيوان كما مر بنا من الاغراض القديمة في الشعر العربي التي يستطرد الشاعر اليها اما للتشبيه او التمثيل أو لتأكيد حتمية الموت في قصائد الرثاء بخاصة وهي ايضا من قصص الصراع بين الحياة والموت التي تنتهي ببقاء الاقوى .

ونمط هذه القصص لم يتغير كما رأينا منذ عصر صدر الاسلام وقد استمر كذلك في صدر الاسلام حتى العصر الاموي الذي نحن بصدده فالشاعر يستطرد الى قصة الحيوان ليشبه به ناقته أو بعيره او حصانه وهو يقطع بهم الصحراء ليصل الى ممدوحه او حبيبته او أي هدف يحدده في قصيدته والحيوان المشبه به هو اما ثور وحشي او بقرة وحشية أو حمار وحشي .. الخ يروي الشاعر حكايتها مجسدا من خلالها كما قلنا فكرة الصراع مع الطبيعة من اجل البقاء والبحث عن موارد الماء والعشب ثم مقاومة مخاطرها التي تتجسّد في صائد جائع هزيل يكمن لها في مكان خفي ومعه كلابه الضارية ليصوب اليها سهامه المميتة . وبهذا النمط القصصي نجد كثيرا من الشواهد في الشعر الاموي ولكن ما يلفت النظر حقا أن أغلبية تلك القصص يكون الحيوان فيها هو الغالب المنتصر والصائد وكلابه هم المهزومين سواء كانت ضمن غرض المدح او غيره ولا تخرج قصص الثور الوحشي في الشعر الاموي عن ذلك الصراع الدموي من أجل الحياة والبقاء واجتياز جميع المصاعب والمزالق التي تضعها الطبيعة

في طريقه ومن ضمنها الصائد وكلابه(١) او مصاعب اخرى يتفنن الشاعر في عرضها(٢) ورغم ما قلناه من تشابه الانماط القصصية في قصة ثور الوحش مثلا في عصر ما قبل الاسلام والعصور التي تلته الا أن ذلك التشابه ينحصر في الاحداث الاصلية للقصة او حركات الحيوان داخل القصة مع التصرف بنهاياتها حسب ذوق الشاعر ومزاجه . ولهذا توسع الشعراء الامويون في قصة ذلك الصراع الذي ذكرناه من اجل البقاء فلم يكتفوا بالصراع القتالي الدموي وانما دخلوا الى اعماق الحيوان وعكسوا معاناته وانفعالاته اثناء ذلك فكانت قصصهم صورة فنية جديدة في الشعر العربي وهذا واضح في قصائد ذي الرمة(٣) وبخاصة قصيدته البائية التي ضمنّها قصصا ثلاثاً في

---

(١) العجاج النميري يشبه بعيره القوي فى اندفاعه وسرعته بثور وحشي قوي صافه صائد يسميه بحيرا ومعه كلابه الضارية وتدور معركة دامية بين الثور والكلاب يخرج الثور بعدها منتصرا وتتساقط الكلاب صرعى ص٢٢٩، وللقطامي قصيدة في المدح يشبه بها ناقته بثور وحشي يتعرض له صائد من بني ذكوان وكلابه السلوقية الضارية ولكنه ينتصر عليهم جميعا ايضا ديوانه ص٦٠ ، وانظر ايضا ديوان شعر ذي الرمة ص١٧ والطرماح بن الحكيم (ديوانه ص١٤٣ ، ص٧٤ في المدح ، ص٢١٣ ، ص٤٠٩) وهي كلها قصص ثور وحشي يشبه به الطرماح ناقته او بعيره يفاجئه صائد جائع وكلابه السلوقية الضارية المدربة فيقاتلهم بقرنيه فيصيب منهم مقتلا، وقد استعان لذلك بقافية ساكنة وموسيقى شعرية مجزوءة ، والثور في قصص الاخطل ايضا منتصر على الصائد وكلابه علما أن الثور في بعضها ليس مشبها به وقد استطرد اليها الشاعر فهي اذن قصص قائمة بذاتها وربما كان لها مقدمة من هذا النوع ثم ضاعت (ديوانه ج٢/٩٣١ ، وله ايضا بالمعنى نفسه قصيدة في المدح ج١/١٦٢ وايضا في ج١/٦٠ ، ج١/١٤٩ ، ج٢/٣٨٤) .

(٢) وقد عمم ذو الرمة هذا الانتصار فلم يحدده بالصائد وكلابه وانما جعله انتصارا على كل المصاعب في الحياة (ديوان شعر ذي الرمة ص٢٩٩) .

(٣) التطور والتجديد في الشعر الاموي (ص٢٥٠ ـ ٢٦٨) يرى الدكتور شوقي ضيف ان ذا الرمة رسم لوحات الحيوان بصورة انسانية نفسية متكاملة مما يعد تجديدا في الشعر العربي .

ثور الوحش وحمار الوحش والظليم وأتاه كان في خلالها جميعا يعتني بالحيوان نفسيا وعاطفيا فضلا عن سرد لحكايته بل ان اهتمام الشعراء كما رأينا بجعل الثور دائما في مركز القوة والغالب والصائد وكلابه هم الخاسرون رغم تشابه الانماط القصصية في السرد والعرض والزمان والمكان والشخوص ما يدفعنا الى عده ثورة قصصية جديدة في شعر الحيوان وخروجا بها على المألوف هذا فضلا عن عدهم قصص الحيوان غاية وهدفا يقصدون الى سردها لذاتها لا من اجل غرض أخر تكون بمثابة وسيلة للوصول اليه (٤) .

وقصص حمار الوحش ايضا جرت على المنوال السابق في تشبيه ناقة الشاعر او بعيره بها وهو ايضا يرعى مع اتنه في الاراضي الممرعة ويسعى بها حين يجف الماء الى موارد اخرى صعودا ونزولا في الجبال والوديان ثم يصادفهم صائد يحمل سهامه المميتة تتبعه كلابه الشرسة التي لا تهاجم لغرض القتل كما في قصص الثور وانما دورها هو افزاع الحمار وأتنه ثم يتولى الصائد بعد ذلك قتلها بسهامه المصوبة نحوها في وقت تكون فيه تلك الحيوانات مشتعلة الاجواف من العطش وتحاول اطفاء غليلها بشرب الماء من المورد الذي أضناها التعب والجهد في الوصول اليه وهنا يتدخل القدر فاما ينجو الحمار واتنه هاربين أو يصاب احدها فيسقط صريعا مضرجاً بدمه (٥) . والشعراء هنا كما يظهر لا ينهون قصصهم تلك النهاية المأساوية وانما يجعلونه

---

(٤) ديوان شعر ذي الرمة ص٩ حمار الوحش ص١٧ ثور الوحش ص٢٨ الظليم والنعامة . لقد اعتمد الشاعر في ذلك الوصف والتشبيه وفصّل في ذلك الوصف دقائق نفسية الحيوان ومشاعره مما ساعد في تجسيد الحدث وتطويره .

(٥) ديوان العجاج ص١٨١ قصة الحمار المشبه به حصان الشاعر الذي يقطع به الصحراء ـ ويهاجمه الصائد وكلابه ثم موت الحمار . ديوان شعر ذى الرمة ص٣٦٠ ـ ٣٦٨ قصة الحمار المشبه به ناقة الشاعر ـ وصوله مع اتنه بعد جهد جهيد الى مورد للماء ثم مهاجمة الصائد له وطرده عنه .

منتصراً والصائد خاسرا يجرّ أذيال الخيبة(٦) وقد يكون الحمار واتنه في حرب مع مخاطر الطبيعة ومصائبها بشكل عام دون تحديدها بصائد او سهام مميتة يصوبها نحوهم وهو أيضا اتجاه جديد في قصص الحيوان مواكب لقصص ثور الوحش .

أما قصص بقر الوحش فالشعراء فيها كسابقيهم يجعلونها أماً يكون ولدها في مجابهة الموت أو قد مات فعلا عندما افترسه حيوان شرس(٧) . وقصص الامومة تشمل ايضا القطاة والحمامة وهي ايضا لا تختلف عن قصص العصر الجاهلي وصدر الاسلام في تصويرها للجوانب الانسانية والتي

---

(٦) وعكسها قصة اخرى لذي الرمة ص ٥٢٩ ينجو الحمار واتنه من سهام الصائد ومثلها ديوانه ص٩ .
ديوان الاخطل ج١/٢٩٢ تشبيه ناقته بحمار وحشي وأتنه التسع ثم قصة مسيرتهم عبر الصحراء بحثا عن الماء والطعام ومايلاقونه من مخاطر من اجل العيش ومثلها ديوانه ايضا ج١/٤٩٨ ، (ج٢/٦٤٤-٦٥١) وانظر ايضا ديوان شعر ذي الرمة ص٢٩٩ بالمعنى نفسه، ص١٠٦ وص٩٠، ومثلها الاخطل ج١/٦٠ ، ج٢/٧٠٢ وصول الحمار واتنه الى مورد الماء ثم اقبالهن على الشرب وفزعهن لرؤية أسد امامهن .. الخ وله ايضا بالمعنى نفسه (ديوانه ج١/٩٨ - ١٠٤) ومن امثلة انتصار الوحش ايضا قصة للطرماح ص٤١٦ ، ومثلها قصة لذي الرمة (ديوانه ص٥٢٩) وله ايضا (ديوانه ص٣٦١) وللفرزدق ايضا (ديوانه ج٢/٧٤٦) .

(٧) الفرزدق ج١/٢٢٨ قصة البقرة الام التي تركت ولدها في الصحراء وعادت لارضاعه فوجدته اشلاء لان الصائد قتله فاسرعت هاربة ، يشبه بها ناقته القوية السريعة ومن قصص الامومة ايضا قصة لعمرو بن احمر الباهلي ديوانه ص٦٥ وفيه قصة القطاة التي تسكن الصحراء هي وفراخها ولهفتها عليهم وحاجتهم اليها ومثلها قصة لليلى الاخيلية ص٥٥ ، وكذلك ليزيد ابن الطثرية ص٢٨ وهو يتذكر ليلاه التي تفصله عنها صحراء موحشة تسكنها قطاة مع جماعة مثلها وكانت تشرب الماء معهن ثم تذكرت فرخها الصغير فهرعت اليه في لهفه وحنان :

فطرن يبادرن الضياء تقدمت ... عليّهن مغلاة النجاء طموح
الى ابن ثلاث بالفلاة كأنما ... بجنبيه من لفح السّموم جروح
فظلّت تسقيه نطاف اداوة ... له عنقة من فضلها وصبوح

تشمل مشاعر الام الوالهة لفقد ولدها ثم رعبها وفزعها من المجهول الـذي يتمثل في صائد يكون قد كمن لها في مكان ما ، وقد يجمع الشعراء بين قصص أمومة مختلفة في قصيدة واحدة (٨) ، أو يجمع بين قصة من قصص الحيوان ومعها قصة صيد ثم قصة أم يطاردها حيوان شرس من ذلك قصة للاخطل يبدأها بذكر حصانه القوي الذي يقطع به مسافات طويلة من المراعي الخصبة الموحشة لبعدها عن الناس ويشبهه في قوته بذئب شرس قد انهكه طراد الوحوش وقد جره هذا الحديث الى ذكر قصة عن مطاردته بحصانه سربا من بقر الوحش هربن جميعهن عدا أربعة منهن حاصرهن الحصان ولكن كان هناك ثور وحشي يتصدى للدفاع عنهن وحمايتهن من حصار ذلـــك الحصان الصلب :

وغيث ثنى رواده خشـــية الـردى
اطاع وما يأتيه للنـاس راكـب(٩)

عفا من سوام الناس واعتــم نبتـه
فأصبح الا وحشــه وهو عازب(١٠)

بكرت به والطير في حيث عرست
بعبل الشوى قد جرسته الجوالب(١١)

---

(٨) للقطامي قصة ناقة أم في حملها وأمومتها وحنانها يشبهها ببقرة أم اكل السبع ولدها في غفلة منها وعندما ارادت ارضاعه فوجئت به اشلاء ممزقة فاسلمت ساقيها للريح هربا من احزانها وهي تواجه ذلك المنظر الرهيب (ديـوان القطامي ص٣٨) .

(٩) الغيث : النبات الذي أنبته المطر ، ثنى : منع وكف . اطاع النبات : أتسع وأمكن الرعي منه .

(١٠) عفا : خلا ، السوام : النعم السائمة في المرعى ، اعتم : اكثر واحتشد . العازب : البعيد المطلب .

(١١) عرّست : سقطت للراحة اخر الليل . عبل الشوى : الفرس الضخـــم القوائم . الجوالب : جوالب القدر وصروفه ، المجرّس : المجرب .

أشق كسرحان الصريمة ، لاحه
طراد الهوادي ، فهو أشعث شاسب(١٢)
ذعرت به سربا تلوح متونه
كمالاح في أفق السماء الكواكب(١٣)
فعاديت منه أربعا ثم هبته
ونازل عنه ذو سراويل لاغب(١٤)

ولما رأى الشاعر الحاح الثور في القتال لحماية تلكم البقرات ادرك أن من الخطورة مواصلة هذه المطاردة ولهذا لوى عنان فرسه وقفل راجعاً بحصانه كأنه لحدة بصره صقر حاد النظر معتاد على متابعة الحيوانات بعينيه ومطاردتها ثم صيدها حتى يتخضب جسده بدمائها •

وبهذا التشبيه الاستطرادي انتقل الشاعر الى قصة اخرى هي قصة الصقر الصائد للحيوانات •

يقول لقد كان هذا الصقر الاسود في احدى الليالي جائعاً ولم يكن لديه ما يأكله من صيد سابق ادخره لوقت الحاجة وبقي على هذه الحال نهبة للجوّع وأذى البرد والمطر والثلوج المتساقطة التي كانت تنهال عليه ، واقفا فوق قمة هضبة مشرفة يراقب بعينيه الحادتين الزرقاوين كوقفة الجندي في الربيئة ، لعل حيوانا يمر عبر الاراضي المنبسطة لينقض عليه ويصطاده ، واستمر على هذه الحال من امعان البصر مدة طويلة حتى أتيح له في احد الآصال قطاة أمّ كانت قد أفرخت في الصيف وقد دفعها عطشها وسوء حظها

---

(١٢) الاشق الذي يميل في جريه الى احد جانبيه • السرحان : الذئب • الصريمة قطعة وجماعة من شجر الغضى • لاحه : غيّره • الهوادي : المتقدمة السابقة من الوحوش • الشاسب : الشديدة الضمرة •

(١٣) السرب : جماعة من بقر الوحش • المتون : جمع متن وهو الظهر • لاح : أومض •

(١٤) ذو سراويل : اراد به ثورا •

الى منطقة الجبأتين لتشرب من مائها ، وبلهفة الجائع الشره الى اللحم هوى اليها فارتعبت وصدت بوجهها من مفاجأته لها :

فلما رأيت الفلّ قرنا محاربا
ومستوعلا قد احرزته الصياهب(١٥)

رجعت به يرمي الشخوص كأنه
قطامي طير ، اثخن الصيد خاضب(١٦)

أحم حديد الطرف اوحش ليلة
وأعوزه اذخاره ، والمكاسب(١٧)

فظل الى نصف النهار يلفه
بذي الحرث يوم ذو قطار وحاصب(١٨)

فأصبح مرتبئا الى رأس رجمة
كما أشرف العلياء للجيش راقب(١٩)

يقلب زرقاوين في مجرهدة
فلا هو مسبوق ، ولا الطرف كاذب(٢٠)

فحمّت له أصلا وقد ساء ظنة
وصيف لها بالجبأتين مشارب(٢١)

---

(١٥) الفل : المنهزم • المستوعل : المتحرز والوعل الملجأ • القرن : من يقاومك في حربك •

(١٦) به : اي بالفرس • القطامي : الصقر الحديد البصر ، الرافع رأسه للصيد أثخن الصيد : اغتلبها اي قهرها • خاضب : اختضب بدمائها •

(٢) الاحم : الاسود اللون • اوحش : جاع • اعوزه : اعجزه وصعب عليه نيله • الاذخار : جمع ذخر وهو ما يريد ان يدخره لوقت الحاجة •

(١٨) الحاصب ههنا : البرد والثلج • ذو الحرث : موضع • والقطر : الامطار•

(١٩) الرجمة : الهضبة • اشرف : علا •

(٢٠) المجرهدّة : الارض الواسعة •

(٢١) حمّت له : قدرت له يريد الصقر • الاصُل بضم الصاد : جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب • الصيف : القطاة المفرخة في الصيف في اخر الاوقات : الجبأتان : موضع •

فعارضها يهوى وصدّت بوجهها
كما صد من حس العدو المكالب

وحاولت القطاة الافلات من قبضته ومخالبه فاسرعت جاهدة تخفق بجناحيها مسرعة وكان يتابعها بسرعة اكبر واخيرا تمكن منها لانه كان الاقوى فهوى اليها ومزقها بمخالبه شر ممزق ثم عاد ليحلق فوق سرب من القطا وهن صادرات عن الماء فيصطاد منهن ما أمكنه اصطياده وتهرب الباقيات بعيداً عن متناول يده وكان أثناء تلك المطاردة يفزع الحيوانات في طريقه ويشتت شملها كالارانب أو يدفعها الى الهرب بعيداً عن ناظريه كالثعالب وبعد أن شبع من أكل لحوم القطا وقلوب تلك الارانب المفزوعة عاد الى وكره آمناً مطمئناً :

فأهوى لها ما لاترى وتحردت
وقد فرقت ، ريش الذنابي المخالب (٢٣)
بلمع كطرف العين ليست تريشه
وركض اذا ما واكل الركض ثائب(٢٤)
فعارض أسراب القطا فوق عاهن
فممتنع منه ، وآخر شاجب(٢٥)
اذا غشي حسياً مالحساء درت له
صوادر يتلون القطا وقوارب(٢٦)

---

(٢٢) المكالب : الذي ضايقه العدو .
(٢٣) تحردت : تفردت .
(٢٤) اللمع : الخفق بالجناحين . الريث : الابطاء . واكل : اساء . الثائب : العائد . ركضها : جريها بجناحيها .
(٢٥) عاهن : جبل معروف . شاجب : هالك .
(٢٦) الحسي : السهل من الارض يستنقع فيه الماء . درت له : ختلت تدرى دريا الصوادر : الطوالب للماء ويقول المحقق ان هذا خطأ وصوابه هو (الصوادر الرواجع عن الماء . القوارب : الطوالب للماء) .

يفرّق خزان الحمائل بالضحى
وقد هربت مما يليه الثعالب(٢٧)
فلما تناهى من قلوب طرية
تذكر وكرا فهو شبعان آيب(٢٨)

وقصة الاخطل كما نلاحظ هي مجموعة قصص صغيرة مرتبطة الفكرة والهدف متكاملة المعاني ولا يمكن الاستغناء عن واحدة منها لان ذلك يخل ببقية القصص ويعميها ، هذا فضلا عن ارتباطها عاطفيا بالمقدمة الطللية للقصيدة والتي روى فيها قصة الفراق والرحيل وحسرته لذلك كما يقول (٢٩) :

لخولة بالدومي رسم كأنه
عن الحول صحف عاد فيهن كاتب
ظللت بها أبكي وأشعر سخنة
كما أعتاد محموما مع الليل صالب
هلالية شطت بها غربة النوى
فمن دونها باب شديد وحاجب
ألا بان بالرهن ، الغداة الحبائب
فعمدا اكفّ الدمع والحب غالب
تحمّلن واستعجلن كل مودع
وفيهن لو تدنو المنى والعجائب

(٢٧) الخزان : ذكور الارانب واحدها خزز (الخمائل) من الرمل : ما أنبت الشجر .
(٢٨) تناهي : شبع وكثف . يشير في البيتين الاخيرين الى ارعابه لبقية الحيوانات كالارانب والثعالب .
(٢٩) شعر الاخطل جـ٢/ص٧٦٣ ـ ٧٧١ .

ثم اعقبها مباشرة بقصة رحيله بوساطة ذلك الحصان الذي شبهه بالذئب في قوته وشراسته ثم روى قصة المطاردة بين حصانه وذلك السرب الجميل من بقر الوحش ثم تراجعه عن ذلك عند تدخل الثور للدفاع عنهن ثم اندفاعه مرة اخرى عبر المراعي راكضا بهمة ونشاط كأنه صقر جائع يفتش عن فريسة يصطادها ليأكلها ويدفعه هذا التشبيه الى وضع قصة أخرى عن الصقر والقطاة ومطاردته لها الى أن تمكّن منها .

وهذا النمط في قصص الحيوان جديد في اسلوبه رغم أن أصولـه القصصية على النمط القديم ولكن عرضها بهذا الشكل المتجانس المترابط المتحد الموضوع رغم اختلاف الأبطال داخلها يشكّل نوعا من التطور والتجديد في اسلوب القصة علما ان شخصية الفارس وحصانه كانتا المحور الذى تدور حوله تلك القصص لتؤكد وجودهما وفاعليتهما وأثرهما المباشر في توجيه احداث كل قصة منها على حدة .

أما الالفاظ فواضح ان الشاعر جانس بينها وبين مادتها القصصية وهي الطبيعة والحيوان ولهذا كانت غريبة صعبة الفهم بينما كانت مقدمته الطللية العاطفية سهلة الالفاظ والمعاني قريبة الى الذهن والقلب لانها تتحدث عن الحب والفراق مما يقتضي سهولة وسلاسة في التراكيب اللفظية والمعنوية .

قصص الحيوان عند ذي الرمة ... نماذج وتحليل :

تمتاز قصص الحيوان عند ذي الرمة بتعمقها في نفسية الحيوان ومشاعره واحساسيسه وتطويرها للاحداث وتسلسلها بموجب ذلك التصور الانساني لحالة الحيوان أما اصولها السابقة الممهدة للدخول فى القصة كالتشبيه والتمثيل والاستطراد وكذلك في طريقة عرضها وتسلسلها فقد بقيت على ما كانت عليه سابقا . ولذا سنأخذ من قصصه ما يجمع الصفات الاسلوبية مع التطورات الجديدة التي أشرنا اليها .

قصة الثور الوحشي في بائية ذي الرمة :ـ

القصيدة طويلة جدا يبدأها بمقدمة غزلية تقليدية ثم ينتقل بعدها الى ذكر الناقة التي تصاحبه في مسيرة الهموم والفراق ويشبهها في قوتها وجلدها بجمل ضخم ثم يستمر في وصف صلابة جسمها وصبرها فيشبهها بحمار وحشي واتنه العطشى ثم بثور وحشي ويجعلهم جميعا في صراع مع الموت متمثلا في شخصية الصائد وكلابه ثم انتصارهم عليه جميعا ونجاتهم من سهامه المميتة وكلابه الضارية الجائعة ٠

وفي قصة ذلك الصراع من اجل البقاء قال يصف يقظة الثور وشدة حذره وهو يتسمع الاصوات الخفية المبطنة بالاخطار ومشاعره وهو يرى الكلاب فاغرة أفواهها تريد قتله وأحساسيس الخوف والتردد بين مواصلة القتال والهزيمة والنجاة بنفسه وهي تنتابه وتسيطر عليه وهو قابع في ظل أرطاة وكثيب من الرمل :ـ

فبات ضيفا الى أرطاة مرتكم
من الكثيب بها دفء ومحتجب(٣٠)

يغشى الكناس بروقيه ويهدمه
من هائل الرمل منقاض ومنكثب(٣١)

وقد توجس ركزا مقفر ندس
بنبأة الصوت ما في سمعه كذب(٣٢)

---

(٣٠) مرتكم : متراكم يعني كثيب من الرمل متراكم ٠ يقول : الجأ الليل والمطر الثور الى الارطى فلجأ اليها وتوقى بها من البرد والندى ٠

(٣١) الكناس : مرقد الثور ٠ بروقيه : قرنيه ٠ هائل الرمل : اي الرمل المتناثر والمنقاض من الانتقاض وهو الانهيال ٠ منكثب : من الانكثاب وهو الجمع ٠ يقول كلما تحرك الثور في كناسه اصاب قرناه الرمل فينهال الرمل فيسقط منه منهال او متناثر او مجتمع ٠٠ الخ ٠

(٣٢) توجس : تسمّع ٠ ركزا : اي صوتا خفيا يعني بذلك الثور والقفر الارض الخالية ٠ ندس : فطن يصف الثور بالفطنة والنبأة : الصوت الخفي ٠

فبـــات يشئـزه نـــاد ويســـهره

تذؤب الريـح والوسواس والهضب(٣٣)

حتى اذا ما جلا عن وجهه فلـــق

هاديه في اخريات الليل منتصب(٣٤)

غـــدا كـأن بـــه جنّـاً تذاءبه

من كل اقطاره يخشى ويرتقب(٣٥)

لقد لجأ هذا الثور الى ظل شجرة الارطى ملتحفا برمالها طالبا الدفء متوقيا الاخطار وكلما تحرك في كناسه أي ملجئه ذاك اصطدم الرمل بقرنيه فتناثر وانهال فوقه ، وكان مرهف السمع دقيق الملاحظة وقـــد توجس شرا لسماعه صوتا خفيا غريبا أسهره وعمق شعوره بالوحشة والقلق وقد ازداد وسواسه أيضا لتساقط الامطار وهبوب الرياح الباردة العاتية من كل الجهات، وعندما أصبح الصباح وعم نوره الارجاء غمره شعور مجنـون بالخـــوف والترقب وكان خوفه في محله لان ضياء الشمس ونورها فضح مكان وجوده وكشفها للصائد المتلهف للصيد المحترف له بالوراثة ولكلابه الجائعة التـــي أضمرها الجوع واجهدها فبدت يابسة الخواصر بسبب ذلك :ـ

حتى اذا مالها في الجـدر واتخذت

شمس النهــار شعاعاً بينها طبب(٣٦)

---

(٣٣) يشئزه : يقلقه • تذؤب الريح : هبوبها من كل وجه وهو مأخوذ من خداع الذئب • الهضب : بكسر الهاء : الامطار واحدتها هضبة •

(٣٤) الفلق : الصبح • هاديه : أوله مأخوذ من الهادي وهو مقدم العنق•أخريات الليل : اخره • منتصب : مرتفع •

(٣٥) تذاءبه : اي تخبسه كالذئب والغيم من كل وجه • وأقطاره : جوانبه •

(٣٦) ما هنا زائدة • الجدر نبت ويكون الجدار ايضا • الطبب : الطرائق من الرمـــل •

هاجت له جـــوّع زرق مخصّرة

شوازب لاحهـا التغريث والجنب (٣٧)

ومطعم الصّيد هبّـــال لبغيتـــه

الفى أباه بذاك الكسب يكتسب (٣٨)

وكانت مفاجأة اذهلت الثور ودفعته في بادىء الامر الى التفكير بالهرب فأسرع يسينا ليبعد عن مطاردتها واسرعت خلفه باقصى سرعتها للحـاق بـه والانقضاض عليه لا تدخر وسعا في ذلك وجاهد للتخلص من مطاردتها وفي أثناء تلك المطاردة والكلاب تحيط بـه وهو يحاول الفرار ساوره شـــعور بالمهانه والاذلال لما يفعل ومنعه اكباره لنفسه من الهرب واحساسه بالخزي والعار اللذين سليحقانه من جرائه فثارت براكين الغضب في نفسه وتراجع عن محاولة الفرار وكانت الكلاب قريبة جدا منه في تلك اللحظة وانفاســـها تتصاعد شهيقا عاليا كالنحيب من صدرها وهي تحاول قتله :

فانصاع جانبه الوحشّي وانكدرت

يلحبن لا يأتلي المطلوب والطلّب(٣٩)

حتى اذا دوّمت في الارض راجعه

كبر ولو شاء نجىّ نفسه الهرب(٤٠)

---

(٣٧) جوع مخصّره : اي ضامرات الخواصر٠له : اي للثور ٠ شوازب : أي كأنها يابسه من ضمرتها ، لاحها هزلها وغيّرها ٠ والتغريث : الجوع يصيب الجنب : أي تلصق ريتّه بجنبه من العطش ٠

(٣٨) مطعم الصيد : اي محتال ، وهو الذي طعمته وحرفته الاصطياد اي رجل مرزوق ٠ وقوله هبّال : من الاهتبال وهو الأخذ بسرعة ٠ لبغيته : لطلبته

(٣٩) الانصياع : الذهاب سريعا : أي ذهب هاربا ٠ وقوله جانبه : اي نفر على جانبيه ٠ الوحشي : اي الايمن ٠ والانسي : الجانب الايسر من الدابة ٠ الانكدار : الانقضاض ٠ يلحبن يمررن مرّا سريعا مستقيما أي لا يألون جهدا في العدو ٠ المطلوب : الثور ٠ الطلب : جمع طالب ٠

(٤٠) التدويم : التحليق ٠ دومت : دارت يعني الكلاب ٠ راجعه كبر : يعني أن الثور أنف من الهرب فرجع الى الكلاب ٠

خزاية ادركته بعد جولته
من جانب الحبل مخلوطا بها الغضب(٤١)
فكف من غربه والغضف يسمعها
خلف السبيب من الاجهاد تنتحب (٤٢)

واخيرا تمكنت تلك الكلاب اللاهثة من الامساك به ولم يكن خائفا ولا هيابا مرتعشا من القتال لهذا اسرع نحوها يطعنها طعنا سريعا نفاذا بقرنيه في صدرها وكان متلهفا كمن يطلب ثوابا على ما يقوم به واخيرا كانت الطعنات الأخيرة القاضية هي التي ازهقت روحها وتركت قرنيه مخضبين بدمائها ، وأمام هذا النصر الرائع انطلق الثور سعيدا نشطا قد أفرغ روعه وزالت هسومه الى حياته الآمنة المطمئنة من جديد :ـ

حتى اذا أمكنته وهو منحرف
او كاد يمكنها العرقوب والذنب (٤٣)
بلّت به غير طيّاش ولا رعش
اذ جلن في معرك يخشى به العطب(٤٤)
فكرّ يمشق طعنا في جواشنها
كأنّه الاجر في الاقبال يحتسب (٤٥)

---

(٤١) خزاية : اي من الخزاية . من جانب الحبل : يقصد حبل الرمل .
(٤٢) كفّ من غربه : اي الثور كفّ من حدته ونشاطه لما رأى الكلاب خلفه . السبيب : الذنب ، النحيب : النفس الشديد المتدارك قال الاصمعي : هو صوت من الصدر كأنه يقلع من الصدر .
(٤٣) العرقوب : عقب موقعه خلف الكعبين . وعرقبت الناقة : اذا قطعت عرقوبها .
(٤٤) بلّت به : اي ظفرت به . غير طيّاش : مأخوذ من قولهم طاش سهمه اذا اخطأ الهدف وطاش اذا جبن والرعش : الجبان الذي يرعد حين الخوف في معرك : اي موضع القتال .
(٤٥) فكرّ : عطف . يمشق طعنا : اي يطعن طعنا مطابقا في جواشنها اي في صدورها . الاحتساب : طلب الثواب .

حتى اذا كنّ محجوزا بنافذة
وزاهقا وكلا روقيه مختضب (٤٦)
ولّى يهزّ انهزاما وسطها زعلا
جذلان قد افرخت عن روعه الكرب(٤٧)

وقصة الثور الوحشي هذه لوحة فنية رائعة كانت احداث الصراع فيها تتصاعد نفسيا وعاطفيا حتى وصلت قمة المعاناة عندما كان الثور حائرا متردداً بين الهرب والنجاة بنفسه أو القتال والموت بشرف وكأنه بذلك جندي بطل في ساحة المعركة او كأن الشاعر يسكب في نفسية ذلك الثور المحارب نفسيته البدوية التي تأبي الفرار والهزيمة في ساحات القتال وتراهما عارا ومذلة ولا يمكن غسلهما ابد الدهر • وكانت محنة الثور قد انتهت عندما قرر مواصلة القتال وطرد العدو المهاجم الذي تمثل امامه بتلك الكلاب الشرسة الجائعة وقد اكسبه ذلك القرار قوة ونشاطا متدفقين استطاع ان يحقق بهما ذلك النصر الكاسح على اعدائه •

ونلاحظ ان الشاعر لاءَم بين موضوع قصته وتراكيب قصيدته اللغوية فجاءت حوشية صعبة الفهم رغم جمال معانيها ودقة أوصافها ، أما قصته فكانت جديدة لا بتفصيلات احداثها وانما بالانعكاسات النفسية العميقة التي تصاعدت مع تلك الأحداث وتطورت بتطورها بل كانت من العوامل المساعدة في رسم الحلول والنهايات الجميلة المقنعة لاحداثها ضمن ذلك الجوّ النفسي الذي أضاء اعماق الحيوان وفسّر افعاله وترجمها بهذا الشكل الانساني الجميل •

---

(٤٦) كنّ : اي الكلاب • قوله محجوزا : اي اصابها الطعن في موضع حجزتها • والحجز : المنع • زاهقا : اي هالكا • زهقت نفسه : اي خرجت • وقوله روقيه أي قرنيه • مختضب : أي مصبوغ بالدم •

(٤٧) ولىّ يهزّ : أي يمر مرا سريعا زعلا اي نشيطا جذلان أي فرحا قد افرخت والانفراخ الانكشاف عن روعه أي قلبه (ديوان شعر ذي الرمّة ص١٩ـ٢٧) •

ومن قصص الحيوان الطريفة قصص الرهان والسباق بين الخيول وابرز الشواهد في ذلك قصة سراقة البارقي الذي يروي في مقدمتها قصة حياة حصانه وعنايته به وتهيئته له وتدريبه حتى يكون جاهزا لليوم الموعود الذي يلتقي فيه مع غيره من الخيول الكريمة ليحقق النصر ويفوز على الجميع ، يقول لقد تعبت كثيرا من اجل رعايته وفضلته على اطفالي وكنت اسقيه حليب ثلاث نوق كريمة وأحميه من البرد والحر ، حتى أكمل عامه الثالث وأصبح قويا كحمار الوحش جاهزا للرهان مع الخيول السبّعة التي اعدها قومي لذلك :

اخلصته حولا أمسّح وجهه
واخو المواطن من يصون ويندب

وجعلته دون العيال شتاءه
حتى انجلى وهو الدخيل المقرب (٤٨)

والقيظ حين أصونه في ظلّه
وحشّيها قبل الغروب مثّقب (٤٩)

وله ثلاث لقائج في يومه
ونخيره مع ليله متأوّب (٥٠)

---

(٤٨) جعلت الفرس اقرب اليّ من عيالي في الشتاء كي أدفئه في الشتاء وكان مكانه قريبا مني ·

(٤٩) الظلة : المكان المظلّل · الوحشي : الجزء الذي يسلمك الى الخارج · مثقب : مضاء يقول أني احفظه صيفا في مكان مظلل عناية به ، وقبيل ان يرخي الليل سدوله أنير ما حول الظلّة حتى يرى اللصوص الضوء فيظنون بي السهر والتيقظ ·

(٥٠) اللقائح ـ مفردها لقوح وهي صفة للناقة الحلوب الغزيرة اللبن · نخيره معنومه متأوبٌ : أي ينام نوما متصلا لا يزعجه شيء ، فنفسه متردد طول الليل ·

حتى اذا أثنى وصار كأنه

وحد برابية مدل أحقب (٥١)

راهنت قومي والرّهان لجاجة

احمى لمهري ان يسب وأرغب

في سبعة جادوا بها أو دعوة

يوم الرّهان وكلّ ذلك أطلب

فنقلته نقل البصير ولم أكن

ممّن يخادع نفسه ويكذّب

والتقيت مع اصحابي ليلا وجئنا بخيولنا ودار الحديث حول السباق وخطته السليمة وكان نقاشا طويلا استمر حتى غابت النجوم في كبد السماء واشرقت شمس يوم جديد ، حينذاك صدرت الاوامر بتجميع الخيول وتهيئتها للانطلاق وكانت لحظة حاسمة وجبت لها القلوب وكان منظر الخيول رائعا واشعة الشمس تسطع على ظهورها فتبدو مذهبة ، وكان فأل حصاني كما يبدو حسنا وفأل الخيول الاخرى سيئاً : ـ

وتواقفوا بالخيل وهي شوازب

وبلأوهن عليهم متغيبّ (٥٢)

بتنا برأس الخطّ نقسم أمرنا

ليلا يجول بنا المراء ويهضب (٥٣)

---

(٥١) أثنى : اسقط رواضعه وذلك اذا استتم الثالثة ودخل في الرابعة . الوحد : المنفرد المدلّ : الجريء . الاحقب : حمار الوحش ، سمّي بذلك لبياض حقويه .

(٥٢) شوازب : ضامرة .

(٥٣) المراء : النقاش .

حتـى اذا طمس النجـــوم وغمّها

ورد يغيّـــب لونهـــا متجوّب(٥٤)

صاحوا بها ليخفّ حشو بطونهـــا

وقلوبهم من هــول ذلـك تضـرب

وسروا اجلّتها وسـرّى صفّهـا

وكأنما يجرِي عليهـــا المذهــب(٥٥)

وجرت له طير الايامـــن غــدوة

ولهــنّ طيـــر بالايــامــن تنعــب

صاح ابن آوى عن شمال خدودهـا

وجرى لـــه قبـل اليمــين الثعلب

وقبل الانطلاق اوصيت فارسه الذي يركبه أثناء الســـباق بالاسراع والنشاط وكان بارعا في قيادته وتوجيهه حيث انطلق به يشق الصفوف فأصبح في المقدمة كأنه الذئب يعدو في الصحراء والجميع في دهشة من أمره وكنت امنع الافراس الاخرى من مزاحمته وهو يجري كالريح العاصفة حتى وصل الى الغاية وحقق النصر فنال الاعجاب وكسبت الفخر أمام قومي بارق :ـ

عجّلت دفعتهـــا وقلت لفـــارسي

راكض به أنّ الجـــواد المسـهب

وأبي عليّ وقد جرى نصف المدى

والخيل تأخـــذها السياط وتكلب(٥٦)

---

(٥٤) متجوّب : منتشر • الورد : الاحمر يقصد به الفجر •
(٥٥) يصف الخيل كأنها والشفق منعكس على ظهورها مذهبّة •
(٥٦) كلب الحصان : ضربه بالكلاّب اي المهماز •

وغلامه متقبّض في متنه
بمكانه منهنّ رأى معجب
حتى أتى الصفين وهو مبرّز
بمكانه رأى البصير مغرّب (٥٧)

ولكلّهن عصابة من قومه
وله من أبناء القبائل موكب

يغشونه ويقول هذا سابق
متفرس في الخلق أو متعجّب

هذا لتعلم بارق أني أمرؤ
لي في السوابق نظرة لا تكذب (٥٨)

وقصة السباق هذه تحكي حادثة حقيقية بأسلوب شائق فالاحداث ترتبط فيها بوحدة موضوعية متكاملة وهي جميعا تدور حول ابطال القصة وهم الحصان وصاحبه فتبدأ معهم وتستمر هكذا الى أن تتدرج الى اصعب

---

(٥٧) مغرب : متباعد . اى أن فرسه كانت في المقدمة ولذلك كان المتفرج يحتاج الى مد بصره حتى يراها .

(٥٨) ديوان سراقة البارقي ص٩٣ . وللاخطل قصة سباق ثمانية خيول عربية اصيلة لزيد بن معاوية .

أتاني وأهلي بالازاغب أنه	تتابع من أهل الصريح ثماني
جمعن فخص الله بالسبق أهله	على حينه من محفل ورهان
ولما علون الارض شرقي معنق	ضرحن الحصى الحمضي كل مكان
ولما ذرعن الارض تسعين غلوة	تمطرت الدهماء بالصلتان

(الغلوة : قدر رمية سهم . الدهماء والصلتان : فرسان) ديوان الاخطل ج١/٢٩٩ .

مراحلها وهي انطلاق الحصان في موكب السباق وانفاس صاحبه تتدافع معه يكاد وجيب قلبه يدويّ مشاركا قلوب جميع أصحابه خفقاتها واخيرا يهدأ كل شيء عندما يقرر حصانه بفوزه نهاية السباق فيكون اهلا لما قام به من أجله لمدة عام كامل من الرعاية الكاملة والتفرغ التام للعناية به حتى استطاع تحقيق ذلك المكسب الرائع •

★ الخاتمـــــة ★

لقد ظهر لي من خلال هذه الدراسة للقصة الشعرية في صدر الاسلام والعصر الاموي حقائق مهمة هي :ـ

اولا ـ ان مصطلحي القصة والحكاية ومرادفاتهما اللغوية التي وردت فـي مقدمة البحث كالرواية والملحمة والاسطورة •• الخ من المصطلحات التي عرفها العرب قديما ودرجوا على استعمالها في لغتهم بمعناها اللغوي والاصطلاحي شعراً ونثرا بمعنى القصة والحكاية •

ثانيا ـ وقد وجدت من خلال البحث أن الحكاية تعنى رواية احداث حقيقية واقعية دون خيال فني او مبالغة اي انها محاكاة للواقع ولكن عندما تكون الحكاية فنية فيها خيال ومبالغة وحبكة ومعاناة ترقى بها الى مستوى فني رفيع ومتطور تصبح بذلك قصة شعرية فنية اكثر من كونها حكاية ومن هذا المنطلق في تحديد المصطلح للقصة والحكاية كانت دراستنا للنصوص الشعرية في هذا البحث •

ثالثا ـ كانت الحكاية الشعرية البسيطة او القصة الفنية الشعرية ظاهـــرة مألوفة في الشعر العربي في عصر ما قبل الاسلام كما اثبتت ذلـك النصوص الشعرية التي عرضناها في الفصل التمهيدي للقصة ، ولقد وجدت ان شعراءه اعتمدوا عليها في شعرهم ليعكسوا مـن خلالها واقع حياتهم البسيط في كل جوانبه الاجتماعية والحربية والقبلية

والذاتية والعاطفية او ضمن نطاق البيئة الطبيعية كما جسدت ذلك قصص الحيوان ، ولقد كانوا يجدون من خلال تلك الحكايات البسيطة او القصص الفنية أبرز معالم حياتهم وبيئتهم في اطار التصور الذاتي الذي ترسمه مخيلتهم بوصف ان كلا منهم يمثل القبيلة والمجموع ولهذا كانت قصائد الشعراء ضمن هذا المفهوم سجلا لحياة العرب ومفاخرها وأيامها فضلا عن كونها صورة للحياة الأنسانية بأدق ملامحها في القصص العاطفية الصادقة وهي أيضا صورة للطبيعة وحيواناتها وقد عاش الشاعر معها وانفعل بها فروى حكاياتها بكل دقة وأمانة واخلاص •

ولقد وجدنا أن تلك القصص كانت دائما تأتي عفو الخاطر وغير مقصودة اما أسلوب الشاعر فيها فيختلف على وفق الغرض ومادة القصة التي يتصدى لروايتها •

رابعا ـ لقد تطورت القصة والحكاية بعد ظهور الاسلام والدعوة النبوية فأخذت تتعامل مع الحدث الديني الجديد وتواكبه ولهذا برزت القصص الحربية الاسلامية التي تؤكد دعوة الحق التي جاء بها الرسول الكريم وأخذ الشاعر يحكي باسم الجماعة الاسلامية لا القبلية كما ضعفت قصص المجون وقلت بسبب ذلك حيث دعا الاسلام الى التعفف والحياء •

اما القصص الاجتماعية فقد استمرت على المنوال السابق في تمجيد خصال المروءة والشهامة عند العرب وكذلك استمرت قصص الحيوان على اسلوبها السابق ومادتها القصصية التي كانت عليها في عصر ما قبل الاسلام •

خامسا ـ توسعت اساليب القصة والحكاية واغراضها في العصر الاموي وذلك بسبب الاوضاع السياسية والحربية العامة والتغيرات الجذرية في

نظام الحكم فنشأ بسبب ذلك الشعر السياسي والقصص السياسية الحربية ثم شعر البادية والحاضرة او الشعر العذري والشعر الماجن ونتج عنهما قصص ضمن ذلك المعنى تحكي صورا رائعة لذلك الحب بنوعيه في شعر عمر بن أبي ربيعة الماجن وجميل بثينة العـــذري وغيرهما كما توسعت الحكايات الحربية ـ السياسية بسبب نشوء الاحزاب فكانت القصص الحزبية السياسية التـي تـروي جهـاد الاحـــزاب وكفـــاحهـــا ، ونتـــج عـن ذلك ايضـا الغـــزل السياسي لكيد الخصوم والاعداء بالتغزل بنسائهم والذي ابتدعه ابن قيس الرقيات وقد استمرت القصص الاجتماعية على روحيتها السابقة التي تلتها ولم تخرج في مادتها القصصية عن الفخر والاشادة بالمآثر الخلقية العربية الاصيلة كالكرم والنجدة والجوار .

اما قصص الحيوان فقد ظلت على اسلوبها السابق في مـادة القصة ولكنها تطورت في طريقة عرضها الى جعلها لوحات فنيـــة قصصية انسانية يتعمق الشاعر فيها في نفسية الحيوان ومشـــاعره ويرفعه بذلك الى مرتبة أعلى في تعليل أفعاله المبهمـــة وتصرفاته الغريزية وهو في ذلك يبغي التعبير عن ذاته وما يعانيه بصورة غير مباشرة على لسان ذلك الحيوان .

سادسا ـ كان اسلوب القصة كما قلنا يتميز بالتنوع والتجديد والملاءمة بين الغرض ومادة القصة وطريقة عرضها وذلك لاتساع مجالات القصة الشعرية في تلك العصور فكان يعتمد الغرابة والغموض في قصص الحيوان والطبيعة والسلاسة والسهولة في حكايات الهوى الرقيقة هذا فضلا عن الضخامة والقوة في مجالات القصص الحربية وقصص

المفاخر والمآثر ، ولا يفوتنا الاشارة الى ان طبيعة القصة الشعرية تقتضي كونها مركزة بعيدة عن التفصيلات التي نجدها في القصة النثرية بسبب طبيعة الشعر والوزن والقافية ولهذا أيضا كانت الرواية والاسطورة اكثر ملاءمة للنثر منها للشعر ولكن ذلك كله لا ينفي وجودها في ادبنا العربي القديم ٠



المصادر القديمة :

— القرآن الكريم

— اساس البلاغة ٠ الزمخشري ـ ابو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) دار مطابع الشعب بالقاهرة ١٩٦٠م ٠

— الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، الخالديان ابو بكر محمد بن هشام (٣٨٠هـ) وابو عثمان سعيد بن هشام ٣٩٠ ـ ٣٩١هـ تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف نجم مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ٠ القاهرة ١٩٥٨ ٠

— الاصمعيات ـ الاصمعي ٠ أبو سعيد عبدالملك بن قريب (ت٢١٦هـ) تحقيق احمد محمد شاكر ، عبدالسلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م ٠

— الاغاني ـ ابو الفرج الاصبهاني ، نسخة مصورة بالاوفسيت عن طبعة بولاق ، الناشران صتلاح يوسف الخليل ، دار الفكر للجميع ١٩٧٠ م٠

— الامالي ـ القالي ـ ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ٠ ٣٥٦هـ ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦م ٠

— البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ابو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥هـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م ٠

— تاج العروس في شرح جواهر القاموس ٠ الزبيدي ـ محب الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي ١٢٠٥هـ المطبعة الخيرية بمصر القاهرة ١٣٠٦هـ ٠

— تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري ـ ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة ١٩٧٧ ٠

— تهذيب اللغة ـ الازهري ـ أبو منصور محمد بن احمد ٣٧٠هـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ م ـ ١٩٦٥م ٠

— جمهرة أشعار العرب القرشي ـ أبو زيد محمد بن أبي الخطاب دار صادر · بيروت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م ·

— جمهرة الامثال ـ ابو هلال العسكري تحقيق · محمد ابو الفضل ابراهيم عبدالمجيد قطاس المؤسسة العربية الحديثة للطبع والتوزيع القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ·

— جمهرة اللغة ـ ابن دريد ـ ابو بكر محمد بن الحسن الازدي ـ ٣٢١هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن ١٣٤٥هـ ·

— الحيوان ـ الجاحظ ـ ابو عثمان عمرو بن بحر ـ ٢٥٥هـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٨م ·

— ديوان ابي الاسود الدؤلي · تحقيق عبدالكريم الدجيلي بغداد ـ ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م ·

— ديوان ابي دهبل ـ الجمحي ، رواية ابي عمر الشيباني ـ تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن ـ مطبعة القضاء في النجف الاشرف ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ·

— ديوان ابي محجن الثقفي ـ صنعة ابي هلال الحسن بن عبدالله العسكري نشره وقدم له الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد بيروت ـ لبنان ·

— ديوان الاحوص الانصاري ـ تحقيق عادل سليمان جمال ، القاهرة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م ·

— ديوان الاخطل ـ ابو مالك غياث بن غوث التغلبي ـ صنعة السكري تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة · دار الاصمعي ـ حلب ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ·

— ديوان الاسود بن يعفر ـ صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي ـ مطبعة الجمهورية ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ·

— ديوان الاعشى ـ ميمون بن قيس ـ شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤م ·

— ديوان امرىء القيس ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٩م ·

— ديوان امية بن أبي الصلت · تحقيق بهجت عبدالغفور الحديثي ١٩٧٥م بغداد ·

— ديوان أوس بن حجر ـ تحقيق محمد يوسف نجم ـ بيروت ـ دار صادر ١٩٦٠م ·

- ديوان توبة بن الحمير ـ تحقيق خليل ابراهيم العطية ـ مطبعة الارشاد بغداد ١٣٨٧م ـ ١٩٦٨م ·
- ديوان جرير · تحقيق محمد اسماعيل عبدالله الصاوي ـ بيروت ـ دار مكتبة الحياة ·
- ديوان جميل بثينة ـ تحقيق بطرس البستاني ـ دار صادر ١٩٥٣ ·
- ديوان الحطيئة ـ شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق نعمان أمين طه مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨ م ·
- ديوان حسان بن ثابت ـ تحقيق عبدالرحمن البرقوقي ـ مطبعة السعادة القاهرة ·
- ديوان حاتم الطائي ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م ·
- ديوان حميد بن ثور ـ صنعة الاستاذ عبدالعزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م ·
- ديوان شعر ذي الرمة·وهو غيلان بن عقبة العدوى·عني بتحقيقه وتنقيحه كارليل هنري هيس مكارتني · طبع على نفقة كلية كمبرديج في مطبعة الكلية ١٩١٩م ـ ١٣٣٧هـ ·
- ديوان زهير بن أبي سلمى · صنعة الامام أبي العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م ·
- ديوان سحيم ـ تحقيق الاستاذ عبدالعزيز الميمني نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ·
- ديوان سراقة البارقي · تحقيق حسين نصّار القاهرة ١٩٤٧م ·
- ديوان الشماخ بن ضرار · بشرح احمد بن الامين الشنقيطي مطبعة السعادة مصر ١٣٢٧هـ ·
- ديوان طرفة بن العبد ـ تحقيق الدكتور علي الجندي مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨م ·
- ديوان الطرماح بن الحكيم ـ حققه الدكتور عزة حسن · دمشق ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م ·
- ديوان العباس بن مرداس السلمي ـ جمع وتحقيق يحيى الجبوري دار الجمهورية بغداد ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ·

— ديوان عبدالله بن رواحه ، تحقيق محمد حسن باجودة · القاهرة ١٩٧٢ ·

— ديوان عبدالله بن قيس الرقيات تحقيق محمد يوسف نجم ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م ·

— ديوان العجاج ـ رواية عبدالملك بن قريب الاصمعي تحقيق عزة حسن ـ بيروت مكتبة دار الشرق ١٩٧١م ·

— ديوان العرجي ـ رواية ابي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي القاهرة ١٩٥٦م ·

— ديوان عروة بن الورد تحقيق كرم البستاني بيروت ـ دار صادر ١٩٥٣ ·

— ديوان عمر بن أبي ربيعة ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد القاهرة ١٩٦٥م ·

— ديوان عمرو بن لجأ ـ تحقيق الدكتور يحيى الجبوري · دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ·

— ديوان عمرو بن معد يكرب ـ تحقيق هاشم الطعان ·

— ديوان عنترة العبسي ـ تحقيق محمد سعيد مولوي ـ القاهرة المكتب الاسلامي ١٩٦٤م ·

— ديوان الفرزدق ـ عني بجمعه وطبعه ـ عبدالله اسماعيل الصاوي مطبعة الصاوي ـ القاهرة ١٩٣٦م ـ ١٣٥٤هـ ـ وهناك طبعة اخرى (دار صادر بيروت) ·

— ديوان القتّال الكلابي · تحقيق احسان عباس ـ دار الثقافة بيروت ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ·

— ديوان القطامي ـ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ـ احمد مطلوب دار الثقافة بيروت ـ ١٩٦٠ ·

— ديوان كثير عزة تحقيق احسان عباس ـ بيروت دار الثقافة ١٩٧١م ·

— ديوان كعب بن مالك ـ دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ـ مطبعة المعارف بغداد ـ ١٩٦٦ ـ ١٣٨٦هـ ·

— ديوان لبيد بن ربيعة ـ سلسلة التراث العربي ـ وزارة الارشاد والانباء في الكويت ـ مطبعة الحكومة ـ الكويت ١٩٦٢م ·

— ديوان ليلى الاخيلية ـ تحقيق خليل ابراهيم العطية ، جليل ابراهم العطية بغداد دار الجمهورية ١٩٦٧م ·

- ديوان مجنون ليلى ـ تحقيق احمد عبدالستار الفراج ـ دار مصر للطباعة القـــاهرة ٠
- ديوان المزرّد بن ضرار تحقيق خليل ابراهيم العطية مطبعة أســـعد بغداد ١٩٦٢ ٠
- ديوان المعاني ـ لابي هلال العسكري ـ تحقيق الشيخ محمد عبدة ـ مكتبة القدس القاهرة ١٣٥٢هـ ٠
- ديوان النابغة الجعدي ـ منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ٠
- ديوان النابغة الذبياني ـ صنعة ابن السكيت ٠ تحقيق د ٠ شكري فيصل دار الفكر بيروت ٠
- السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا ٠ ابراهيم الابياري ـ عبدالحفيظ شلبي ٠ دار احيـاء التراث العـــربي ـ بيروت لبنان ٠
- شرح اشعار الهذليين ـ صنعة أبي سعيد الحسن بن الحســـين السكري تحقيق عبدالستار احمد فراج ـ مطبعة المدني القاهرة ٠
- الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ٠ دار المعارف بمصر ١٩٦٦م ٠
- شعر أبي زبيد الطائي ـ جمعه وحققه الدكتور نوري حمودي القيسي مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٧ ٠
- شعراء النصرانية ـ الاب لويس شيخو ـ بيروت ، مطبعة الاباء اليسوعيين ١٩٢٦م ٠
- شعر الراعي النميري واخباره ـ تحقيق الدكتور ناصر الحـاني دمشـــق ١٩٦٤م ٠
- شعر عبدالله بن الزبير الاسدي ـ جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ـ دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ٠
- شعر عبدالله بن معاوية ـ تحقيق عبدالحميد الراضي بغداد (١٩٧٥) ٠
- شعر عمرو بن احمد الباهلي ـ جمع وتحقيق د ٠ حسين عطوان ٠
- شعر عروة بن حزام ـ الدكتور ابراهيم السامرائي ـ احمد مطلوب مستل من مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد العدد الرابع ١٩٦١م ٠

— شعر النعمان بن بشير الانصاري ـ حققه وقدم له الدكتور يحيى الجبوري · مطبعة المعارف ـ بغداد ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ·

— شعر يزيد بن الطثرية ـ صنعة حاتم صالح الضامن مطبعة أسعد بغداد ١٩٧٣م ·

— شعر يزيد بن مفرّغ الحميري ـ جمع وتحقيق الدكتور داود سلوم · مطبعة الايمان ـ بغداد ١٩٦٨ ·

— الصبح المنير في شعر أبي بصير ـ ميمون بن قيس بن جندل ـ الاعشى والاعشيين الاخرين · مطبعة ادولف هولمز ـ هوسن ـ بيانه ١٩٢٧م ·

— الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) الجوهري ـ اسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ) تحقيق احمد عبدالغفور عطار ، دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م ·

— صحيح مسلم ـ ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ مطبعة محمد علي صحيح وأولاده ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م ·

— طبقات الشعراء ـ ابن سلام ـ ابو عبدالله محمد الجمحي ٢٣١هـ مطبعة برايل ـ ليدن ١٩١٣ ·

— العقد الفريد ـ ابو عمر احمد بن محمد عبد ربه الاندلسي ـ شرح وتصحيح احمد امين ـ احمد الزين ـ ابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٦م ·

— العمدة ابن رشيق القيرواني ـ ت ٤٥٦هـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الجيل بيروت ١٩٧٢م ·

— العين ـ الفراهيدي ـ الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي ·

— غريب الحديث ـ ابن سلام ـ حيدر آباد الدكن ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٦٤م (٤ج) ·

— الفائق في غريب الحديث ـ الزمخشري ـ جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م ·

— القصائد المفردات التي لا مثيل لها ـ المنثور والمنظوم ، لابي الفضل أحمد ابن أبي طاهر طيفور ـ تحقيق الدكتور محسن غياض دار عويدات بيروت · باريس ١٩٧٧ م ·

— لسان العرب ـ ابن منظور ـ ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ٧١١هـ مطبعة دار صادر بيروت ·

— مجمع الامثال ـ الميداني ـ ابو الفضل [illegible] بن احمد بن ابراهيم النيسابوري ٥١٨هـ ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م ·

— مسند ابن حنبل : الامام احمد بن حنبل ، تحـ : احمد محمد شاكر ، دار المعارف القاهرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ·

— المعاني الكبير ـ ابن قتيبة ـ ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ٢٧٦هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر اباد الدكن الطبعة الاولى ١٩٤٩م ·

— معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ الشيخ الامام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الرومي البغدادي ـ دار احياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ·

— معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ـ ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ ـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٣٦٩هـ ·

— مغازي رسول الله ـ الواقدي ـ محمد بن عمر ٢٠٧هـ · تحقيق الدكتور مارسدن جونس ـ مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٦٦م ·

— المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الاصبهاني ـ تحقيق محمد سيد كيلاني طهران ـ المكتبة المرتضوية ١٣٧٣ ·

— المفضليات ـ المفضّل الضبّي ـ تحقيق احمد محمد شاكر ـ عبدالسلام محمد هارون ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ·

— النهاية في غريب الحديث ـ المبارك محمد بن الجزري ٦٠٦هـ تصحيح طاهر احمد الراوي · محمود محمد الطناحي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م ·

المصـادر الحديثة :

— أثر القرآن في الادب العربي ـ الدكتورة ابتسام مرهون الصفـار ، دار الرسالة للطباعة ـ بغداد ـ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ٠

— الادب وفنونه الدكتور محمد مندور ، مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ٠

— الادب القصصي عند العرب الدكتور موسى سليمان دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٩ ٠

— بناء الرواية الدكتور أدوين موير ، ترجمة ابراهيم الصيرفي ـ مراجعة الدكتور عبدالقادر القط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٥ ٠

— تاريخ آداب العرب ـ الرافعي ـ مطبعة الاستقامة ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م ٠

— تاريخ الأدب العربي في العصر الاسلامي ـ شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ١٩٦٣م ٠

— تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي ـ شوقي ضيف ، دار المعارف في مصر ـ ١٩٦٠م ٠

— تأريخ النقائض في الشعر العربي ـ احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٤م ٠

— التطور والتجديد في الشعر الاموي ـ شوقي ضيف دار المعارف ـ مصر القاهرة ١٩٥٩ ٠

— تاريخ الشعر السياسي ـ احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ٠

— تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ـ شكري فيصل جامعة دمشق ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م ٠

— الحب العذري ـ الدكتور احمد عبدالستار الجواري ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٤٨ ٠

— حب عمر بن أبي ربيعة وشعره ـ جبرائيل جبور ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧١م ٠

- حديث الاربعاء ـ طه حسين ـ دار المعارف بمصر ١٩٥٩م ·
- شعراء أمويون ـ د · نوري حمودي القيسي جـ١ ، جـ٢ بغداد ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م ·
- شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الاموي والعباسي ـ زكي المحاسني دار المعارف بمصر ١٩٦١م ·
- شعر الفتوح الاسلامية ـ النعمان عبدالمتعال القاضي ، الدار العربية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ·
- شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ـ يحيى الجبوري ـ منشورات مكتبة النهضة بغداد ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ ·
- شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي ـ د · احمد كمال زكي دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ·
- الصيد والطرد في الشعر العربي ـ عباس مصطفى الصالحي ، مطبعة دار السلام بغداد ١٩٧٤ م ·
- الطبيعة في الشعر الجاهلي ـ د · نوري القيسي ـ دار الارشاد بيروت ١٩٧٠ ·
- عصر القرآن ـ محمد مهدي البصير ، مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٩٤٧م ·
- في الادب وفنونه ـ علي ابو ملحم ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ـ ١٩٧٠م ·
- الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ـ النعمان القاضي ، دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٠م ·
- في الشعر الاسلامي والاموي ـ عبدالقادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٩ ·
- الفن القصصي في القرآن الكريم ـ محمد خلف الله مطبعة النهضة العربية القاهرة ١٩٥٧م ·
- فن كتابة القصة ـ حسين القباني ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ·
- قصص الانبياء ـ عبدالوهاب النجار ، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ـ مطبعة المدني ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ·
- القصة العربية في العصر الجاهلي ـ علي عبدالحليم محمود ، دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٥م ·
- قصص العشاق النثرية في العصر الاموي الدكتور عبدالحميد ابراهيم دار الثقافة ـ مصر ١٩٧٢م ·
- القصة في الحديث الشريف الدكتور مصطفى عبداللطيف جياووك ، مجلة كلية التربية جامعة البصرة ١٩٨٢ ·

— القصة في الشعر العربي ـ علي النجدي ناصف ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ·

— قصص القرآن في آدب الرواية والمسرح ـ احمد موسى سالم ، دار الجيل بيروت ـ ١٩٧٧م ·

— ابحاث في الشعر القصصي في الادب العربي ـ نوري حمودي القيسي · سلسلة الموسوعة الصغيرة ـ ٧١ ـ منشورات دار الجاحظ للنشر بغداد ١٩٨٠ ·

— المرثاة الغزلية ـ د · عناد غزوان · مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٧٤ ·
ملامح السرد القصصي في القصيدة العربية قبل الاسلام ـ د · محمود الجادر ـ مجلة دراسات للاجيال ـ السنة الأولى العدد ٢ ·

— المنصفات ـ عبد لمعين الملوحي ، مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٦٧ ·

— موقف القرآن الكريم من الشعر العربي ـ د · عناد غزوان مجلة الاستاذ العدد ١٥/١٩٦٩ ·

— نظرية الادب ـ (رينيه وبليك) و (اوستن وارين) ترجمة محيي الدين صبحي وحسام الخطيب ·

— نظرية لدراما من ارسطو الى الآن ـ رشاد رشدي مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٨م

— النقد الادبي ـ احمد امين ، مكتبة النهضة مصر ١٩٦٣ (جـ١ و٢) ·

— النقد الادبي الحديث ـ محمد غنيمي هلال ، دار العودة ـ بيروت ١٩٧٣ ·

— وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، تأليف الدكتور نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر الموصل ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ·

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



وزارة الثقافة والإعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : رياض عبدالكريم

السعر ٣ دنانير



بغداد ــ ١٩٩٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة